هيام حرب ملاعب

ذاكرة التراث

حضارة قيد التهميش

مقدمة الكتاب

إذا كان للبنان رسالة عبر التاريخ، فإنما هي تلك الصفحات الممتدة أو المطوية من صحون الخضرة وبساتينها الغنّاء في الساحل، ومن صفحات الزمرد وجفانه وراء العين في الداخل، وقد أوقف الله عليه هياكل الجمال من سطور الصخور وحروف الجبال، ونمّقها بأعشاش النسور ورفيف أجنحة السنونو والفراشات والأطيار، ودلق فوق أديمها السندسي من معاني الينابيع ما أجرى خططه أنهاراً من اللبن والعسل في بطون أودية الجنان، وراحات القرى الموقوفة على مرأى الزمان، وقد نثر كلل الغيوم وشالات العواصف والثلوج على رؤوس شجر الأرز والصنوبر والسنديان والشربين، وعلى مشاش غصونه وأطراف بنانه، حتى بدا لوحا من ألواح الله يقرأ بالحروف الكبار من بعيد .

ومثلما وقف الشعراء والأدباء والفلاسفة والحكماء منذ قديم الزمان وحتى اليوم، مشدوهين أمام المعاني الكبار، للسماء تشدو وللجبال تتلألأ وللشطآن تبحر ولليناييع تتفجر، تقف أيضاً هيام حرب ملاعب وقد ملأتها الدهشة وأخذت بنفسها كل مأخذ، حتى بات قلمها ينزُّ دموع الفرح لمرأى قوافل التاريخ تأخذ أعناقها بأعناق بعضها البعض وهي تعبر الدروب والتلال وتترنح قليلاً أو كثيراً في الساحات والمنبسطات، وتقيّل تحت أكتاف الجبال .

فما كادت هيام حرب ملاعب تنتهي من قراءة / كتابة "أبجدية التحول"، مستغرقة وقتها في تتبع دقائق الكون ودقائق القلب، حتى تحولت الى هذا الكتاب الذي بين يدينا تستغرق وقتها في تتبع دقائق

وطنها الصغير لبنان، في طبيعته ومعاشه وفي حاله ومآله. قلم يرتجف قلبه في محراب الجمال فتأخذ سطور الإبداع ترتسم على أديم الورق الأبـــيض تقول على الأبدية حديثها الطويل وعلى الأبجدية ثرثرتها الطويلة .

تسير هيام حرب ملاعب في أثر أمين نخله تشقّ طريقها الى الريف وتقف معه تتجلّى أسرار الألوهة في الطبيعة الصامتة، تماماً كما تـــسير في أثر سلام الراسي تقرأ حروف الدساكر والقرى وتقف علـــى شـــواهد عاداتها وتواريخ أبنائها ونقاط فساتين عرائسها.

كأنها وهي تلعب بأشياء الطبيعة تحت أرز الشوف، إنما تنسج من خيوط الزمن الغابر تقاليد العراقة للزمن القادم، فلا بأس إذن إن استعارت ذهب الكتابة من خيوط الشمس، أو مدّت بصرها الى الغسق حتى تميـــئ للشفق.

كأن هيام حرب ملاعب متن الرسالة وحاشيتها، تعرف كيـــف يجب أن تقف على عوالم التراث الشعبي اللبناني ومواده الأكثر حـــشرية لعيون الصغار والكبار، من صفحاتها النقية البياض كوشم عروس، يعرف قلم هيام كيف يصحو من زهوه، وهو يعب من دويّ الـــزمن المعتـــق في خوابي القلب، بعد أن يؤمها في الكتابة .

كأن كتابتها جزءاً من رسالتها، تأخذ من تصادفه أو يصادفها الى ملاعب الطفولة وحرب الرجولة، حيث استوى الكون اللبناني برســـومه وأطيافه أمام عينيها، تجتاز مراحل العمر الذهبي ربيعاً ربيعاً وعقداً عقـــداً فلا يشعر القارئ لها إلا بالفرح، فلا الصغير على مقاعد الدراسة يطـــوي

صفحات نجاحه عاماً فعاماً، إلا بعد أن يتمتم جزءاً من عبراتها، ولا الكبير المتوحد مع نفسه يأنس لوحشته إلا بعد أن يتم جزءاً من عباراتها.

هيام حرب ملاعب في كتابها (الجديد)، كما قبله في كتابها الأولاني صفحة للزمان وصفحة للوجدان، ولا بأس إذا لجأ إليه الدارس كمنهل تراثي رصين، أو سفرة من الزاد الثقافي الذي يأتمّه الجميع .

أ.د. قصي الحسين
الجامعة اللبنانية كلية الآداب
١ / ٢ / ٢٠٠٧

تمهيد

يعبر هذا الكتاب عن مرحلة وسيطية قاهرة مرت بالقرية اللبنانية في مخاضها العسير، بعد تواري الأقدمين عنها، وانتقالها من يد مغتصب الى آخر وفق خطة منظمة سرى مفعولها بين الدول المتنازعة على أرض لبنان درّة الشرق، منذ الفتح العربي الإسلامي عام ٦٣٦م حتى جلاء الفرنجة عنه، ووقوعه مجددا في قبضة المماليك والعثمانيين (١٢٩١- ١٦١٥) م انتهاءً بالانتداب الفرنسي، حيث شكلت هذه المرحلة الانتقالية الحساسة مهداً لبروز النظام الإقطاعي الوراثي،ونفوذ سلطان أمراء العشائر العربية بدءاً بالتنوخيين حكام إمارة الغرب وأميرهم بحتر التنوخي،الى المعنيين حكام إمارة الشوف وأميرهم فخر الدين المعني الثاني، والشهابيين حكام وادي التيم وجبل لبنان وأبرزهم: الأميران حيدر وبشير شهاب،واللمعيين،والعسافيين التركمانيين حكام بلاد كسروان، والسيفيين الأكراد حكام بلاد عكار،الى المقدمين الموارنة في الشمال، وبنو بشارة الشيعة في الجنوب وجزين، الى ما هنالك من قصص ومشاهد تراثية وتاريخية قديمة رصدت حركة المجتمع القروي الفلاحي بأفراحه وأتراحه وبعض ما كان يتخلله من عادات وتقاليد عريقة، قبل أن تجتاحها العولمة وتتماهى في أثوابها العصرية الجديدة.

قلّما يستطيع الكاتب تلافي العاطفة في كتاباته، ذلك أن عين حبه واسعة ومسلطة باستمرار على المكان الذي ولد فيه وتربى وترعرع، ونمت فيه مشاعره وعواطفه وأحاسيسه، وهكذا فإن حضارة القرى نشأت وترعرعت وفق تلك المكونات الفطرية العاطفية الحساسة،تغمرها طيبة

القرويين وتفانيهم ومحبتهم لبعضهم البعض ، والتزامهم بالواجبات والمسؤوليات على قاعدة انتمائهم الفعلي للمكان والزمان، وقدرة استيعابهم لروافد ماضينا العريق ولإرث أجدادنا السالفين الغني بنور الإيمان والعلم والمعرفة.

الكل يوم ذاك كان ينعم بقسمة ربه في بيئة زراعية متواضعة يحكمها التعاون والتبادل ويمنحها حب الإنسان لأخيه الإنسان مزيدا من الغنى والانسجام والتكافؤ، فلا الآلة الثقيلة ولا اليد الدخيلة كانتا لتجرؤا على اقتحام وحدتها .

الكل آنذاك كان يترنم على وتر شكره وامتنانه من إنسان وحيوان وطير وشجر وماء ونبات ، فالسهل يتألق والنبع يتدفق والشجر ينوء بأثماره والغصن بأزهاره ، وبين صداح ونباح وهديل ومواء ، تشكلت مناخات القرى وسط هذا الكل المتناغم.

المرور المبرر بقريتي غريفة مسقط رأسي والمعتمد في هذا الكتاب،إنما هو مرور بباقي القرى اللبنانية في الإقطاعات السبع: الشوف الحيطي والسويجاني،المناصف، الشحار، الغرب الأعلى والأدنى، الجرد المتن العرقوب الأعلى والأدنى ،والذي يصور حالة القرية في عهدها الوسيط، ويدين التفاوت الطبقي في المجتمعات القروية الذي كرس لغة الغاب، والذي من خلاله ارتفعت وانخفضت رؤوس.

والشوكة التي أدمت كتاباتي ولونت حروفي ونقاطي في وعورة الحقول والدروب، وجعلتني على قلق مبين أسيرة هنا محلقة هناك، ليست

إلا حافزا من حوافز الإصطفاق والتحليق، توقاً إلى الرحيق، شأن النحلة في سطوها على الحقول، فادعُ لي بدوام الرحلة البناءة..!

وأخيرا، لا بد من تقديم اعتذاري عن كل سهو وخطأ وتقصير لعدم ملاءمة الظروف أو لصعوبة توفر المعلومات، وشكري الجزيل الى كل من أمدني بمعلومة مفيدة ، أو تغافل عن مساعدتي ، أو لفتني بنقده البنّاء، راجية من أهالي قريتي وقرائي الكرام أن يكون محتوى هذا الكتاب بحجم اهتماماتهم.

كما أتوجه بشكري الخاص إلى الأخوة الكرام في جامعة آل حرب من كافة الطوائف في لبنان والمهجر ، آملة أن يستمر التواصل وتستمر الجهود لنكون خير قدوة.

قصيدة جبل الشوف

جبـــلٌ تـــصدّرَ للعـــلا سُـــبُلَ والـــشوفُ أعطـــاهُ الحـــلا مَثَـــلَ

مـــن قريـــةٍ معطـــاءَ زهـــو جمالهـــا مـــع كبريـــاءِ رجالِهـــا انجبـــلَ

لو عاشقُ الفردوس بـــاتَ بخيبـــة أعطاهُ حـــبُ غريفـــة الأمـــلَ

وإذا أصابَ البدرَ عيـــبٌ طـــارئٌ وسَرى علـــى ربَواتِهـــا اكتمـــلَ

الفصل الأول

تراث القرية

البنية الاقتصادية للقرية اللبنانية
حضارة الأقدمين

توارث اللبنانيون حضارة العيش عن الشعوب القديمة المتعاقبة على لبنان وأبرزهم : الفينيقيون سكان لبنان الأصليون الذين انتشروا على السواحل اللبنانية قبل الميلاد بألف ومائتي سنة ، والفرس واليونان والرومان الذين أعقبوهم وشهدت البلاد على أيامهم نهضة عمرانية وثقافية مميزة حيث بقيت المناطق والجبال النائية الوعرة خارج نطاق اهتمامهم حتى القرن الخامس ميلادي ، حينما تعرضت مدينة بيروت الساحلية مركز إقامتهم لهزات عنيفة، وغمرتها المياه ودمرت بيوتها فاضطر سكانها للهرب الى مناطق صيدا الجنوبية ريثما تتم إعادة بنائها وترميمها .

وكان لقرايا الشوف التي كانت تابعة وقتذاك لصيدا الجنوبية نصيبها الكبير من هذا النزوح الذي جاء بالنفع عليها، فقد عمُرت المنطقة بضيوفها الجدد وجرى العمل فيها على قدم وساق، بعد أن كانت قليلة السكان ذات مسالك وعرة وغابات كثيفة كثيرة الوحوش، يقطنها الحطابون ورعاة المواشي .

اهتم الفينيقيون بالأرض ، وزرعوا فيها الأشجار المثمرة: زيتون كرمة، تين، توت، خرنوب، الى جانب شجر الأرز والسنديان والصنوبر

والشربين الذي كلل جبال لبنان منذ تكوينه، وأولوا زراعة القمح والشعير والقنب وقصب السكر كبير اهتمامهم، واعتنوا بتربية الدواجن والمواشي للإستفادة من لحمها ولبنها وصوفها، فتنوعت بذلك مصادر الرزق وشعر الناس بالأمن والراحة .

صنع الفينيقيون سفنهم من خشب الأرز اللبناني الخالد ومن الشربين ومخروا فيها البحار واكتشفوا المجاهل، وابتكروا الحروف الأبجدية لتسهيل معاملاتهم مع الشعوب المجاورة، فكانوا منارة للعلم والإكتشاف والمعرفة، واهتدوا الى الأرجوان وحياكة الأنسجة الصوفية والكتانية وصناعة الحرير وصباغته بهذه المادة المموهة الساحرة، واستخرجوا من خير مزروعاتهم الخمور والزيوت والطحين والزبيب، وبرعوا في صناعة الفخاريات (جرار ، أباريق ، أواني ، تماثيل) من تربة لبنان الدلغانية اللينة ورصعوها بالذهب والفضة والبرونز الذي كانوا يستوردونه من الخارج مقايضة بمنتوجاتهم المحلية، وصمموا من الزجاج الملون أحجار الحلي التقليدية (أساور ، أقراط ، عقود) وتفننوا بدباغة الجلود وصناعة الفراء والروائح العطرية والعقاقير والأسلحة المزخرفة بالعاج، وأدوات الفلاحة الحديدية المستخرجة من مناجم لبنان.

أما الرومان الذين وطئوا أرض لبنان قبل الميلاد بأربعة وستين عاما، كانوا مثالا للتقدم على مستوى الحركة العمرانية والثقافية، فبرعوا بإشادة هياكل مدينة الشمس بعلبك ، وبنوا في مدينة بيروت المدارس والمسارح والملاعب، ولم تتوقف حركتهم العمرانية عند هذا الحد، بل تعدتها الى بناء الجسور وشق الطرقات ورصفها بالحجارة، وجر المياه بالأقنية، وبناء القصور وتزيينها بالفسيفساء، وشهد لبنان على أيامهم

موسم قطاف الزيتون

مظاهر العونة

عين الضيعة – بناء بريقع منذر

نواويس حجرية قديمة - خربة بيزون

حجر المعصرة

مسبح الحمام - البركة الزرقاء

منتزه نهر الحمام - غريفة

حديقة غريفة العامة

الجسر الروماني نبع الحمام - غريفة

ومن الناس
من يعطون
بفرح وفرحهم
مكافأة لهم

جبران خليل جبران

والشربين الذي كلل جبال لبنان منذ تكوينه، وأولوا زراعة القمح والشعير والقنب وقصب السكر كبير اهتمامهم، واعتنوا بتربية الدواجن والمواشي للإستفادة من لحمها ولبنها وصوفها، فتنوعت بـــذلك مـــصادر الـــرزق وشعر الناس بالأمن والراحة .

صنع الفينيقيون سفنهم من خشب الأرز اللبناني الخالـــد ومـــن الشربين ومخروا فيها البحار واكتشفوا المجاهل، وابتكروا الحروف الأبجدية لتسهيل معاملاتهم مع الشعوب المجاورة، فكانوا منارة للعلم والإكتـــشاف والمعرفة، واهتدوا الى الأرجوان وحياكة الأنسجة الـــصوفية والكتانيـــة وصناعة الحرير وصباغته بهذه المادة المموهة الساحرة، واستخرجوا من خير مزروعاتهم الخمور والزيوت والطحين والزبيـــب، وبرعـــوا في صـــناعة الفخاريات (جرار ، أباريق ، أواني ، تماثيل) من تربة لبنان الدلغانيـــة اللينة ورصعوها بالذهب والفضة والبرونز الذي كانوا يستوردونه مـــن الخارج مقايضة بمنتوجاتهم المحلية، وصمموا من الزجاج الملـــون أحجـــار الحلي التقليدية (أساور ، أقراط ، عقود) وتفننوا بدباغة الجلود وصناعة الفراء والروائح العطرية والعقاقير والأسلحة المزخرفـــة بالعـــاج، وأدوات الفلاحة الحديدية المستخرجة من مناجم لبنان.

أما الرومان الذين وطئوا أرض لبنان قبل الميلاد بأربعة وســـتين عاما، كانوا مثالا للتقدم على مستوى الحركة العمرانية والثقافية، فبرعـــوا بإشادة هياكل مدينة الشمس بعلبك ، وبنوا في مدينة بـــيروت المـــدارس والمسارح والملاعب، ولم تتوقف حركتهم العمرانية عند هذا الحد، بـــل تعدتها الى بناء الجسور وشق الطرقات ورصفها بالحجارة، وجـــر الميـــاه بالأقنية، وبناء القصور وتزيينها بالفسيفساء، وشهد لبنان علـــى أيـــامهم

نبوغاً ملحوظاً على مستوى كافة العلوم من قانون وآداب وفلسفة وتاريخ وجغرافية .

أما البيزنطيون ذوو الأصول الرومانية، فقد حققوا للبلاد نجاحات جمة وازدهارا اقتصاديا واضحا عن طريق انتشار تربية دود القز، وبرعوا في فن عمارة الكنائس، ومعاهد الدراسات الدينية التي عنيت بتخريج الأساقفة ومدرسة الحقوق عام ٢٠٠ بعد الميلاد والتي انبثقت من أساتذتها مجموعة القوانين الرومانية ، وكانوا ملتقى للحضارات بين الشرق والغرب، وظل البيزنطيون مهيمنين على البلاد حتى انتصار العرب عليهم في معركة اليرموك عام ٦٣٦م .

وبدأت التحولات الجديدة تتبلور وتأخذ مجراها الزمني إثر الفتوحات وهجرات القبائل العربية من شبه جزيرة العرب الى لبنان وانتشار الإسلام والمسيحية، وظهور الأمراء على رأسهم التنوخيون حكام بلاد الغرب، والمعنيون الذين تسلموا الشوف منذ الألف الأول للميلاد وساروا على خطى أسلافهم الحضاريين في سياستهم الإقتصادية والعمرانية، وخاصة أميرهم فخر الدين المعني الثاني الذي جعل من منطقة الشوف جنة ريفية تزخر بشتى مصادر الإنتاج على مستوى لبنان والعالم، كما أولى مدينتي بيروت وصيدا الجانب الكبير من اهتماماته.

كانت مادة الحرير عصب الحياة الإنتاجية زمن فخر الدين، ونبع الثروات التي من خلالها تشكلت العائلات الأرستقراطية الحاكمة، وكثر فيها ظلم السيد للعبد، وبلغ فيها عدد معامل الحرير التي تملكها الأغنياء بحسب الإحصاءات ١٥٧ معملا، تليها الصناعات المحلية التي ورد ذكرها

كصناعة الزبيب والمعاقيد والدبس العنبي والعرق والنبيذ من عنب الكروم ، وماء الزهر والورد والزهورات البرية والجبنة واللبنة والسمن والكشك والمخللات والآورما والعسل ،وغيرها من منتوج الحقل والحيوانات اللبونة، وكثر بناء الأتن لصناعة الكلس، والمشاحر لصناعة الفحم والطواحين والمعاصر والمطاريف والطوابين والتنانير للخبز والصاجات، والسروج، والأنوال لحياكة النسيج وغيرها من تقنيات الحضارة البدائية التي وفرت للإنسان اللبناني ضروريات العيش .

غريفة ـ نشأتها ـ موقعها الجغرافي
مواردها معالمها الأثرية

قبل الدخول في تفاصيل الأمثال والحكايا ، تعالوا معي لأريكم جمال قريتي الشوفية الشويزانية المتواضعة، مسقط رأسي وقدري وذكرياتي، والتي تتكئ على كتف جبل الشوف الغربي الأعلى الممتد من النهر الأولي جنوباً حتى طريق دمشق بيروت شمالاً .

هذا الجبل الأشم الذي شهد مرور الغزاة من فرس ويونان ورومان وصليبيين ومماليك وأتراك، انتهاءً بالانتداب الفرنسي .

للجيولوجيا الطبيعية فضل كبير على قريتي، فلولاها لما تشكلت حروفها، ولما انبسطت جروفها فاتحة ذراعيها للقرى المجاورة .

وتعود تسميتها إلى اللغة السريانية (griffé) وهو أسم مفعول مفرده (grifa) من جذر (graf) يعني جرف الجبل، وقد أحاطتها سلسلة من الأكمات الشجرية الكثيفة إحاطة السوار من المعصم فتكوّرت واتخذت شكل "الغُرَيفَة" مصغّر " غَرْفَة " أو "الكَيلة " المعتمدة عند القرويين لنشل الزيت والزيتون من الدغاير، والحبوب من الكوايز، وغيرها من الإستعمالات المتعددة، وسميت غريفة لأنها انغرفت من إقليم الخروب والتحقت بالشوف بحسب معلومة السيد سليم نسيب رحال عضو بلدية غريفة.

تمتاز قريتي بموقعها الجغرافي المميز ، إذ تقع بين الجبل والساحل ولا يفصلها عن عاصمة لبنان بيروت، سوى خمسة وخمسين كيلو متراً يحدها

شمالاً عينبال، وشرقاً مزرعة الشوف وبيقون، وغرباً حصروت وداريا وجنوباً بسابا والمطلّة .

طرقات الاتصال الرئيسية تبدأ من الدامور ، بيت الدين ، بعقلين أو من وادي الزينة ، شحيم، غريفة، أما الطريق التي تصلها بالغرب فهي طريق قبر شمون - جسر القاضي، بشتفين، كفرفاقود ،دير بابا، بيدر الرمل، كفرحيم، دير دوريت، بعقلين، غريفة. ومن البقاع فطريق الاتصال تبدأ من الشتورة، مريجات البقاع، ظهر البيدر، المديرج،عين داره،العزونية، أغميد،مشقيتي ،نبع الصفا، عين زحلتا،الباروك، بتلون كفرنبرخ، معاصر بيت الدين، بيت الدين، بعقلين، عينبال، غريفة.

يساهم باعتدال مناخها كثافة الأشجار الحرجية والمثمرة ، وخاصة شجر الزيتون الروماني الذي يغطي ثلاثة أرباع مساحتها، ويقدر بحوالي ٣٦٠٠ عقاراً ، ويشكل موسم الزيتون مورداً رئيسياً لسكانها، إضافة إلى فاكهتها البعلية اللذيذة كالعنب ، التين، الرمان، الاجاص البري، التوت الخرنوب، الزعرور ، وغيرها من الثمار البرية، كل هذه الفصائل الموسمية تشكل بدورها موئلاً للطيور وصياديها .

وتحتوي على أربع معاصر للزيت من الطراز الحديث ، ومصنعاً لصناعة الخرطوش يملكه سعيد حمادة وقد نقل حديثاً إلى منطقة (البصّيل) خارج البلدة خوفاً من الانفجار ، وكسارتين للبحص ومعملٍ لصناديق الفاكهة، وهنالك مشروع قيد التحضير لحمية حيوانات في أحراج القرية .

كانت هذه البلدة تعتمد في القدم على نبع ماء واحد ، هو نبع عين الضيعة الذي بناه بريقع منذر بداية القرن الثامن عشر م، وكانت مياهه شحيحة جداً مما اضطر الأهالي للسهر ليلاً والوقوف بالدور لساعات طويلة بقصد تعبئة الجرار والأواني .. سقى الله أيام زمان، وزمن "النطرة" بالدور ، وقد عمد الأهالي عبر هذا التقتير إلى جر المياه من نبع عين الدلب عام ١٩٣٢ م وهو نبع قوي يبعد عن البلدة مسافة ثلاثة كيلومترات تحت إشراف مختار القرية أمين حسين شبلي حمادة ، وهو من الأسر الثرية ورث المال والسلطة ورضى السلطات عن والده ، وصار يذبح بظفره.

وأقام الأهالي في كل من الإحياء (نقطة) أو مكاناً لتجميع المياه سميّ حاووزاً، ثم انفرجت أزمة المياه نهائياً بعد وصول مياه نبع الصفا الباروك إلى كل المنازل، وأصبحت عيون الماء أو الحواويز من الطُرُز التراثية العريقة الحافلة بالذكريات .

كما تشتهر قريتي بأمكنتها السياحية والتراثية العريقة أهمها : نبع الحمّام الذي يشق طريقه عبر الطرف الغربي من البلدة بين أشجار الصفصاف الوارفة الظلال، والذي يغزر ماؤه في الشتاء ليصل إلى خراج بلدة الدامور عبر سلسلة من الأنهر الجارية تبدأ من بعقلين، غريفة ، داريا أو معصريتي ، رشميا، جسر القاضي، لتلتقي جميعاً في مصب واحد يدعى ملتقى النهرين .

وقد أقيم على ضفتي النهر العديد من المقاهي والمنتزهات المعدة خصيصاً للباربكيو (Barbecue) والمسابح الخاصة بالأطفال، والبركة

العميقة الزرقاء لسباحة الكبار، أضف إلى ذلك أنه نهر غنيّ بالأسماك يطفىء شهوة الهواة من الصيادين الوافدين إليه من كل مكان .

عبر هذا الجو الرومنسي السحري الخلاب ، يعتريك شعور الانسلاخ التام عن واقع العصر ، والزحف عبر ذبذبات الحنين إلى الماضي مئات السنين بل الألوف إلى الوراء ، حيث المطاحن القديمة التي بناها الأجداد في العهد الوسيط مازالت قائمة حتى الآن على جنبات النهر ويكاد يتناهى إلى سمعك صدى قرقعة الرحى وهي تدور وهمهمة وجلبة الفلاحين الاشداء أثناء نقلهم خيَش الحبوب من الطواحين وإليها وأهمها:

١- مطحنة الخرّوبة التي كانت تتغذى من سد نهر الحّمام .
٢- مطحنة المستلقية المبنية في الجانب الأعلى من الجسر.
٣- مطحنة الخولة التي تقع بين غريفة وبعقلين والتي كانت تتغذى من مياه نهر الهري بعقلين حالياً ومياه نهر الحمام غريفة.

ومن أروع ما خلفه التاريخ لهذه البلدة ، جسر الحّمام الذي بناه الرومان قديماً ليكون ممراً لهم إلى قرى إقليم الخروب وصيدا إبان الغزو المتلاحق للوطن العربي، بدءاً بالصليبيين على رأس قائدهم الكونت ديدرو (conte dedro) أواخر القرن الحادي عشر ميلادي ثم المغول والمماليك الذين استولوا على عاصمة الخلافة العباسية بغداد بداية القرن الثالث عشر م ، ثم الفرس الذين قضوا بدورهم على سلطة المغول نهاية القرن الخامس عشر، مروراً بالعثمانيين بقيادة السلطان سليم الأول الذي قضى على زعيم المماليك، انتهاءً بالفرنسيين بقيادة نابليون بونابرت منتصف القرن السابع عشر ميلادي والذي قضى بدوره على المماليك بسبب رفضهم لعقد معاهدة معهم .

* النَطْرَة : الانتظار .

نهر الحمّام

صفصافهُ يحنو على قطراتهِ ... وينامُ في مهدٍ من الألوانِ

يجري تخدّرُه لمسة نسماته ... فكأنهُ متوقفُ الجريانِ

صخرٌ يلامسهُ ، يقبّل جفتهُ ... فيميسُ غنجاً ساحرَ الأردانِ

والشمسُ تسبحُ في بهاء ألوانه ... بالتبر تصبغه وبالمرجانِ

في مائه خمرٌ معتقةُ الجنى ... أقداحُها من كوثرٍ وجمانِ

سكرانُ من وحي الحنينِ إلى اللقا ... يشدو ويطربنا بغير لسانِ

سكبَ الهوى في راحتيه موائداً ... فَرَنا ينادي الناسَ بالألحانِ

زُرهُ ولا تحمل بكفكَ خمرةً ... فالكأسُ تترع من ندى الأغصانِ

نهرُ الحمامِ شعرتُ أنيَ ساجدٌ ... بين الغصونِ بسدرةِ الرحمنِ

أتلو مع الصفصافِ آياتِ الغوى ... واقولُ ربي قد بلغتُ جناني

قصيدة للمؤرخ الشاعر
حافظ أبو مصلح

التحولات وقلق التعاطي

تأثرت قريتي على مر التحولات بكل وافد جديد، وأفرجت له عن أسرارها وأساريرها، فبدت مهللة مصفقة حيناً، منددة مناهضة أحياناً أخرى مساهمة بالكثير من ذخيرتها شاءت أم أبت، مقرة بأن لا حيلة لها بانتقاء ضيوفها .

غير أن هذه الطاعة العمياء لمسلمات الواقع رغم سطوتها، جاءت بالنفع على أهالي القرية المنهمكين دائماً بلقمة عيشهم، فحركت فيهم نزعة الاستطلاع، وأكسبتهم ما امتنع عنهم من خبرات ومهارات وعلوم حياتية مختلفة، سيما وأن قابليتهم للزهد والتقشف كانت تشدهم الى الوراء، وباتوا على وشك التقوقع والانكماش لولا حرارة التعاطي التي فرضها تردد الغرباء الى القرية بحجة الاسترزاق من تجار أقمشة بيارتة وباعة صرامي وأساكفة أرمن الى حَمَلة الشنط الشامية الطافحة بالقطنيات والبشاكير والقباقيب والجوارب والحلاوة الجوزانية وعلك البانة والملبس عقضامة، وغيرها من المأكولات الشامية اللذيذة، ومبيضي الأواني النحاسية، والبياطرة ، وجباة الميري والنذور، والشحّاذين على مختلف أنواعهم والمبشّرين اليهود والنصارى والمنجمين، وقارئات الكف والوَدَع من نَوَر ومغاربة تفردوا بالحيلة والدجل والكذب والسرقة، ومارسوا أنواع الكسب السريع، وخاصة الأطباء المغاربة المتحولين على ظهور البغال حاملين في خروجهم شتى أنواع الأحجبة والعقاقير والطلاسم والأعشاب لمداواة الناس، وفك المربوط ، والكشف عن المسامن والكنوز

وقد طغوا كالجراد على القرية، حتى كادت أزقة القرية وحاراتها تخلو من المارّة عند الدغوش تحسباً واجتناباً بسبب تعدياتهم، لكن سرعان ما كانت تعود القرية الى سابق عهدها في صباح اليوم التالي، لتفرج مجـــدداً عـــن أبنائها، وكثيراً ما لجأ الأولاد أثناء تخاصمهم في اللعب الى تخويف بعضهم البعض بالمغاربـــة ، متراشقين بهـــذه الكلمات " إجتلك النوريـــة ..!" " إجـــالك المغربي".

لكن بقدر ما أثاره دخول الغرباء الى القرية من قلـــق وتـــساؤل وحشرية عند الأهالي جعلهم يتهافتون على الجديد بنهم وإقبال جليين و لم تبقَ شاردة وواردة إلا وأخضعوها لمخبرهم، ومشرحة تفاصيلهم وأسئلتهم المحرجة الدقيقة .

وبعد أخذ وعطاء، وانكماش وانطلاق، قيّض لأهالي قريتنا عـــبر هذا التمادي النهوض من عزلتهم، والإقبال بمواهبهم الدفينة العذراء على شتى العلوم والمهارات، فطفحت كوايرهم إضـــافة الى خيرهـــا الـــوفير وفاضت بغنى الجديد الذي أكسبهم ثقافة وتألقاً .

* **البشاكير:** مفردها بشكير في المصطلح الشامي ، يعني منشفة الوجـــه.
* **علك البانة:** العلك الشامي الحليـــي اللون المستخرج من صمغ الشجر. ونسبت هذه الكلمة الى اللبان أو جبل لبنان الأبيض الذي تكللت جباله بالثلوج وشجر الأرز والشربين والصنوبر الغني بالصموغ والبخـــور.

محاويش على سن ورمح

لعمري فقد أصاب النقاش عين الدوري، وأبدعت عدسة تعليقه حين استظهر مزايا قريتنا وأطلق على أهاليها لقب المحـــاويش لتميـــزهم بالفطنة والبديهة وسرعة الاستباق وحب التحرش.

والنقاش الذي دوّخ الناس ، وعمّت سيرته الأماكن رجل ككـــل رجال العالم ، إنما على جانب كبير من الجرأة والوقاحة ، فرض ذاته على أهالي القرى السذج المتعطشين الى كل جديد ، وكان ملماً " بالتمسكن " واختلاق الأعذار ، فاندس في الحارات والطرقات ممتـــهناً شـــتى أنـــواع الكارات ، جامعاً ما تيسر له من أسرار وملاحظات .

وكان هذا الرجل المدعو أديب من عائلة النقاش من قرية المتن على ذمة النقيب نبيه فيصل، مسناً في عقده الخامس ، نحيل القامة دلع اللسان لايعصى عليه جانب ، وكان موظفاً في دائرة الطابو العثمانية منتـــصف القرن التاسع عشر، وكلف للقيام بأعمال المساحة بعد صدور التنظيمات في قضاءي الشوف وعاليه ، ولهذا فقد استطاع أن يفرض ذاتـــه باســـم القانون تحت راية الدولة العلية ، ويترل ضيفا على مشايخ الصلح ومديري النواحي والأفندية والباشاوات .

ويحكى أنه امتهن حرفة التصوير ، وانتحل إسما أرمنيـــا ، وحمـــل "سيبته" وآلة تصويره البدائية وتنقل في الأحياء مناديا : (بارون بيصوّر) وكان الناس يتهافتون عليه ويتصبرون أمام عدسته ليقوم بتصويرهم بعـــد أن يربط رقبة زبونه بربطة عنق كان يصحبها معه إلى كل مكان ويغرق

رأسه بكيسه الأسود الدامس ، ويفقس الزر ، والله أعلم كيف كانت تظهر الصورة، لكنه بعد أن كلّ وملّ من "مقالشة" الناس والتعرض لمطاردة الأولاد في الأزقة والحواري،وفشّات خلق النسوة و"فعطاتهن" عند حلوله ضيفا ثقيلاً عليهن ، قرر أن يطلق على القرية لقبها الملائم ويرحل ، لكن لسوء طالعه وقع في قبضة جدتي، حينما ضبطته متسللا الى حوش دارها دون "إحم" أو دستور، كأحد أفراد العائلة مندفعاً نحو مصدر الرائحة المنبعثة من اكواز التين المعطرة الممسّكة المرفوعة الى الموقد في الخلقين .

أثناءها كانت جدتي في قمة غضبها " تحكش " نار الوقدة الفطسانة التي كانت قد أضرمتها تحت حلة المعقود بعد أن أصبحت نارها عسّاً بقضيب يشبه المحواش، فلا تستجيب لها، بل تشاكسها بدخان حنقها الكثيف، وكأن لها عند جدتي ثأراً قديماً ، وقد نفدت حيلتها وشارف الوقت على " الدغوش "، فانهالت على الرجل الماثل أمامها بالشتم والتوبيخ مسلطة سيف لسانها الجارح عليه، صائحة به : (يصيبك ينيبك مْنين خلقت ..؟) فبدا الرجل كالقملة المفروكة ينزّ خجلا وخيبة ويلعن عقرب الساعة الذي أعلن قدومه.(خَي مستاهل..!) لكنه سرعان ما شفي من توبته ليعود مجدداً الى سابقته، فتراه بين حومة الأولاد المنهالين عليه من كل جانب بقضبانهم ونقّيفاتهم كالفأر المقيت، فيلوذ هارباً من شر تعدياتهم، ولا يعود للظهور قبل أن يتواروا نهائياً عن ناظريه، فقلما افتقدته "لمّة" وجمعة ، إلا ومهرها بخاتم حضوره وتعليقه.

فكان جواداً منانا يقابل الشيء بالشيء ، ويغدق على المحسنين والمسيئين إليه من فيض إلهامه كل بحسب ميزانه وميزانه.

وقد ترك المحواش للنقاش ، ذكرى ورطة أليمة ، خلته بعدها نادماً تواباً، لو لم يقع في قبضة أهالي شارون "الجرديّين" الذين لا يحتملون الزكزكة، فاستراح على أيديهم وأراح الناس من همومه.

جل ما وقعت عليه عين النقاش من أشخاص وصور وأماكن أثناء تجواله الإستخباراتي المركز بين قرى الشوف ونواحيها، كانت ذات سمات وحدوية تراثية عريقة ، مسبوكة ومصكوكة بقوالب الانتماء الفعلي إلى الأرض، بحبرها وتبرها، بمسكها وعنبرها، بعودها وعنقودها،ومزايا شحناتها وعطاياها اللامتناهيتين.

- المقالشة :المعاشرة والإحتكاك بالناس.
- فعطاتهن:تعاملهن مع النقاش بعصبية.
- تحكش: تنكش
- نقّيفاتهم : مفردها نقّيفة وهي كناية عن غصن خشبي يابس معقوف، ثُبتت الى آخره مطاطة ابتكرها الأولاد لنقف الحجارة أثناء لعبهم.

* المحواش: مردها الى الفعل الأصلي حاش الشيء أي استحوذ عليه وحوّش الشيء أو المال وادخره، والمحواش كناية عن عصاة خشبية دقيقة كثر استعمالها في حظائر البهائم والبساتين متعددة الاستعمالات استخرجها الإنسان القديم منذ بداياته من شجر الصنوبر والأرز والدلب والسنديان ، كوسيلة للدفاع عن ذاته من هجمات الوحوش الكاسرة ولمساعدته أثناء تنقلاته في الغابات والأحراج والدروب الوعرة ، وكما

قيل : " الحاجة أم الاختراع "، فقد تطورت المحاويش بتطور الحياة لتتخذ أشكالا جديدة منها:

الحراب : ذوات رؤوس حديدية وحجرية مسننة استعملت في شتى أنواع الحروب والمعارك.

المجاذيف : لقيادة القوارب منذ الفينيقيين أرباب صناعتها.

الخوازيق : كثراستعمالها إبان الاحتلال العثماني،وقد استعملها السفاك والجزار كأداة لإعدام الرجال المشاكسين وتمزيق أحشائهم.

المساسات : لتحفيز عمل الثيران أثناء الفلاحة.

المطاريف : مفردها مطروف ، ويستعان به لطرف الزيتون و الصابون أثناء طبخه وشرش لطاخ وكل مادة لزجة.

المفاريط : واحدها مفراط يستعمل لفرط شجر الزيتون والصنوبر والبلح والجوز وغيره من ثمار الشجر الباسق .

الغطاغيط : مفردها غطغاطة ، تستعملها النسوة لتقليب الغسيل ونشله من حلة الماء المغلي .

القضابين : المقتطعة من أغصان الشجر بمختلف مقاساتها ،أكثر من أن تعد وتحصى ،يستعملها الأولاد للحركشة والنكرزة ببعضهم البعض والحكش والنكش في الأبياش والدباشي لأسباب مختلفة.

عصي الشيخوخة : رفيقة الإنسان الدائمة من مهده للحده ، تولتها يد الفنان فأبدعت بصقلها وتطعيمها بالعاج والنحاس وجعلها ذوات رؤوس وهيئات مميزة ومعبرة.

معصرة الزيتون القديمة قبل تحديثها وتحويلها الى مكبس يدار بالكهرباء

وهي كناية عن مطروف أقيم الى جانب الطاحون، فيه تنّور يملأ بالزيتون ويسلط عليه قضيبان من حديد تحركهما قوة الماء، ويستمران بخبطه وطرفه حتى يصبح كاللبن الرائب، ثم يعبأ بالقفاف، ويرصف فوق بعضه البعض في حفرة مخصصة ثبتت عامودياً لهذه الغاية في أسفلها قناة ممدودة ومتصلة بالبئر، ومتى أمتلات الحفرة بالقفاف، يضغط عليها بآلة خشبية وزغل كبير فيسيل الزيت وينساب الى البئر رائقا صافيا، ويكون في مجمله زيت زيتون نظيفاً ونقياً ، ويدّخر للمونة يدعى زيت قطف، ثم يعاد تحريك بقايا الزيتون المعصور بملاعق كبيرة تسمى (الريش) بعد إضافة الماء الساخن إليه ويسمى زيت (صوصة) إي زيت مزغول يستعمل عادة لصناعة صابون القطرون، أما بقايا الزيتون "المهل" أو "الجفت" فكانوا يحتفظون به لإطعام المواقد في الشتاء .

معصرة العنب

أنشئت معصرة العنب على بلاطة صخرية مسطحة ومستديرة ترتفع حفافيها عن مستوى سطح البلاطة ٦٠ الى ٨٠ سم ترصف فيها العناقيد وترش بالحوّارة البيضاء، لتسريع تركيد عصيرها، ثم يقوم البّراكون بدوس العناقيد وتخبيصها بأرجلهم النظيفة الى أن يراق عصيره كاملا، ويترلق في مزراب من الجهة الأمامية المنخفضة، ويستلقيه برميل كبير خصص لهذه

الغاية، وبعد أن يتم عصره، تحزم (جماليش) العنب ويكبس بجسر وزغل ثقيلين، لاستنفاد آخر نقطة من عصيره، ثم ينقل السائل الى خلقين ويغلى على النار لتعقيمه وتنقيته من شوائب التراب والأرجل ليركد ويروق ويصبح صافياً، ثم يرفع الى النار مرة أخرى، ليتماسك ويتكاثف ويشقر لونه، بعد تشليته بالمشلاية،يعبأ بالدسوت لنقله الى المنازل، وتعبئته في جرار خزفية وطرفه جيدا ليتخذ شكلا ولونا لائقين، ويصبح جاهزا للأكل .

معصرة الدبس

هي ذات حجر كبير شبيه بمدرس الزيتون، وفيه تتم عملية هرس الخرنوب اليابس، وتكديسه وتخميره،ثم نقله الى الدغاير "بالكولك" المخصص لهذه الغاية، ونقعه بالماء مدة ثلاثة أشهر لاستخلاص المادة السكرية منه، فمصيره كمصير العنب بعد عصره ووضعه بالخلاقين ورفعه الى النار ليغلي ويشلىّ بمغرفة ذات ثقوب الى أن يتكاثف ويصبح دبساً شهياً كستنائي اللون ذا نكهة خروبية لذيذة تفوق كافة النكهات، إضافة الى أكلة "المقيقة" المستخرجة من عصيره الأخضر، والتي يحتفى بها قبل يباس الخروب .

أما أكلة الدبس بالطحينة، فهي من الأكلات اللذيذة والمستساغة عند القرويين، وخاصة " عروسة الدبس بالطحينة " حيث يتهافت عليها الأولاد أثناء اللعب بشراهة وقابلية، وعروسة بزيت وزعتر ، وأخرى بدبس بندورة وزيت زيتون بلدي ، كل تلك الأصناف الشهية مكونة من " دامة " البيت التي لا علاقة لها بأطعمة المدينة .

وكلما حل الشتاء، وأطلت عروسه البهية بثوبها النفنافي الأبـــيض الباهر، وغطت حفافي الشرفات وسطوح المنازل، استبشر الناس بها وهللوا لوهجها اللؤلؤي الخلاب، وحفنوا من حبيباتها النقية حفنات وحفنـــات ليتراشقوا بها وليتذوقوا حلوى الشتاء الموسمية " اليقسما" المكونة من رذاذ الثلج النقي كما درجت العادة بعد إضافة دبس الخرنوب إليهـــا أو مـــاء الزهر والورد وعصير الليمون والبرتقال كل بحسب النكهة التي يستسيغها ولذعة الصقيع التي قد تتسلل عبر أسنانه الى بدنه أثناء التفافه حول الموقد وتشعره بنعمة الدفء والكفاية التي يفتقدها الكثيرون.

- الكولك والمشلاية: كناية عن غَرفَة ذات ثقوب واسعة تـــستعمل عادة لتشلية الدبس وصابون القطرون وغيرهما.
- الدغاير : خوابي خزفية مستعملة لحفظ المؤن.
- العروسة : سندويش يتناولها الأولاد بين وجبة طعام وأخرى.
- الدامة : أغذية رئيسية معتمدة ذات نكهات طبيعية مختلفة.
- اليقسما :أكلة موسمية مكونة من الثلج الممزوج بالعصير الطبيعي.
- المقيقهـــا : حليب مخـــثّر بعصير الخرنوب الأخضر.

حجر المعصرة

موسم قطاف الزيتون
ومظاهر العونة

يبدأ فرط الزيتون عادة في أوائل الشتاء، بعد أن يسوَدّ لونه أو يتوشح بالإحمرار، فترى الناس كباراً وصغاراً، يهبون مع الفجر ليتعاونوا على جنيه حاملين سلالهم ومفاريطهم وصرر أطعمتهم بمنتهى السعادة والهمة والنشاط كأنهم على وشك رحلة استجمامية، فلا تأفف أو شكوى صادرة عن أحدهم أو كلمة اعتراض، ففي جو تسوده النخوة والألفة وحب التعاون، تشكلت خطوط اللوحة القروية التراثية، وتوشت بعرق الماضي الحلال حيث كان التعاون قاسم سلامهم العام المشترك فترى الناس يتعاونون بطيبة خاطر منكبين على أعمالهم كل بحسب خبرته ومقدرته، فالرجال يتولون تسلق الشجر وفرط الزيتون فيما النسوة تتسابقن بخفة الفراش لتحويش الزيتون وجمعه في القفف، وكثيراً ما كنّ يتعرضن لوخز شوك القندَوْل والبلاّن وللخدوش والجروح بفضل الحصوص المتطرفة والمترلقة في حوافي الجلول والدباشي والخساسيف، وبين صرارات الحقل الحادة المسننة، فكن يتغاضين عن كل ذلك ويتابعن العمل بنشاط الى أن يحل موعد الغداء ويقرص الجوع الأمعاء، فتجتمع العائلة تحت كتف جل أو شجرة وارفة الظلال، وتمجم الى الزوادة المكوّنة من حوائج البيت والحقل: بيض مسلوق ، مضرضرة ، جبنة بلدية ، لبنة سردالة مدحكلة ومكبوسة بالزيت وبضعة كويزات من البصل والتوم ، زيتون جرجير ، وسليقة برية مقطوفة من حوافي الكروم : قرص عنّة ، شبيكة صبينخة ، هندبة ،حمّيضة ، دردر ، وخبز تنّور أو طلامي مقمرة من خلاصة طحين القمح الأسمر الصافي ، ونعارة ماء معبأة من نبعة

الحقل تحاشياً للغصة، والله يبارك بالعائلة القروية التي كانت تحترم الـــزاد، ولا تبقي على شيء من أثره.

وبعد الإنتهاء من قيلولة الغداء وشرب المتة والشاي، تعود عجلة العمل الى سابق دورانها، ويتأهب كل من في الحقل لحزم خيش الزيتـــون ورفعها الى ظهور الدواب قبل الدغوش، وفـــور وصـــولهم الى البيـــوت يفرغون محتويات الخيش والسلال في أطباق من القـــش، أو في صـــواني معدنية قبل حلول التعب عليهم، وتبدأ عملية تنقيـــة الحـــصوص مـــن الشوائب، وفرزها ما بين صالح للكبس والرص والتسبيح والتجريح وينقل ما تبقى من الزيتون الى المعصرة لاستخراج الزيت منه، ويكون عادة على مترلتين: باب أول وباب ثان، ثم يعبأ في مظروف من جلد الغنم والمـــاعز وينقل الى البيوت ليستقر أخيراً في الدغاير الخزفية، أما الزيت الحاد العكر باب ثان، فيستعمل عادة لصنع صابون القطرون .

كان لموسم القطاف عند القرويين، أي قطاف كان، قمح،زيتون خرنوب، حرير، صنوبر، عنب، تين، وغيرها مـــن المحاصـــيل الموسميـــة احتفالات تقليدية وطقوس افتتاحية وختام ، تؤكد عرفان الإنسان لجميل الطبيعة الأم عليه ولما تكنه له من عطف وشفقة، فكانوا قبـــل أن يحفـــظ الزيت الجديد في غرف المونة ، وتتبدد رائحته الزكيـــة مـــن الأنـــوف يعمدون الى تحضير أكلـــة (البعيّـــة) فيغرفون من الزيت الجديد غرفـــة ويفرغونها في صينية معبأة بالماء الساخن ثم يغمسون شرائح خبز القمح في الزيت المهيمن على صفحة المـــاء ، ومع حرتقـــــة الأواني وكركـــرة الأمعاء، تتسابق الأيدي لالتهام الطعام ، فترى "البلاكيم" الملأى بالبصل المشوي والرمان تنـــزلق في سرداب الأمعاء بنهم وقابليـــة،على إيقـــاع التبريكات وآيات الشكر.والحمد : (رزق السنة خير جديد).

لم تتوقف الاحتفالات على مواسم القطاف فحسب، بل طالت البهائم الولودة من بقر وغنم وماعز، فكانوا كلما حبلت بهيمة، وأطل رأس مولودها الجديد، استبشر صاحبها بالخير، ووزّع (اللبي) على زبائنه مجاناً، استدراراً للمزيد من البركة، وعملا بالمثل القائل: (الله طعمك كول وطعام) .

* اللبي : قريشة مكونة من حليب البقرة الحائر في مرحلة نفاسها.

* البلاكيم : مفردها بلكوم أي اللقمة.

بكوانين كن ببيتك ، وكتّر حطبك وزيتك

كان فصل الشتاء لشدة تحنانه، يفرض على الناس المنكبين على أعمالهم في الحقول طيلة فصول السنة الثلاثة راحة قسرية، وقبل أن يكتئب أيلول وتمجم المربعانية، يكون الفلاح قد جمع غلاله وباعها أو قايضها على بعض منتوجات المدينة، وحمل فرّاعته وشطّف حطباته ونقلها الى البيت طعاماً للمدفأة، فيما تتفرغ ربات البيوت من عجائز وصبايا لتحضير مونة البيت من مجففات ومخللات ومعاقيد وغيرها من استعدادات الضيافة، حيث تحلو السهرات والحكايات حول الموقد وشيّ الكستناء والبلوط وحياكة الصوف ، ولعب الورق، "والنقار والقلقلة" واستقبال الضيوف والتفرغ لصناعة الكريما البلدية (شرش لطاخ) بعد نقعه بالماء وغليه على النار وإضافة السكر إليه حيث لم يكن يربى إلا بخفقه المتواصل، وطرفه وضربه على يد كذاب ماهر بحسب المعتقدات، إضافة الى سلق القمح وشيّ الحمص المبلول على (الستوف) أي وجاق الحطب وطبخ الكشك بالقورمة، والهريسة، والمخلوطة، وغيرها من الأطعمة التي تختزن حرارة عالية .

بنيسان صار الحكم للنسوان

كان لكل موسم من المواسم نكهته وانطباعاته المميزة على الوجوه، وخاصة موسم الحرير، موسم الوعود بالخطبة والزواج، وشراء الهدايا والثياب الجديدة، وتمزيق (الكمبيالات) أي سندات الدين بالفائدة والرهن، وتغيير عفش البيت، والزوجة إذا أمكن ..! وكانت المرأة في هذا الفصل تحكم بإيدها وبإجرها، لما كان يتوجب عليها من أعباء إضافية داخل البيت وخارجه جراء عنايتها بالدود، ومثلها في موسم القطاف والحصيدة ، وحواش الزيتون والعفارة ، والخبيز والعجين ، وفرك الكشك، وتصويل القمح وتنقيته وغيرها من الأعباء الكثيرة المتوجبة عليها، على مدى مشاركتها العملية الشاقة للرجل، قبل حلول العصر التقني الذي وفر للناس الراحة الكافية عبر آلاته المتنوعة، والتي حملت للناس في وجهها السلبي أسباب الكسل والاتكال والتراخي.

الكروم الذهبية ، وخمرة الشوف

كرم مالك،كرم العقبة، كرم القاطع، كرم الجورة ، كرم مدلج كرم السباحية، كرم مرجان، أماكن حفلت على مر الحضارات بوفرة الكنوز واللقيات والمسامن المطمورة في التراب منذ الفينيقيين الساميي الأصل، كما ضجّت بمواسم القطاف وجلبة الفلاحين النشطين والكرّامين المقبلين بسلالهم وعدولهم الملأى بالعنب والتين والزيتون والخروب الى المعاصر التي أنشأوها في البيادر والكروم تسهيلا لعملية عصرها ، إضافة الى الزبيب والتين المبعّج والمشرّح الذي كانوا يسطحونه في البيادر

لتجفيفه تحت أشعة الشمس وعلى أغصان الوزال وورق التين، لتقديمه كنقل شهي للضيوف في سهرات الشتاء الطويلة المملة، الى جانب الجوز واللوز والصنوبر و"القضامة عسكر" والراحة والبسكوت والزلابية والبلوط المشوي على (الستوف) وغيرها من حلويات وعطيات الطبيعة الخالية من الغش ، والتي كانت تتباهى بتقديمها ربات البيوت .

اشتهرت قرية غريفة أسوة بباقي قرى الشوف، بقدم كرومها وجودة خمورها التي كانت تقدم كجزية لفاتحي البلاد أيام سليمان الحكيم كما ورد في التوراة، والتي تغزل بخمرتها ابن المؤرخ الشامي فضل الله العمري في القرن الرابع عشر .

ومن الطبيعي أن تنسب الكروم لأصحابها وخدامها الكرماء خاصة المحظيين منهم بشهادتي : الشاعر الفرنسي la Martine والناقد الأديب مارون عبود اللذين خبرا عادات وحسنات هذه المنطقة، وتعاملا مع أهاليها تعامل المنصف الرؤوف .

ولكم تغنى أبو النوّاس بعراقة الكروم وبعصيرها المعتّق البّراق حينما جعل نشوء الخمرة مع نشوء الخليقة، فالشهادة النوّاسيّة شهادة حق ، وزوربا الشاعر اليوناني الذي أدهشته أمّات الكروم الحرمة الملتوية التوّاقة للحمل، المثقلة بحموم العناقيد التي ما إن تلفحها الشمس، لتصبح بين ليلة وضحاها ، عنباً ذهبياً لذيذ الطعم تترصده بنات آوى، أو تطأه الأقدام، فيندى عن دموع سحرية خمرية اللون تشعرك فور احتسائها بنشوة احتواء الكون .

صبحك بالخير..!العوافي..! عالبَرَكــة..!تفــضلوا جابرونــا..! عبارات لا يملك خبرة ترادادها سوى القرويين الملتزمين بواجب الضيف وهي "كالحشكة" تحت اللحاف في عز زمهرير البرد الذي يقفل عليــك باب دارك ، ويجعلك أسير موقدك وحطباته، ورماد سهراته وأمسياته، ولا يفرج عنك إلا بإلحاح منك .

فالكرْم يدعوكم لمأدبته العامرة الغناء، فهلا اســتجبتم لدعوتــه الجوّادة التي قد يعجز عن تلبيتها ومضاهاتها الكثيرون من سكان البيوتات الثرية المبتلون بمرض الإنفاق العشوائي التافه، وسكان المجمعات السكنيــة الضيقة الغارقون بالهمّ والــدين حتى الأذنين، الهاجعون تحت (مــيري) الحكام أو الــ (T.V.A) العصرية التي جعلتهم يتحاشــون الاحتكــاك بضيوفهم ويعجزون عن تأدية واجباتهم الاجتماعية.

فالكروم والسلال ، لم تكن يوماً عرضة لتــهكم الأمثــال إلا في عصرنا هذا ، ومقولة: (رجع وسلّتو فاضية) لا تتفق مع دساتير الكــروم وعاداتها، بقدر ما تتفق مع القائمين عليها من نواطير وعملاء وممــسكي دفاتر. والكروم مهمــا تبدلت ظروفهــا وقوانينهــا، تغريك مزاياهــا الكريمة (بالفَيْقة بكّير) والغدوة إليها بمعية مفراط وقفّة ومعقيلــة تــين وكوز ماء وزوادة متواضعة .

حكاية بتنحكى

منعـــود للتـــاريخ بـــالفكرة ... ألـوف السنين تمـرّ رَمـشة عَـين

وصـارت الـضَيعَة لنـا ذكـرى ... إلفي كل وقفة عزّ رَجْحت عين

شوفو الدوالي الضاحكة التضرَة ... بكرومهـا اللّـي عمرهـا الفَـين

وهـاك المـروج ورودهـا غَمْـرَة ... وعطورها البتقول دخلك وين

مواسـم حريـر ومغـزِل السَمرَة ... يرقص بإيدا وكان يوفي الدين

وباقـــة صـــبايا بلَيلـــة القَمـــرة ... يحكـوا الحكايـا عَطريـق العـين

وعَكتـــافهن تتغـــتج الجـــرَة ... وتقـــول الله يجمـــع القلـــبين

وتتمَوْسـق الـضَحكات عـالحُرَة ... ويـصير وَرد خـدودها بلَـونين

يامـــا القمَـــر بعيونهـــا تمـــرَا ... وجوري حما توحَم على الخدَين

حَـصلة شَـعر عَجينهـا غُـرَة ... جدايلـــها شمـــيلات عـــالميلَين

حسنها انجلا مـن الرَوتـشة تبرَا ... آيـــة صَـــنعها ســـيّد الكـــونين

في خلقهـــــا وأخلاقهـــــا دُرَة ... يا سَعد من فيها حظي وهيهات

الحـــــــب الحقيقـــــــي ... يوحَـــــــد الـــــــروحَين

للشاعر الشيخ أبو رياض عبدالله العريضي

عيون الماء أو المناهل العذبة

لا شك أن لكل حاووز وعين ماء سلسلة من الذكريات والحكايا ارتبطت على مدار الأوقات بأكثر من جد وجدة، وحفيد وحفيدة، وعم وخال وعمّة كان لمرورهم على تلك الأماكن تأثيرات وانطباعات جمة.

بلغ عدد عيون الماء في قريتي ما يقارب العشرين عيناً، تلك التي حفلت دروبها بالمتعطشين الى تلقف أخبار الضيعة، والى جلسات القال والقيل والحركشات والنكرزات وضرب المواعيد بين الشبان والصبايا وعقد الإتفاقات والصفقات بين رعيان ونواطير الضيعة، وبيع الغلال وتوزيع ماء الري على المزارعين بالمداورة، الى ما هنالك من رهونات ومقايضات وغيرها.

وكثيرا ما شكلت أجران ماء العيون ميداناً لعراك النسوة بوقوفهن على الدور ، وأثناء قيامهن بغسل الثياب وتبحير وتفويح الأقمشة وتصويل القمح وما شابه، حيث كانت جولات العراك تستعر وتبلغ مداها، ولا تخمد إلا بتدخل المصلحين الذين كانوا يزيدون الطين بلّة أحياناً.

وعين الضيعة مهما تنوعت مشاكلها، تبقى الملاذ الأنسب لتفريغ شحنات الأنفس ، والتفريج عن القلوب، تلك التي استبدلتها العصرنة بالـ cafés trottoires و بالـ caves des rois وعلى الأصح بال caves des problemes ، وغير ذلك من تسميات لأمكنة لا تستطيع الدخول إليها إلا وجيبك منفوخ. فحبذا لو تزحف بنا الذكرى الى الوراء لنستمتع ولو بالحلم بما فقدناه .

فعين الحجل ، وعين وادي عاسوق ، وعين النحلة، والمزغـــرين وعين الست، وعين بو حسين ، وعين الشرَيفْة التي بناها بريقـــع منـــذر وعين الناصرة وعين خلّة التحتي ، وعين البحصاصا ، عين السوير، وعين السباحية وفيها بركة ماء كانت قد خصصت لسباحة ابنة الملك الروماني بحسب الأخبار المتوارثة والمنقولة من جيل الى جيل، ما زالـــت آثارهـــا موجودة حتى الآن في ملك نعّوم نصر ،وعين الشقفان ، وعـــين الخيـــار وعين أم إبراهيم ، وعين بيزون أو عين البصل، وعين النـــافوش، وعـــين القفزة ، وعين البلّيط ، وعين سالم . كل تلك العيـــون نـــسبتها الأيـــام لأشخاص أو أحداث مميزة كانت قد مرت عليها.

عين البحصاصا هي أقدم عين في القرية، بناها وحبَـــكَ أبياتهـــا الشعرية سليم حسن مذكور تحت إشراف مختار القرية سليم بن حـــسين شبلي حمادة.

آثرت نقل هذه الابيات الشعرية المنحوتـــة علـــى لوحـــة عـــين البحصاصا الصخرية بحذافيرها دون تغيير احتراما ووفاءً لأرواح الـــذين ألّفوها ونحتوها :

عينٌ بفضلِ غريفة قـــد أُنشئت
فغدت تقرُّ بها العيونُ وتنجلي
راقت فصارت منهـــلاً عذبـــاً
بلَّ الصدا وشفاء قلب المبتـــلي.

أغرف من زيتها غرفة، حفظتك آلهة الشفاء
عمر غريفة من عمر الزيتون

اعتبرت شجرة الزيتون الرومانية المعمرة المتواجدة بكثرة في معظم المناطق الساحلية والمتوسطة في قرى الشوف وجبل لبنان، رفيقة درب الفلاح في رحلة سعيه، منذ أن شمّر عن ساعديه، وسقاها من عرق انتخائه وصبره، فكانت له خير معين على احتمال قسوة العيش، لكثرة فيضها وتحنانها عليه، وقلة كلفتها وتكلفها .

وشجرة الزيتون البعلية المحسنة، ذات العيون المتدفقة خيراً وبركة كانت ومازالت أم الفقراء، ونبع الشفاء والعطاء والإعانة الربانية المتنكرة لكل رديء ظرفي طارئ، ولعل أمثالنا الشعبية المنبثقة من ذاكرة التراث قد عبّرت خير تعبير عن وفاء الفلاح للأرض ولثرواتها الطبيعية النادرة وحضّت على وجوب تكريس احترام النعمة وعدم التفريط بها، حيث ورد فيها ما يشير الى ذلك (كب الزيت خراب البيت) و(خبز وزيتون أحسن ما يكون)وغيرها من الأمثال التي ترمز بخصائص ثمر الزيتون وزيته الى الكفاية والليونة، والى السيادة المتواضعة التي وحّدت الحاجات وجمعت شمل العائلات عبر تصدره موائد الأغنياء والفقراء على السواء، فالزيتون كان ومازال شيخ السفرة ، وشيخ العادات والمعتقدات لا بل عميدها الذي لا غنى لنا عن إيحاءاته البليغة ورموزه الحكيمة، حيث به تفتتح وتختتم وجبات الامتثال لجودة النوعية، ولمدى فاعليتها من خلال الإقبال عليها بمنتهى الاحترام والممنونية.

وزيت الزيتون هذا السائل الشافي العجيب، دخل في شتى أنـــواع الإستعمالات والمظاهر والطقوس والمعتقدات، فكان مصدرا للنار والنـــور في الأسرجة والقبّولات، وكان مبعثاً لطمأنينة وقلق الأقـــدمين، ورمـــزاً لانطفاء الروح وعودتها، عبر انتعاش الشعلة وارتعاشها، كلما حلّقت في دنياهم ملائكة الحياة والموت، حيث كانوا يشبهون نفاد الحياة من جسد أحدهم ، الى نفـــاد الزيت من القنديل ، ويقولـــون (خلصو زيتاتو) أو (خلص عمره) الى غير ذلك من المعتقدات التي تشير الى شجرة الزيتـــون المباركة، وما يفيض عنها من خير وفير، فلنحفظ لهذه الشجرة الكريمـــة مكانتها، ولا غرابة لو كثرت المعاصر في قريتنا الكريمة، لكثـــرة زيتونهـــا وعنبها وتينها .

*** القبّولات مفردها قبّولة: وهي كناية عن خليط مكوّن مـــن الرمـــاد والزيت، كانوا يشعلونه قديما لإنارة السطوح والجبال والطرقات، يقابله هـــذه الأيام المصابيح الكهربائية.**

الحارات

لقد حملت كل حارة من حارات القرية اسم المكان أو المناسبة أو الأشخاص الذين سكنوها ، فحارة آل غصن في غريفة تعود تسميتها الى مكان إقامة عائلة غصن النصرانية في عصر تألق فيه العيش المشترك بين الدروز والنصارى .

- **حارة معن** : أو قلعة معن كما أطلق عليها ، ولربما نسبت الى آل معن وتحديدا الى أحد أمراء الشوف المعنيين الذي كان قد بنى له قلعة فيها.
- **حارة البيدر** : أو بيدر كرم علي ، وهو مكان لدراسة القمح منسوب لصاحبه .
- **حارة الكتان** : وهو المكان الانسب الذي استخدم سابقا لزراعة الكتان .
- **حارة الشريفة** : لإشرافها على الوادي .
- **حارة المريجة** : لإطلالتها المميزة على المرج الأخضر .
- **حارة العريض** : لفساحة طرقاتها .
- **حارة هلال**: مكان تواجد آل هلال في الماضي.، الذين قدموا من حلب أواسط القرن الثامن عشر على أثر حادثة المشدّ بناءً لأمر الوالي التركي، فسكنوا البنيّه وكفرمتى وغريفة وما سمي بشوف بني هلال.
- **حارة الشقفان** : وهي على الأرجح المكان الملائم لتشقيف وتقصيب حجارة البناء .

- **حارة الفوقا** : لارتفاعها الواضح عن مستوى بيوت القرية .
- **حارة التحتا** : لانخفاضها الواضح عن مستوى تلال القرية .
- **حارة الكنيسة** : مكان تواجد كنيسة (مار جاورجيوس) في القرية.
- **حارة البليط** : لتكاثر البلاط الصخري فيها .
- **حارة الصلَيْعة** : واغلب الظن أنها كانت صلعاء جرداء تفتقر الى الشجر والخضرة .
- **حارة جرمانا** : نسبت الى الجرمانيين الذين قدموا من جرمانا في غوطة دمشق الشرقية نواحي الشام عبر الفتوحات والهجرات التي مرت بالوطن العربي.
- **حارة التوت**: وقد كانت المكان الانسب لزراعة شجر التوت حيث نشط سكان هذه القرية بتربية دود الحرير في عهد الأمير فخر الدين المعني الثاني .
- **حارة المهنّد**: نسبت الى آل المهند إحدى العشائر العربية التي مرت بهذه القرية .

حارة مطاوع : هو مكان ولادتي ، وتواجد آل مطاوع حرب في غريفة .

القلاع

- **قلعة الشعارين** : أو (الشعّارين) وكانت فيما مضى معبداً للكهنة والعبّاد الفينيقيين والرومان الذين نزحوا الى الجبال وبنوا فيها مركزا لعبادتهم ولإقامة شعائرهم الدينية.
- **قلعة الداغون** : نسبة الى الأمير دوغان أحد أمراء عشائر العرب الذين مروا بهذه المنطقة، واستقروا فيها ردحاً من الزمن .
- **قلعة معن** كما يطلقون عليها: وهي واحدة من الأماكن التي قطن فيها أبناء معن بن أيوب من قبيلة ربيعة القيسية .

الكنائس

في القرية كنيسة واحدة لا غير ، وهي كنيسة القديس مار جاورجيوس، التي بنيت عام ١٧٣٣م في حي المَدْرَس، وذلك إثر لجوء النصارى الى غريفة هرباً من جور الاتراك،لأن هذه القرية كانت قد حظيت بقسط من الأمن والراحة زمن الأمير حيدر الشهابي بفضل الضريبة التي كان يؤديها الى الوالي التركي .

والأمراء الشهابيون الذين قدموا من حوران الى وادي التيم في القرن الثاني عشر كانوا مقيمين فيه منذ الفتح العربي وهم مدينون في حكمهم للجبل الى أقاربهم المعنيين .

وكان الأمير حيدر الشهابي حتى نهاية حكمه يحمل لقب أمير الدروز .

القبور والنواويس

وهي كثيرة وموزعة في إنحاء القرية، ويعود تاريخها الى عهد الفينيقيين والرومان، الذين كانوا يدفنون موتاهم في قبور صخرية منقوشة ذات أغطية حجرية عبثت بها الأيدي ونهبت ما كان بداخلها من حلي وجواهر ، ما زالت آثارها موجودة حتى الآن في خربة بيزون وفي حارة غصن.

- الأحافير، الدهاليز، الممرات السرية الموجودة تحت الأرض بكثرة أقدام الحيوانات مثل دعسة الفرس ، دعسة الفيل ودعسات لحيوانات عملاقة كبيرة ، الأسماك المنقوشة على الصخور، ترتبط كلها بطوفان نوح على ذمة بعض المؤرخين.
- كهف بزقيّة.
- كهف عين الناصرة.
- كهف سرحال.
- كهف الهوّة.
- كهف خربة بيزون المحفور في أحد كروم القرية القريبة من نبع بيزون ، وهو ذو فتحة ضيقة ، ويحتوي على تسعة نواويس ما زالت قائمة حتى الآن .

نواويس حجرية قديمة، خربة بيزون

المجالس الدينية والمزارات

- مجلس بيت صعب حرب.
- مجلس بيت أبو حمدان .
- مزار الشيخ بو محمد زين الدين .
- مزار الشيخ مظلوم .

إضافة الى الزهاد والمتقشفين البعيدين كل البعد عن مباهج الحياة والمتفرغين لعبادة الله تعالى، والقيام بفروض الطاعة الإلهية وأعمال الخير والحسنة أذكر منهم على سبيل المثال : الجامعية الزاهدة الشيخة سميرة شفيق وهاب، وغيرها من المتقشفين المحجوبين عن الأنظار.

الطاحونة عبر مراحلها الثلاث

مرت الطاحونة بمراحل ثلاث قبل أن تتوارى من على ضفاف الأنهار، فكانت بادئ ذي بدء، كناية عن جاروش حجري صغير، تديره أيدي ربات البيوت في المنازل لتقطيع القمح بعد تصويله وسلقه واستخراج البرغل والسويق والطحين، ثم كبرت حجارتها، فاستعانوا على تشغيلها بالحيوان، ثور، بقرة، بغل، حصان، ثم تطورت عملية الطحن وحصلت ذات الرحى على ترقية ابتكارية، وصارت تدار بالماء، ما حدا بأهالي القرى اللبنانية الجبلية وخاصة الشوفية منها لمصادرة ضفاف الأنهر والسواقي، التي تغزر مياهها في الشتاء، وذلك لبناء طواحينهم عليها ومنها نهر الحمام في غريفة الذي شهد حركة طواحينية نشيطة، ما زالت آثارها قائمة حتى الآن، أما اليوم وبعد أن شملت تقنيات التطور العصري

محركات الطحن، وباتت تدار بالكهرباء، فأصبحت الطواحين من أطلالنا الباقية، لا بل من الفولكلوريات .

ولما كانت الطاحونة ذات ارتباط وثيق بحياتنا المعيشية الاقتصادية وبرغيفنا الضروري، والظروف القاسية المحيطة بـــه، دأب الأهـــالي مـــن أصحاب الغلال على الاهتمام بها وتطويرها يوما بعد يوم، فأنشأوا لهـــا قاعدة مركزية ثابتة، وبرنامجاً نظامياً تسري من خلاله المواعيـــد، فكـــان الناس يتوافدون إليها كل يوم، حاملين عدولهم وقفف قمحهم على ظهور البغال والحمير في الشتاء، ويقف كل بانتظار دوره الى أن يحـــين موعـــد تسلمه الطحنة، فيحاسب الطحان، ويعود ممتناً الى مترله .

وكثيرا ما كانت الطواحين تشهد زحمة خانقة، يعجز من خلالهـــا الطحان عن تسليم الطحين الى أصحابه، فيتأخر الناس بذلك عن بيـــوتهم وأحيانا كثيرة وبسبب رداءة الطقس وغزارة الأمطار، كانوا يـــضطرون لملازمة أماكنهم، وإذا ما قرصهم الجوع، خبزوا الفطـــير علـــى التنـــك وأسكتوا جوعتهم، ولاذوا في ما هم عليه حتى الصباح.

وكثيرا ما كانت حمولتهم تتعرض لسرقة وتعديات قطاع الطـــرق والجنود الاتراك أثناء عودتهم الى بيوتهم .

كان زوج الرحى الذي من خلاله تتم عملية السحق، أوله مثبت الى الأرض أي الى القاعدة المركزية، وثانيه ذو شأن علوي موثوق بعمود متين، ومتصل (بفرّاش الطاحون) الذي لا يتحرك إلا بإيعاز من الـــسلطة المائية المركزة عليه بقوة الدفع عبر قسطل ذي (دالية) يتولى فتحها الطحان فتتأثر الرحى بتأثره، وتبدأ عملية الطحن أي سحق الحبوب المتساقطة الى

جورة الرحى بفضل تراقص (الطرطق) واهتزازات (الكَوْر) ويخرج سحيق الطحين، ويتوارى خلف جدران المخازن، أو في الكوايز على الرفوف الى أن يحين موعد الاستفادة منه .

وإذا نظرنا الى الطحان نظرتنا المجازية للأمور، لرأيناه حاكماً في موقعه، وقائدا للمهمة الموكلة إليه، والتي يستطيع من خلالها إشاعة الفوضى أو النظام، عبر استعداده أو تماديه في التقصير، وعليه تقع تبعة الفتح والإغلاق، فإذا تكرم على الناس بفتح الدالية، سارت المياه في مجاريها، وغرقت البيوت بالطحين حتى آذانها، وإذا أغلقها للضغط من خلالها على خناق ضرورياتهم، وإجبارهم على الانتظار أو المساومة على أشياء ثمينة، وقعت كارثة الاعتبارات الجانبية التي تتبلور من خلالها عمليات القنص، وهذا ما ينسحب على كل وكيل مسؤول كبر أو صغر منصبه، غاب أو قصّر بواجبه عمداً أو عن غير عمد، فإن الطهر الجماعي في أنقى حالاته كان وما زال يعتمد الرحى كوسيلة للضغط على خناق الضروريات .

* الطرطق: خشبة موجة بصندوق القمح ، تتحرك بتحرك الرحى ، فيهتز الصندوق وتتساقط منه حبيبات القمح في الجورة .
* الكَوْر : صندوق يعبأ بالقمح ويثبت فوق جورة الرحى .
* الدالية : سدادة مثبتة الى آخر قسطل الماء.
* العدْل : كيس جنفيص أو خيشة لتعبئة التبن أو الحبوب وغيرها .

المطحنة والجاروشة اليدوية القديمة

الفصل الثاني

تاريخ وتراث

غياب النواطير علّم الناس الحرام

لا تقل مسؤولية الناطور عن غيرها من المسؤوليات الحساسة، لا بل تتقدمها لكون الناطور واحداً من أبناء قريته الحريصين كل الحرص عليها المكلف بحراسة أملاكها، والمعرض على الدوام للتعديات والسرقة أسوة بغيره.

وللناطور في نظري مقام هام يضاهي مقام رئيس الجمهورية في موقعه المسؤول، وحمايته للحقوق والملكيات العامة من تطاول الدخلاء والمتسللين وأصحاب الذمم الواسعة.

وقلما وجدت مسؤولاً نزيهاً عفيف النفس، إلا ووجدته عرضة للضغط على خناق نزاهته، أو كان مساوماً ذكيا ذا نفس طويل في التمرير والمسايسة تبدلت على يديه الأدوار، وتنحى النزيه عن مكانه فكيف إذا كان باب الفرص مفتوحاً على مصراعيه أمام القناصين المتطاولين الذين لا رقيب أو حسيب عليهم، ولهذا قيل في كل مسؤول متخاذل أو متواطئ: "الرزق لو تخلص من نواطيره ، حمل قناطيره".

أما الذين تبوأوا سدة النطارة من أهالي قريتي، مفاخرين بمواقعهم وبثقة الناس بهم، ائتمنوا على أملاك الناس، ومارسوا واجباتهم بكل جدارة في زمن رجحت فيه كفة الخير على أرض زادها الحياء والوفاء شفافية ونقاوة.

كان للنطارة قوانين استلام وتسليم شرعية، تتولاها وتشرف عليها قائمقامية المنطقة، بعد موافقة أهل القرية على اختيار الناطور وتعيينه حيث يسلّم بموجب هذا الاتفاق دفتر التفويض القانوني المتضمن تعليمات النطارة التي لا تخلو من الخطورة، سيما إذا كان الناطور أميناً عفيفاً يمغصه أكل الحرام ، فلا يتطاول على ما ليس من حقه، بل يكتفي بما كان يتقاضاه من أصحاب الأملاك لقاء أتعابه، وويل لمتسلل وقع في قبضة ناطور أمين (يا جرستو ويا تعتيرو).

مختار الضيعة

أقيمت المختارية على أنقاض المشيخات التي وضعتها التنظيمات العثمانية منتصف القرن الثامن عشر لإدارة شؤون الناس والنظر في قضاياهم، وحفظ أمنهم وحل مشاكلهم، الى جانب جباية الاموال الأميرية وتوزيعها، وكان لهؤلاء الشيوخ هيبة السلاطين الذين حاربوا بسيوفهم قبل أن تأفل نجومهم نهاية العهد الشهابي، وذلك إثر قرار صادر عن الحكومة اللبنانية عام ١٩٢٨ ، يقضي بتعيين المخاتير عوضا عن الشيوخ، وإسناد المسؤوليات إليهم، وإقامة مجلس اختياري الى جانب كل منهم، على أن يكون عدد أعضائه ملائماً لعدد أهالي القرية، أي من أثنين الى ستة .

وكلمة مختار حملت في مضمونها الصفات والميزات الحميدة التي يجب أن يتمتع بها المختار من كف نظيف ونفس عفيفة، لاحتكاكه المباشر والدائم مع الناس الذين ألفوا صورته واعتادوا على مشورته وإنسانيته ومساندته التلقائية لهم بدافع العاطفة والمسؤولية، وقلما طرقت

باب مختار إلا ووجدت فيه مثال الأخ العطوف والصديق الغيور على مصلحتك .

الصلاحيات التي يتمتع بها المختار عبر ممارسته لمهنته، تبدأ بمعاملات النفوس : إخراج قيد إفرادي وعائلي، هوية ،وثيقة زواج،براءة ذمة، شهادة ولادة ، شهادة وفاة ، إفادة حسن سلوك ، ختم صور تخليص معاملات، لوائح شطب،وكل تلك الأعمال تتم عادة تحت إشراف البلدية المسؤولة بدورها عن تنظيم شؤون الناس المدنية في البلدة،وإنجاز الأعمال المتعلقة بالبنى التحتية من صرف صحي وتعبيد طرقات وإقامة مشاريع تنموية، وسياحية ورعاية الحفلات، والمناسبات العامة الإجتماعية، إضافة الى تنظيم شؤون السير والمحافظة على نظافة البيئة وأمن البلدة .

ومن المخاتير الذين تسلموا مقاليد المختررة في قريتنا غريفة خلال القرن الثامن عشر، أذكر منهم أول مختار تم تعيينه، وأشرف على عملية جر الماء الى القرية هو المختار سليم حسين شبلي حمادة ، ثم تلاه عدد من المخاتير على مدى مراحل متفاوتة منهم : إميل سامي حمادة ، شبلي حرب ، مخايل نصر .

المعمرجي

كان لمعمرجي الضيعة مكانته المميزة ورأيه السديد في مجال تحسين وتجميل هيئة البناء الخارجي عند أصحاب الشأن،كتقصيب الحجارة الصخرية وحفر وتنزيل الآيات القرآنية والأبيات الشعرية على لوحات الكنائس، والجوامع ، والمزارات ، والخلوات ، والمدافن ، وخاصة عيون

الماء المتضمنة في معظمها تاريخ واسم بانيها، الى ما هنالك من عبـــارات الشكر والحمد لولي النعمة مثلاً (هذا من فضل ربي) و (يا رب أحفـــظ هذا البيت) و (إنّا لله وإنّا إليه راجعون) الى ما هنالك من الـــدعوات والإبتهالات التي تجعلنا نتخطى عتبة الخوف ، ونلوذ بالفرار من هواجسنا ومخاوفنا تحت سقف من الإيمان والاطمئنان والرعاية الربانية التي تجعلنـــا على ثقة كبيرة بأن دنيا المؤمنين مازالت بألف خير .

وقد شهدت عدّة فن العمارة القديم (البيك والترتبيك و...) كيفية تذليل الصعاب خارج تقنيات الآلة الحديثة على أيدي معمرجيي الـــضيعة النابهين المميزين بالحكمة والحنكة والدراية ، ومنهم من ترك بصماته على صدر هذا الفن المعماري الأصيل أولهم: محمد سعيد حـــرب معمرجـــي الحارة ،رشيد الغندور حرب ، سليم منذر حرب ، وأبو توفيـــق ســـعيد بوحمدان المتوفي منذ قرنين من الزمن تقريباً ، وكان أبو توفيـــق ككـــل نظرائه في كار البناء والتقصيب وفن النحت يتمتع بصدر رحب وإيمان عميق بولي النعمة، وكان ذا أذن موسيقية رهيفة وقلب رقيق طيب.

وعلى قول المثل الدارج : كانت شـــغلتو ومـــشغلتو مناطحـــة الصخور ومناكفتها بصلابة وثبات وعزيمة ، متفننـــاً بتـــسديد ضـــرباته وتهذيب صوّانياته ذوات الشرقطات المستشيطات غضباً ..!

كان هذا الرجل السعيد بمهنته وخبرته يقف بعد كل مائة ضـــربة وضربة ليقبل مهدته قائلا لها: كثّر خيرك عم تطعمينا خبـــز..! ثم يعـــود لمزاولة عمله من جديد بمنتهى الرضى والتسليم الى أن يحل المساء ويفرض على المتعبين طاعته.

وأبناء هذا الكار التقاة الأذلاء على عتبة المولى، جبارون شرسون وعلى جانب كبير من الكبرياء والتحدي، وقد أكسبتهم مقالشة الصخور كثيراً من عنادها وصلابتها، فباتوا بالفطرة ذوي حدّة وعنـــاد، وقـــوى خارقة عجيبة تعجز علوم الفيزياء عن تحليلها وترجمتها .

يحكى أن أبا توفيق قصد يوماً مطحنة قرية (بـــدّة) في خـــراج جديدة الشوف بقعاتا ليشتري زغلا أو حجراً للمطحنة عوضاً عن حجر مطحنته المكسور، وبعد أن وصل الى المكان المقصود سيرا على الأقـــدام مسافة طويلة على ذمة الراوي ، وبعد أخذ ورد وسلام وكلام ومفاصلة حط أبو توفيق عينه على الزغل الملائم ، وعقد النية على شرائه ، لكنـــه وقبل أن يهم بشراء الحجر، أراد أن يستفسر عن ثمنه، فأجابـــه البـــائع بقصد مماحكته واختبار قدرته على حمل الأثقال لما امتاز به من خـــشونة وقوة، فبادره مطمئناً: " ثمنو بحملتو، احملو وما بدي ثمنو" ..! وقد صعق البائع وندم على سوء عاقبة تخمينه وتشكيكه بقدرة هذا الرجل حينما هم أبو توفيق برفع الزغل وحمله على ظهره دونما أي جهد أو مساعدة وسار به مسافة عشرين كيلومترا تقريبا سيراً على الأقدام نحو مطحنته في قُـــر الحمام في قريته غريفة على ذمة كرم الله أبو حمـــدان، وقيـــل أن زغـــل المطحنة كان يزن قرابة القنطارين، أي مائة وخمسين رطلا.

- **البيك : قطعة من الفولاذ تزن حوالي ١،٥ كلغ لها رأس مسنن.**
- **الترتيك : شبيهة بالبيك غير أنها ذات حدّ من كل طرف.**

كار الجبارة أو مهنة ترميم العظام

لم تكن جراحة العظام رائجة على أيام جدي ، ولا زرع السياخ الفضية والبراغي والأطراف الاصطناعية ، أو نشر السيقان وتطويلها وتقصير الأنوف وتجميلها عن طريق الـ (Photo shop) التقني العصري،قبل الشروع بالعملية الجراحية ، بل أفضل ما كان قد توصل إليه أطباء العهد الوسيط في ميدان خبرتهم وتعاملهم الجدي مع كار الجبارة هو علاج المريض وتسكين آلامه بالطرق والأساليب البدائية والعقاقير العلاجية المتوفرة المستخرجة من أعشاب الطبيعة .

أما المتخصصون البارعون في ممارسة هذه المهنة الحساسة الشاقة فقد قلّ عددهم لعدم توفر الشروط النظرية التشخيصية عند غالبية الناس وغياب التصوير الشعاعي الذي ساعد أطباء اليوم على سرعة ودقة كشف علل مرضاهم ومداواتها بأسرع ما يمكن ، حيث أن أرباب هذا الإختصاص لم يتلقنوا علومهم في المعاهد والجامعات ، بل ورثوه عن أسلافهم ومارسوا تدريباتهم المهنية العملية مباشرة على مرضاهم ، والدليل على ذلك ،كثرة المرضى المصابين بعطوب في عظام أيديهم وأرجلهم وأوراكهم على أيدي بعض المجبرين المتمرنين الجدد والذين كثر ترددهم الى عيادة والدي البيتية التي كان قد ورثها عن والده بعد إحالته الى التقاعد ، وذلك لإعادة النظر في مشكلة المريض التي كانت تتطلب في معظم الأحيان كسر العظمة المعوجّة من جديد ، وإعادة ترميمها على مسؤولية المجبر، وعلى حساب ألم المريض وعذابه ، أذكر على سبيل

المثال بعض مجبري القرية المشهود لهم بخبرتهم وبنجاح علاجاتهم على مدى ممارستهم للمهنة ومنهم :

جدي لوالدي : المرحوم أبو فرحان سليم حسين بن محمد مطاوع حرب جابر العظم المكسور بشهادة أهل قريته، والذي كان يستقبل مرضاه من كل أنحاء لبنان ، بيروت ، صيدا ، طرابلس، وغيرها من القرى المجاورة ويعالجهم على نفقته الخاصة، ويصبر على مريضه ولا يسمح له بالمغادرة قبل أن يتأكد من صحة شفائه(مرحلة حاتمية جريئة في أيام الفقر والجوع وغياب البحبوحة).

ووالدي الأستاذ المربي فرحان سليم مطاوع حرب، الذي ورث الكار عن والده وأحسن القيام بعلاج مرضاه، وطوّره بالإستفادة من بعض الأخصائيين الجدد من أطباء وجراحين .

والشيخ داوود سليمان أبو حمدان ، وسليم حسن وهبة أبو حمدان وحفيده نمر أبو حمدان . وهؤلاء أيضا قاموا بواجبهم تجاه مرضاهم ونالوا من جراء ممارستهم لهذه المهنة الأجر والحسنة .

كانوا عند تعرض أحدهم لكسر أو شعر أو رضّة قوية في ساقه أو يده بسبب سقطة فجائية عن حائط أو عن حافة شير، أو بسبب زحطة على بقعة ماء راكدة محششة كما حصل معي في مرحلة الطفولة والتي تسببت بخلع في كتفي منعتني من اللعب قرابة الشهرين ، وأجبرتني على احتمال طابة القماش التي ثبتها لي والدي تحت إبطي لإتمام مرحلة العلاج. كانوا يحملون المصاب مسافات طويلة على ظهر دابة أو بغلة للذهاب به الى عيادة المجبر البيتية وحال وصولهم، يتراكض من في الدار لاستقبالهم بمنتهى اللهفة والحشرية مفسحين لهم المجال لتمديد مريضهم

على دشك أو مصطبة، ولعرض حاله على المجبر وكيفية سقوطه وإصابته بعد القيام بواجب الضيافة ،وإعداد المريض للمعالجة وتمدئته بالعبارات اللائقة ، تمرع ربة الأسرة لمساعدة زوجها بإحضار أود العلاج المكوّن من مؤونة البيت وبعض الأواني النحاسية لتسخين الماء : لَكَن ماء فاتر، منشفة وصابونه قطرون بلدية ، كوز ماء للشرب وقنينة ماء زهر بلدي تحسباً لإغماءة المريض، "جنطاص " من زيت الزيتون البلدي الشافي لتمسيد وتدليك الجسم المصاب الذي يعتمده القرويون كعلاج رئيسي، وقصعة فخار مملوءة بطحين الحنطة السمراء ،وثلاث أو أربع بيضات بلديات وقدر ملعقة طعام من الشبّة لتثبيت الكسر، وقماشة خام مستطيلة طولها متر أو أكثر وعرضها خمسة أو سبعة سنتمترات لوضع المرهم الشافي عليها، وكرتونه سميكة زيادة في الإحتياط ، وعضاضة قطنية لحماية الأسنان من شدة الاصطكاك أثناء القيام بتجبيره.

كنت في مستهل عمري حينما قادتني حشريتي للّحاق بوالدي الى غرفة المريض الذي كان قد ملأ المكان بصراخه ولبيطه (وبتشاقيعه) المخجلة لمسيبي المحنة التي كان فيها ،وكان لزاما على معتنقي هذا الكار احتمال فشّات خلق مرضاهم ، كبديل عن حقنة المخدر التي لم تكن متوافرة، والتي لو توفرت حينها،لوفرت عليه وعلى مريضه الآلام وفشّات الخلق .

ارتعدت عصافير صدري حينما وثب والدي فجأة نحو مريضه لتثبيته مطوقا ذراعه بقبضتيه، ممررا أصابعه القوية على عظمة ساعده الشاذة، والمريض يتلوى بين يديه من شدة ألمه، ويحاول الإفلات من طوق حصاره.

كنا جميعا وأثناء إحاطتنا بالمريض، مشدودي الأعصاب متلـــهفين للنتيجة، وكأننا أمام حلبة للمصارعة الحرة، أو جولة عراك محتدمة، وكان والدي سيد هذه الجولة،التي تكللت جهوده فيها بالنصر، بتفوقـــه علـــى العظمة الشاذة، وإعادتها الى صراطها المستقيم ،ليستريح الفريقان في النهاية من عناء الكد والشد والحصار والمقاومة.

ملاحظـــة : لتثبيت الكسر، كانوا يمزجون الطحين مع زلال البـــيض والمـــاء ليصبح كالعجينة الرخوة ، ثم يمدونه على قماشة خام ويلصقونها على المكـــان المصاب لتثبيت الكسر عوضاً عن الجفصين ، ثم يلفونه بطبقـــة مـــن القطـــن والشاش ويدرّعونه بكرتونه سميكة تحاشيا للضربات الجانبية ، ثم يوثقـــون ذراع المريض برباط أو حمّالة لتثبيتها الى عنقه، حيث كانت تتراوح مدة العلاج مـــا بين أسبوعين وأكثر لتعود حالة الوئام والالتحام في هشاشة العظام الى ســـابق عهدها ، بعد أن عصت واستكبرت ودب الخراب فيها .

أما في حال حدوث فكش، فكان المجبر يقوم بتـــدليك الجـــسم المصاب ، وتمريغه بزيت الزيتون البلدي عوضاً عن المراهم العـــصرية ، ثم يسفّنه بمسحوق الشبّة، ويلفه بقماشة حميمة لحفظه ، ولا يزيله عن الجسم المصاب إلا بزوال العلّة

***زحطـــة : سقطـــة**

*** جنطاص: وعاء عميق (زبدية)**

*** تشاقيع : مسبّات**

***يسفّنه : يحيطه بطبقة كثيفة من الدواء وغيره.**

المدارس في غريفة

عرف الشوف افتتاح أولى المدارس الرسمية في متصرفية جبل لبنان في عهد داوود باشا ، من خلال مدرستي دير القمر وشحيم ، وارتفع عدد المدارس عام ١٨٦٩م الى إحدى عشرة مدرسة رسمية من أصل سبعَ عشرة، مجموع مدارس جبل لبنان آنذاك، و لم تحظَ غريفة بنصيبها من التعليم إلا عام (١٨٨٣ – ١٩١٤) ومع نهاية حكم رستم باشا عام ١٨٨٣ م حيث بلغ عدد المدارس الرسمية في الشوف أربعاً وأربعين مدرسة، ثم تطور فتح المدارس العثمانية في الشوف تحديداً وبلغ ثلث مدارس جبل لبنان،مع انتهاء حكم المتصرفية التي كان مركزها بيت الدين.

ويعود الفضل في افتتاح أول مدرسة رسمية عثمانية، الى المتصرف العثماني داوود باشا من أجل تدريس اللغة العثمانية وتعميمها ،وقد أقيمت المدارس في عهده على نفقة الأهالي، بدفع (ربع مجيدي) أو تقديم عدد معين من الفعالة لإتمام العمل، وكان من دواعي سرور الأهالي، إقامة المدارس في جبلهم لتعليم وتثقيف أبنائهم، وكانوا يفعلون ما بوسعهم لتقديم الشكر والمساعدات للهيئات المشرفة وللباب العالي، وكانت هذه المدارس خير مثال لنشر الطاعة العمياء للسلطان وحاشيته.

بنيت مدرسة غريفة الابتدائية الرسمية الأولى عام ١٩٦٢م ، واستلم إدارتها الأستاذ وهيب شمس، أما المدرسة الحالية، فمديرها الحالي الأستاذ ماجد نصر الدين .

*تكميلية فهمي كامل أبو حمدان الخاصة بتعليم اللغة الانكليزية.

* أنشئ أول مجلس بلدي في غريفة عام ١٩٦٠ م.

* بلدية غريفة : رئيسها الحالي عاصم ناظم حرب.

* نائب الرئيس: عطا عامر أبو حمدان.

* الأعـــضـــاء: مدحت طليع حرب، نبيه عارف حمادة، سليم نـــسيب رحال، عطا أنيس أبو حمدان، خالد شوقي أبو حمدان، وليم فرحان أبو حمدان، أيوب فاضل نصر الدين، سليم فرحان منذر، عصام محمد منذر، عماد أديب حرب، ممدوح محمد أبو حمدان .

كاتب البلديـــة : ربيع كمال مسعود .

أمين الصندوق : رجا رشيد يزبك .

* شرطة البلدية : هيثم سليمان أبو حمدان ، ونضال سمير أبو حمدان.

* مساحة القرية : ١٠٠٠٠ هكتار .

* عدد السكان : ١٠٠٠٠ نسمة.

* عدد الناخبين : ٤٥٠٠ ناخب .

* الوحدة السكنية : ١٢٠٠ وحدة .

* الوحدة التجارية : ٤٣٧ وحدة .

* مركز الحزب التقدمي الاشتراكي في غريفة : مـــدير فرعـــه الحـــالي: الأستاذ فاروق توفيق منذر.

* يعود تاريخ قرية غريفة الى عام ١٢٥٧م .

* الدوائر الرسمية في غريفة تابعة لمحكمة ولمكتب بريد ولمـــوزع هـــاتف بعقلين ولمصلحة كهرباء بيت الدين .

* مستوصف غريفة الطبي تابع لوزارة الشؤون الاجتماعية .

الجمعيات والأندية الثقافية الرياضية

* جمعية التوعية الاجتماعية : رئيستها الحالية السيدة مي وهاب أبو حمدان تأسست في الثامن من أيار عام ١٩٩٦م بموجب علم وخبر ٦١ / أد هدفها إقامة المحاضرات، وتوعية المرأة للمطالبة بحقوقها الشرعية وتعديل قانون الأحوال الشخصية المعمول به حاليا في القضاء المذهبي الدرزي، وتصحيح البنود التي غفلت عن إنصاف المرأة وضرورة مساواتها بالرجل في الحقوق والواجبات بحسب تشريعات الأمير السيد عبدالله التنوخي قدس الله سره، وتعديل القوانين المتعلقة بالنفقة والحضانة والوصية، وخاصة البند المتعلق بأحكام الزواج والطلاق الذي حض فيه على إعطاء المرأة نصف ملكية الرجل في حال طلاقها وتعرضها للتعدي من قبله، وقد ألحّت هذه الجمعية على ضرورة طلب الشهادة الطبية قبل الزواج، بمساندة الوزير مروان حمادة .

* النادي الرياضي : أسسه المهندس شكيب نجيب حرب .

* تعاونية غريفة الزراعية : رئيستها ومؤسستها المهندسة الزراعية فريال مذكور زوجة العقيد أنور أبو حمدان .

* جمعية آل حرب العمومية للأفراح والأتراح،تأسست بموجب علم وخبر رقم ١٢٣ /أد تاريخ ١٩٩٧/٩/٢٦ مركزها غريفة - قضاء الشوف والمسجل في المديرية العامة للشؤون السياسية واللاجئين تحت رقم ٤/٥٠٦٠ تاريخ ٢٠٠٦/٤/١٩. السادة المؤسسون هم: شوقي نجيب مطاوع حرب ، نايف عساف صعب حرب ، عاصم ناظم حرب سجيع كامل حرب ، فريد حليم ياغي ، غالب سعيد ياغي، محمد فضل الله ، طارق شفيق حرب ، ونبيل حسيب حرب.

•الإتحاد النسائي التقدمي فرع غريفة، رئيسته الحالية : كميليا عارف منذر تأسس في الأول من أيار عام ١٩٨٨م ليكون سنداً للمرأة في رحلة نهوضها من جحر التمييز بين الرجل والمرأة،ومن التقاليد التي حاصرتها وقيدت تطورها وجعلتها على مدى عهود خلت (وعاءً للتناسل) وخاصة المرأة القروية المقصية في معظم الأحيان عن مواكبة ركب التطور النسائي الحضاري محلياً وعالمياً ، والمشاركة الفاعلة في كافة الأنشطة الثقافية والاجتماعية ، نظراً لانهماكها التقليدي الدائم بواجب منزلها، والعناية بتربية صغارها، الى أن جاء اليوم الذي انتعشت فيه المرأة القروية والأم خاصة، وأثبتت جدارتها ميدانياً على كافة الصعد، كيف لا، وقد أنصفها نابليون وشد أزرها حين دعاها وأسند إليها مسؤولية قيادة العالم عبر قوله المشهور: "الأم التي تهز السرير بيمينها،تهز العالم بيسارها" .

إن نساء قريتنا اليوم هنّ من سيدات وآنسات مساهمات في العمل النسائي التقدمي، وضليعات في تحمل المسؤولية لمواكبة ثورة المرأة في الدفاع عن حقوقها وكرامتها من على منبر مساواتها بالرجل، وإسقاط قناع التمييز والعنف ضدها والذي أضعف قدراتها وأشاع حولها الشبهات، فانكمشت وتقوقعت وتنحت جانباً عن موقعها، وعن حق مشاركتها الفاعلة في نيل حقوقها ونهضة مجتمعها، ما جعلها في خانة الندية والمنافسة غير الشريفة مع السلطة الذكورية من على سدّة حكمها لذاتها ، وكأننا أمام توأمين محاصرين الى أبد الآبدين،(المرأة والوطن) عبر تكتيك التسلط غير المشروع من قبل المتطاولين الطامعين بحقوقهما .

* مساهمات ونشاطات عملية حققتها الحركة النسائية التقدمية في غريفة منذ تأسيس الفرع حتى اليوم ، على مستوى المشاركة الفعالة في الاحتفالات والمهرجانات الفرعية والمركزية الخاصة بالحزب التقدمي الاشتراكي ، كونها رافداً من روافد هذا الحزب ، أبرزها:

*التفاتة أعضاء الاتحاد النسائي المميزة للأخوة الجنوبيين الذين اضطروا لهجر منازلهم تحت غطاء من القصف المركز أثناء عملية عناقيد الغضب الإسرائيلية عام١٩٩٦م، والحرب العدوانية الأخيرة عام ٢٠٠٦م التي جرّت لبنان الى كارثة فظيعة تقطعت من خلالها أوصاله ، ودمر بنيانه وسقط الكثير من الضحايا الأبرياء، إضافة الى الخسائر المادية الفادحة التي قدرت بمليارات الدولارات .

* مشاركتهن المثلى في العمليات الانتخابية (البلدية والبرلمانية) ، أما على صعيد المشاركة في العمل الاجتماعي، فالنشاطات النسائية تكاد لا تعد ولا تحصى أولها :

* القيام بحملة نظافة في البلدة ، بالمشاركة مع جمعية الكشاف التقدمي (فوج غريفة) .

* مشاركة الرفيقات الاعضاء مشاركة فعالة ، بتنظيم المآتم في البلدة وخاصة في المرحلة التي سبقت دار البلدة .

* مشاركة الحزب التقدمي الاشتراكي في حملات التشجير، في السادس من كانون الأول من كل عام.

*إقامة عدة دورات في الإسعافات الأولية، مرة بإشراف أطباء أخصائيين وأخرى بإشراف الصليب الأحمر.

* إحياء الأعياد بما يتناسب ومقتضى الحال : عيد المعلم، عيد الأم، عيد الطفل، عيد الأضحى ، وعيد رأس السنة وغيرها من المناسبات التي تستدعي حضوراً ومشاركة .

* تنظيم الفرع لرحلات ترفيهية هادفة سنوياً ، يشارك فيها أكبر عدد من سيدات وآنسات البلدة الكريمات .

* تلبية الدعوات المحلية والخارجية التي توجه الى الفرع ، أما على الصعيد الثقافي، فإن سلسلة من المحاضرات السياسية والتربوية والاجتماعية والصحية والبيئية الى آخره، كانت وما زالت تقام سنوياً بخبرة ورعاية أساتذة أخصائيين ، كل في مجال اختصاصه، آخرها كان نهار السبت في الثامن من نيسان من العام المنصرم ٢٠٠٦ .

* إقامة معرضين حرفيين فنيين الأول : للرسم الزيتي ، والثاني للرسم على القماش والزجاج، والحفر على الخشب ، والنحت في الصخر والاشغال اليدوية وتنسيق الأزهار .

* تعهد فرع الاتحاد لحفلة فنية مسرحية تمثيلية واجتماعية هادفة ، أدتها (فرقة نور) للفنون في غريفة .

نهر الحمّام أو نهر الدم

كان هذا النهر مربطاً لخيول الغزاة الذين كانوا يقصدونه للراحة والاغتسال وسقاية خيولهم، ولهذا سمّي نهر الحمّام ، وقد أطلق عليه أيضاً نهر الحمام دون التشديد لكثرة تواجد طيور الحمام على ضفتيه، وحمل أيضاً تسمية أليمة أخرى ترتبط ذكراها بالمجزرة الوحشية التي أرتكبها الأتراك أثناء عسكرتهم في قرى إقليم الخروب (عانوت - حصروت داريا - شحيم) عام ١٧٩١م على رأس قائدهم أبي الكوارث أحمد باشا الجزار والي عكا ، وعسكره المؤلف من ثمانية آلاف ، وكانوا طيلة تواجدهم في هذه المنطقة يسطون على القرى المجاورة ، ينهبون ويسرقون بيوتها وأموالها ومواشيها، وما ادخرته النساء من أوانٍ نحاسية وأرباع مجيديات لأيام الجوع والحشرة ، حيث كانت عساكر الجزار تهاجم البيوت في غياب رجالها، فيتعالى الصراخ والولولة، فيهرع الرجال من حقولهم تاركين أعمالهم الزراعية لحماية منازلهم وعيالهم فتنكفئ العساكر وتهرب عائدة إلى مستقرها، وهكذا كان عسكر الجزار يتنقل بين كرّ وفرّ ليعاود شن هجماته على سكان القرى الآمنة مرة تلو الأخرى ولا أحد يحاسب ، وخاصة غريفة التي نالت نصيبها الكبير من تعدياتهم ، فقد نُهبت وأحُرقت وقتل معظم أهاليها ، ورفعوا على الخوازيق وكان معظمهم من الفلاحين الفقراء ، أما الذين كتب لهم العمر ، فهجروا بيوتهم وأرزاقهم وهاموا على وجوههم لا يلوون على شيء ، وهاجر منهم الكثيرون إلى جبل حوران واستقروا فيه، ثم ما لبثت أن انهالت الكوارث على ما تبقى من سكان جبل الشوف المنكوبين المشردين حينما انتشر وباء الطاعون الآتي من مصر عام ١٧٨٤ م ملوحاً للناس بالموت، ثم تبعه الجراد من الشمال عام ١٧٩٩م وقضى على الأخضر واليابس.

٣

من وهنو سقيلو

كان احمد باشا الجزار رأس معقيلة الكوارث ، ورأس من خطـــط ودبر واصطاد في الماء العكر ، وعلى قدر ما استغنم وغنم ، واتته المغـــانم والفرص . كان هذا الرجل على قول المثل الدارج : " حلـــس ملـــس " يقتات من ثمار تدابيره وترتيباته الجهنمية ، كان مهووساً بتكتيك الوصول إلى القلب وتعبيد طرقات الوافدين إليه من عشاق الـــسلطة والوجاهـــة وتشجيعهم ومساندتهم كلما اقتضت الحاجة ومكافأتهم بخلعة حكم ، أو بإطلاق يد على مال وقف ، أو وصاية على مال قاصر أو يتيم . وهكذا فقد نشط بازار المقايضات على كل ما وقعت عليه يد وعين من رجـــال وإناث وبقايا بيوت ومزارع ومواشٍ ، لأن الجزار كان قد أحتكر كـــل شيء بما حملته هذه الكلمة من معنىً ، فغلت الأسعار وبيع رطل الطحين يوم ذاك بشجرة زيتون ، والمرأة بثلاثين قرشاً ، وباتت المنطقة أسيرة هذا الحاكم الجائر الذي جعل من سياسة التنكيل والتجويع والتهجير عنوانـــاً لبطولاته . فسبحان من سخّر التاريخ لهواجس ومطامع قادته وحكامه .

أحمد باشا الجزار

خان الحمّام ونزلائه المميزين

اعتبر خان الحمّام نقطة إستراتيجية تواصلية هامة بين مختلف قرى الشوف والإقليم الجنوبي والساحل، ومستقراً آمناً لرواده ونزلائه من ساسة وقادة وتجار وغيرهم، وهو في أفضل حالاته كما يقال (للسيف وللضيف ولغدرات الليالي) وقد حصل لهذا النهر شرف استضافة العديد من الشخصيات المرموقة من أمراء وزعماء وقادة وطنيين أحرار أيام الجزار، كالأمير حيدر الشهابي، والأميرين قعدان الخازن، والشيخ بشير بن قاسم بن علي بن رباح جنبلاط الملقب بعامود السماء، ومكثوا فيه مع مجموعة من رجال الشوف البواسل لحماية المنطقة من تعديات الأتراك والتداول بشؤون البلاد ووضع خطط التطويق والمداهمة، وكيفية إعداد الرجال والخيل والسلاح وتقسيم الفرق وتوقيت الهجوم، إلى ما هنالك من الاستعدادات اللازمة بالتعاون مع أعيان البلاد ووجهائها، للزحف نحو قرية شحيم وتطويقها، ومداهمة عسكر الجزار مكان تواجده، يتقدمهم الأمراء والفرسان والقادة مع مجموعة من رجال الشوف البواسل، وكان سيناريو الهجوم عليهم وهم نيام، سينمائياً مشوقاً تكاد تنقطع له الأنفاس وخاصة حينما تم تطويقهم ليلا وهم (بسابع نَوْمَة) فذعروا وبوغتوا ودبت الفوضى في صفوفهم ،وهربوا تاركين أسلحتهم وخيولهم وتواروا عن الأنظار.

أما الذين زحفوا إلى القتال وقاموا بهذه المهمة، فعادوا مع المنتصرين إلى دير القمر راكبين خيل الدولة ومتنكرين بثيابهم ، فظن الأهالي أنهم عسكر الجزار، لو لم يسرع أحدهم ويزفّهم خبر النصر وقامت الأفراح في البلاد وقتذاك، وذلك عام ١٧٩١م ، لكن ردة فعل

الجزار كانت قاسية جداً بعد تلك الهزيمة حيث أنه لم ييأس، بل استنجد بآغاوات العسكر وحثهم على استمرار القتال، وزحفوا جميعاً قاصدين دير القمر، ولما وصلوا إلى وادي عينبال اشتبكوا مع رجالها وقضوا عليهم لقلة عددهم، ثم تهافت الرجال من كل الأماكن، وخاصة القرى الأكثر تضرراً والتي كان لها النصيب الكبير من تعديات الجزار كمزرعة الشوف والسمقانية ، وبعقلين، وعين بال ،وغريفة وأحاطوا بعسكر الدولة ونشب القتال بين الفريقين وتناثرت أشلاء القتلى على جنبات الطرقات وغمرت الوادي سحابة من الدخان والسكون المخيف ، وتحقق النصر في النهاية لفرسان الشوف البواسل المؤمنين بقضيتهم والمدافعين عن حقوقهم وأراضيهم وكرامتهم دفاع المستميت، وعلى رأسهم الشيخ بشير جنبلاط الذي أثبت جدارته وشجاعته في القتال عندما دعاه الواجب لنصرة بلاده ويحكى أن والده الشيخ قاسم كان أسيراً عند الجزار في سجن عكا فحينما هم بالانقضاض على جيشه، لامه الناس وحذروه من هلاك والده فأجابهم: (بوالدي ولا بالبلاد).

حصلت هذه الواقعة : عندما اتفقت الجنبلاطية مع أعيان البلاد على رفض تعيين الأمير بشير الشهابي الثاني والياً عليهم لشدة ظلمه وبطشه وعندما أطلق الجزار خلعة الحكم عليه عام ١٧٩١م ،أستغل منصبه واستعان بعسكر الوالي ليفجر غلّه بأخصامه، فنهض إلى قرية غريفة واعتدى على أهاليها ، وأحرقها بعدما نشب القتال في نهر الحمّام بين الموالين له والمعارضين ، ودامت المعركة حتى المساء ذهب ضحيتها العديد من القتلى، ثم تكررت الحملة بتدبير من الشيخ قاسم جنبلاط بين حلفاء الأميرين قعدان الخازن وحيدر شهاب، وحلفاء المير بشير وعسكر الجزار.

وقد ذاقت هذه القرية ما ذاقته باقي القرى الشوفية من صنوف القهر والعذاب والعسف والتعدي ، بانتقالها من قبضة الجزار ، إلى قبضة إبراهيم باشا السفاح ، بعد أن احتل سورية ولبنان عام (١٨٣٢ – ١٨٤٠) بإيعاز من الأمير بشير بن عمر الشهابي لغاية في نفسه ، معرباً عن كرهه الشديد لأهالي الشوف الدروز ، لما كانوا عليه من قوة شكيمة، وحرصاً على إرضائه وإطفاء غليل ضغينته ، أشار عليه السفاح باللعب على أوتار الشقاقات الحزبية لحل روابطهم وإضعاف سطوتهم، وضرب له مثلاً حزمة العيدان المتماسكة التي يعجز الإنسان عن كسرها إلا بتفريقها ، فسهلت عليه مهمة تفريقهم، وزرع الفتن فيما بينهم، بتحريض مستمر من السفاح، والفتك بهم ففرض عليهم دفع مبلغ ستمائة ألف ليرة ذهبية لصنع عرش اسطنبول الذهبي وضيق عليهم الخناق ، وسمم لهم الماء ، وقطع أشجارهم ، وأتلف زرعهم وطرد السكان من بيوتهم، وأجبر شبابهم على الإنخرط في جنده، والذين رفضوا خافوا وهربوا من بطشه إلى منطقة اللجاه في حوران، فتبعهم إلى هناك للانتقام منهم .

ومن الذين اشتهروا بجهادهم ضد إبراهيم باشا السفاح، الشيخ إبراهيم الهجري الرئيس الروحي للموحدين الدروز، والشيخ أبو علي الحناوي في سورية.

الأمير بشير الثاني الكبير

غريفة ترس الشوفين

شهدت قريتي الكثير من المحن والويلات أسوة بباقي قرى الشوف مع بدء اندلاع الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤م وبداية تقهقر العثمانيين عام ١٩١٨م تلك المرحلة الأليمة التي حصدت ألوف الأرواح بفضل المرض والمجاعة التي لم ينجُ منها غالٍ ولا رخيص، أعقبتها الثورة السورية الكبرى على الفرنسيين عام ١٩٢٢م ، حيث بدأ مسلسل المداهمات والاغتيالات يطال معظم القرى المناهضة للاستعمار .

فبلدة غريفة اعتبرت ذاك الحين ترس الشوفين ، بسبب تمزيق أول عريضة مؤيدة للفرنسيين وإحراقها في ساحة البلدة على أيدي المناهضين لهم. أثناءها كان وباء الانقسامات الحزبية قد انتشر وبلغ مبلغه من أهالي البلدة المتضامنين المتحالفين، وبات الأخ عدو أخيه، وتشرنقت العائلات كل عائلة يتولاها زعيم، وراحت الأمور تسير من سيء الى أسوأ، قطيع يناطح قطيعاً، وإقطاع يقتطع من لحومها طعام الجلادين. فالذين أسهموا وقتذاك بإذكاء نار الانقسامات في هشيم العقول اليابسة، هم ذاتهم اليوم ذئاب الاتفاقية الكبرى ، أي اتفاقية (سايكس بيكو) التي عقدت عام ١٩١٦م ما بين الحلفاء البريطانيين والفرنسيين على أساس تحرير البلاد العربية من الاحتلال التركي الذي دام أربعة قرون، واستبداله باستعمار بريطاني فرنسي جديد .

المجاهد شكيب أسعد وهاب

مع بداية اندلاع الثورة السورية الكبرى على الاستعمار الفرنسي عام ١٩٢٥م برئاسة قائدها سلطان باشا الأطرش ومعاونيه في معركة الجهاد وعلى رأسهم المجاهد الأول شكيب أسعد وهاب (١٨٩٠ - ١٩٨٠م) ابن هذه القرية الذي شكل العضد الأقوى لقائد الثورة في مناهضته للاستعمار العثماني والفرنسي، وكانت له صولات وجولات في ميدان انتصاراته وقيادته للفرق المجاهدة منذ أن وطئت قدماه أرض حوران وانضوائه تحت راية الجمعيات السرية المناهضة للاستعمار، وتنقله مابين شرق الأردن وفلسطين والحجاز ، منفذاً عمليات التصدي والعرقلة والهجوم على مواقع الجيوش الفرنسية وأبرزها معركة (المسَيْفرة) في أم الرمان في السويداء وهي أولى المعارك التي خاضها ضد الجيش الفرنسي وقد وُشِمت بسالُته على صفحات العديد من المواقع والحملات وأثبت جدارة وبراعة في القتال تحت لواء زيد الأطرش ليتلوها بروز آخر في كل من راشيا وحاصبيا ومجدل شمس وكفرمشكي والفالوج وقطنا ، وفي حملته الثانية وتوليه العمليات في البقاع بقيادة الأمير متعب الأطرش بمؤازرة آل الداوود والعريان ، وبإحرازه لعدة انتصارات في كل من بلدات البيرة والحَلة والرفيد، وخاصة في (اللجاه) إلى جانب سلطان باشا الأطرش والأمير عادل أرسلان ومحمد عز الدين الحلبي وأهمها معركة الرشيدة حيث بدأ العد التنازلي لصمود القوات المناهضة أمام الجيوش الفرنسية الكاسحة، فاضطروا للانسحاب نحو إمارة شرق الأردن ووادي سرحان، وحينما صدر العفو عن المجاهدين عام ١٩٣٧م وشملهم جميعاً باستثناء شكيب وهاب الذي استقر في عمان التي كانت تخضع للإنكليز

حتى عام ١٩٤١م لحين بداية الانتفاضة. وفي عمان عمد البريطانيون إلى دعمه مع جماعته، وأسندوا إليه أمر مقارعة الفرنسيين، وأحرز النصر على حكومة فيشي، ثم عاد بعدها إلى سورية ليسهم بتحرك فعال أدى إلى اعتقال القادة الفرنسيين، وكان الحبل على جرار انتصاراته التي أحرزها منذ بداية مخاض الثورة حتى إطلالة رأس العلم العربي على سرايا السويداء في ٢٩ أيار ١٩٤٥ م. وبعد تقسيم فلسطين وتوليه قيادة فوج الجبل بمؤازرة القائد سلطان باشا الأطرش والقائد فوزي القاوقجي المشرف والمكلف من قبل الجامعة العربية للإشراف على عمليات التحرير، حيث حمل فوج الجبل أسماء معارك الثورة السورية الكبرى عام ١٩٢٥م ومنها الكفر والمزرعة والمسيفرة والفالوج، حيث انطلق هذا الفوج نحو فلسطين عام ١٩٤٨م بقيادة شكيب وهاب ومجموعته المؤلفة من : حسن عبدا لله حمادة من غريفة قاسم سعيد مسعود أبو ضرغم ، أمين علي فهد عبد الباقي من عنبال ،فارس أمين سري الدين من عترين،أحمد علي فهد عبد الباقي ، وأنطلق هذا الفوج نحو فلسطين في ٢٦ آذار عام ١٩٤٨م بقيادة شكيب وهاب فبادر لدى وصوله بالهجوم على المستعمرات الصهيونية وألحق بها الخسائر الفادحة وذاع صيته عبر الإذاعات وصفحات الجرائد وكثر ثناء بني معروف على حضورهم البارز في ساحات الوغى للدفاع عن المنطقة وتحريرها من الغاصبين . وكان لهذا الرجل استعداد كبير لمتابعة الجهاد غير أنه لم يلقَ الدعم اللازم من قبل جيش الإنقاذ العربي، وخاصة بعد توقيع الهدنة عام ١٩٤٨ م فحُلَّ الفوج وعاد شكيب وهاب مع الضباط والعناصر إلى السويداء واستقبل بالحفاوة البالغة .

لكنه سرعان ما وقع في قبضة عدوه العقيد أديب الشيشكلي قائد فوج اليرموك في جيش الإنقاذ العربي عام ١٩٤٨م، وقد أضمر له الحقد مذاك على أثر تنكر بعض عناصره له والتحاقهم بفوج الجبل وحين تسلم

الشيشكلي الحكم، بدأ بتصفية حساباته مع كافة أخصامه وقام بحملة اعتقالات كان شكيب وهاب من بينها، لكن سرعان ما نُفيت التهم الموجهة إلى المعتقلين وظهرت براءتهم وذلك عام ١٩٥٠م وبعدما أعلن الشيشكلي ترشحه لرئاسة الجمهورية عام ١٩٥٣م وأعلن الأحكام العرفية، اعتُقل قادة الأحزاب المعارضة له وأرسل قوّة عسكرية إلى بلدة القريّا في السويداء لاعتقال سلطان باشا الأطرش، الذي فرّ إلى الأردن حقناً للدماء وثارت ثائرة الشيشكلي فقام باعتقال مئات المواطنين وألقى القبض على سلطان بن شكيب وهاب بدلاً عن والده الذي فر إلى لبنان وقاموا بتعذيبه شر تعذيب، وفي عام ١٩٥٤ أُسقط الشيشكلي وفر إلى خارج البلاد وعاد شكيب ليجتمع بوالده في القريّا .

وفي عام ١٩٥٦م قام حلف بغداد بانقلاب عسكري ضد سوريا بمعاونة حلفائهم المعارضين للنظام السوري بعد أن مدوهم بالمال ومن بينهم شكيب وهاب وسعيد تقي الدين والأمير حسن الأطرش غير أن السلطات السورية صادرت الأسلحة وقامت باعتقال المعارضين المدعومين من النظام العراقي.
أثناءها قامت القوات البريطانية الفرنسية الإسرائيلية، بشن هجوم على سيناء في ٢٩- ١١- ١٩٥٦ م تزامن مع التحرك العراقي ضد سوريا، وفر شكيب وهاب من جديد إلى لبنان ليستقيل نهائياً من العمل السياسي ويستقر في قريته غريفة إلى جانب أبنائه وأحفاده طيلة ما تبقى له من العمر حتى قضى الله بوفاته في قريته وعلى فراشه عام ١٩٨٠م وأقيمت له المناحة والمأتم اللائقان وأبّنه عدد كبير من الخطباء ، ذكروا في هذه المناسبة سيرة حياته ونضاله المستميت في سبيل تحرير بلاده وخاصة في جبل العرب حيث أقيم له مأتم كبير ضم كبار الشخصيات والخطباء يتقدمهم الأمير زيد الأطرش متكلماً باسم قائد الثورة سلطان باشا مبرزاً كفاحه وبطولاته عبر محطات تاريخية عديدة .

ثــورة العام ١٩٥٨

لكل فورة من فورات التاريخ دوافعها وانتصاراتها، ولكل محطة من محطاته فسحة تأمل نستطيع من خلالها استخلاص العــبر، وإن تكــن في معظمها موسومة بالندوب والخطوب والأحزان والمآسي.

إثر انتخاب الرئيس كميل شمعون ابن بلدة دير القمــر الــشوفية رئيسا للجمهورية اللبنانية عام ١٩٥٢، بمؤازرة المناضل الشهيد كمــال جنبلاط أحد أبرز مؤسسي الجبهة الاشتراكية الوطنيــة الــتي أطاحــت بالرئيس بشارة الخوري بعد انقلاب ابيض، حصل خصام سياسي بــين الرجلين بعد العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ وثورة يوليو(تمــوز) التي قادها الرئيس جمال عبد الناصر، وذلك لعدم التزام الــرئيس كميــل شمعون بمقاطعة الغرب بعد تأميم قناة السويس.

فبعد صدور نتائج الانتخابات النيابية عام ١٩٥٧ وفوز كل مــن قحطان حمادة ونعيم المغبغب وسقوط جميع المعارضين للــرئيس كميــل شمعون على رأسهم المعلم كمال جنبلاط الذي غادر قصره في المختــارة للتو بعد صدور النتائج برفقة سائقه سامي نمور متوجها الى منزلــــه في البطركية بيروت، تاركا إياه شبه خالياً من الرجــال باســتثناء خمــسة مسلحين غلت في عروقهم دماء الشهامة والنخوة، فمكثــوا في القــصر لحراسته بإيعاز من الشيخ عارف أبو حمزة وهم: أديب ياغي حرب،عــز الدين أبو كروم، ناصيف البعيني، يوسف البعيني، وحسيب الدبيسي حيث كان الرجل منهم بعشرة رجال، نظرا لــشراستهم في القتــال وميلــهم للمناكفة والمواجهة والتحدي،وهي ميزة فطرية بيولوجية دعمت مواقفهم فاستطاعوا من خلالها زرع الرعب في قلوب أعدائهم رغم قلة عــددهم

فذاع صيتهم وقويت شوكتهم، وكانوا من الأشاوس الأبطال الذين تصدروا صفحات الحدث، وخاصة إبان نشوب ثورة ١٩٥٨.

وأثناء تواجدهم في القصر، تسرب إليهم نبأ يفيد بأن وجيهاً من وجهاء البلدة ينوي إقامة مأدبة غداء تضم كل من قحطان حمادة ونعيم المغبغب وذلك في دارته الكائنة في بلدته غريفة، فطاروا على جناح السرعة لقطع الطريق على المدعوين، ولما وصلوا الى وادي عينبال يتقدمهم أديب حرب، تسرب الخبر الى عناصر قوى الأمن الذين بادروا على الفور بمطاردتهم ، فقفلوا عائدين أدراجهم من حيث أتوا ، ولجأوا الى منزل حليفهم أبي سليمان سري الدين في بلدة عترين ، فتبعهم رجال الدرك الى هناك وداهموا منزل مضيفهم وبدأوا بمطاردتهم وإطلاق النار عليهم، ففروا هاربين باتجاه مزرعة الشوف متغلغلين بين البيوت والجبال قاصدين دار المختارة، وفور وصولهم الى المزرعة، هب الناس لنجدتهم وهجموا على رجال المغبغب بالعصي والبواريد، وعَلت الزغاريد واحتدم القتال بين الطرفين وأسفر عن إصابة عنصرين من قوى الأمن، فحضر على أثرها الشيخ خالد جنبلاط والشيخ محمد أبو شقرا واتصلا بالمعلم كمال جنبلاط وأطلعاه على الأمر حيث أمر الرجال بملازمة القصر ريثما يجد الحل المناسب للخروج من تلك الأزمة.

وبعد مرور فترة على الحادثة، مر موكب نعيم المغبغب من المختارة وطلب من أصحاب المحال التجارية إقفالها، فرفضوا الانصياع لمثل تلك الأوامر، واشتبك الطرفان في معركة حامية الوطيس لعلع فيها الرصاص، فانسحب رجال المغبغب من المعركة عائدين من حيث أتوا في حين لجأ أديب حرب الى دارته في غريفة برفقة الرجال، ولاذوا في حماها مطمئنين حتى ساعة متأخرة من الليل، مستعرضين مجريات المعركة

الطاحنة التي خاضوها ضد رجال المغبغب وخرجوا منها منتصرين، ولما تحققوا من ان الوقت مناسب للخروج، ودّعوا رفيقهم أديب على أمل اللقاء به مجددا، وقفلوا عائدين تحت جنح الظلام الى منازلهم في مزرعة الشوف سكارى النصر الذي أحرزوه.

غير أن قوة عسكرية كبيرة كانت قد تسللت الى القرية منذ الفجر وانتشرت بين البيوت ،وطوقت منزل أديب حرب الرجل المكابر العنيد الذي يأبى الاستسلام لغريمه ولو على جثته، فاستنجد بأقربائه وأبناء بلدته، وأرسل بطلب النجدة من رفاقه البواسل الشجعان في مزرعة الشوف عن طريق رجل من إقليم الخروب يدعى علي عواضة، فطار لإبلاغهم على جناح السرعة،فانتخوا وهرعوا ينهبون المسافات لنجدته حتى إذا ما بلغوا ساقية القرية القريبة من منزله، صاحوا بأعلى أصواتهم مرددين على مسامع رفيقهم: جئناك يا أبا زياد جئناك،وأحاطوه بغطاء واق من الرصاص والزغاريد، فانتعش الرجل ودبت بأوصاله حرارة التحدي ، وصاح بابنته رباب: افتحي الباب طلوا النشامى. وخرج لملاقاة رفاقه كأسد طليق ولعلع الرصاص وغمر الدخان سماء القرية وانهزمت قوى الأمن رغم كثرة عددها، وانسحبت من القرية تجر وراءها أذيال الخيبة في حين لجأ أديب ومجموعته الى قصر المختارة مجددا ولاذوا به الى أجل غير مسمى ريثما تهدأ النفوس وتعود المياه الى مجاريها.

وبعد مدة قصيرة بحسب معلومة "أبو فادي يوسف البعيني" طوقت العناصر المسلحة القصر بإمرة ضابط من آل الحشيمي في جو من التهديد والوعيد، حينها بادر الشيخ حسن الأطرش المقرب من أديب بالتفاوض مع المسؤولين متوسلا إنقاذ الرجال، واتصل برئيس الجمهورية

كميل شمعون وبالزعيم كمال جنبلاط الذي رفض تسليمهم رفضاً قاطعاً وهو الرجل الجسور المؤمن الذي لم يجد الخوف الى قلبه سبيلا، حينها توسل الضابط حل الأزمة عن طريق المشايخ (بالمَونة) لا بالإكراه للضغط على المسؤولين، فتوجه الى مزرعة الشوف داخلا على مشايخها من باب المعروف ومن بينهم مختار القرية أبو رامز يوسف البعيني والشيخ أبو شاهين محمد فارس أبو كروم الذي استنكر لهجة التهديد فخاطب على أثرها الضابط بشراسة وقسوة، في حين كانوا قد أفرجوا عن المعلم كمال جنبلاط تمهيدا لحل المشكلة ، فعاد الى منزله في البطركية لينطلق منه مجددا برفقة صهره حسن الأطرش زوج أخته ليندا الى المختارة، حيث وبوصوله الى مزرعة الشوف، اجتمع بالشباب،وأكمل طريقه الى بقعاتا ليجتمع بشبابها ومشايخها، فاستقبل بالرصاص والحداء والزغاريد على رأس "عراضة" طويلة عريضة يتقدمهم الشيخ أبو حسن نعيم ، وتم الإتفاق على إعلان الثورة التي نشبت مخالبها لأسباب كثيرة عام ١٩٥٨بعد مقتل الصحافي التقدمي نسيب المتني، ودخلت البلاد في حرب جديدة حفرت فيها الخنادق وقامت التظاهرات وبرز العصيان المسلح وكانت تلك المرحلة امتدادا للحرب الأهلية اللبنانية بين الأطراف المتنازعة عام ١٩٧٥ واستبيحت فيها الساحة اللبنانية من قبل المقاومة الفلسطينية بعدما رفعت شعارها الغريب آنذاك: "طريق القدس يمر في جونية" وكأننا أمام مجريات حرب تموز الأخيرة عام ٢٠٠٦وما تبعها من تداعيات على مستوى الأطراف المتنازعة حيث ومن خلال تلك الصور الفوتوكوبية المتكررة نستطيع استخلاص العبرة، والوقوف مجددا على عيوب الانقسامات الطائفية والمذهبية المتغلغلة في النفوس، والتي من خلالها تتكرر مأساة شعبنا اللبناني المتعطش الى السلام والإستقرار.

تطويق البلدة وإحراقها
بأمر من الجنرال غورو

مع بداية تحرير البلاد العربية من قبضة جمال باشا السفاح رأس الاستعمار التركي عام ١٩١٦م على يد الشريف حسين وولده فيصل في الحجاز ، ووقوعها في قبضة المستعمرين الجدد عبر اتفاقية الدولتين العظميين بريطانية وفرنسا، تم تقسيم البلاد العربية ما بين الطرفين ، على أن يتولى الانكليز حكم العراق وفلسطين وشرق الأردن، فيما تتولى فرنسة حكم سورية الداخلية ولبنان وعلى هذا الأساس، أبلغ الملك فيصل بواسطة الجنرال (اللمبي) بوجوب سحب قواته إلى الثكنات . وأعلنت فرنسة انتدابها ورفرف علمها على هاتين المنطقتين بإشراف الكومندان (لابرو) والمفوض الثاني جورج بيكو الذي أشرف بدوره على تقسيم المنطقة العربية عام ١٩١٩ إلى ثلاث مقاطعات : اللاذقية الأسكندرونة ، ولبنان الكبير الذي ضم بيروت ، طرابلس ، صور ، صيدا مرجعيون ، حاصبيا ،راشيا ، البقاع ، بعلبك .

وبدأت حملات التنديد بالاستعمار الجديد، لما جاء فيه من عسف لبعض الفئات، وبرز على ساحة الصراع بنو قيس ويمن، يعملون سيف القطيعة والعداوة في رقاب بعضهم البعض، ودب الصراع بين الأطراف المتنازعة وفي ٢٢ آذار عام ١٩٢٠ م، توجهت الوفود اللبنانية من معظم الطوائف إلى بعبدا مطالبين باستقلال لبنان عن سورية، وتم رفع العلم اللبناني مكان العلم الفرنسي، ونشطت حملات التمشيط والمداهمة لسكان القرى المناهضة للإستعمار، وكان كيل الفرنسيين قد طفح من أعمال المجاهدين، واحمرت عيون الناقمين على قادتهم، وأولهم شكيب وهاب

المشرف الأول على مثل تلك العمليات بدءاً من حادثة كوم الرويسة في القنيطرة التي قادها بمساعدة أدهم خنجر وكادت تودي بحياة الجنرال غورو، إلى حادثة بعقلين التي جرح على أثرها جورج بيكو قائد الحملة الفرنسية عام ١٩١٩ م أثناء تجوله في القرى الشوفية، إثر تلك الحوادث صدرت الأوامر بإطلاق حملة تمشيط على غريفة بقيادة يوسف كسبار لمداهمة بيوت المجاهدين، والتضييق عليهم لتسليم أنفسهم بارتهان زوجاتهم أو حرق بيوتهم، حيث كانوا يوثقون النساء بالحبال ، ويسوقونهن خلف الخيول إلى سجني بعقلين وبيت الدين، ومن النساء اللواتي أثبتن شجاعتهن أيامئذ، زوجة المجاهد ملحم مذكور أبو حمدان صالحة زين الدين التي هربت من منزلها إثر انضمام ولدها لمجموعة المجاهدين، ونامت في البراري قرابة ثلاثة أشهر تقتات من ثمار البرية وحشائشها، تقاوم البرد والجوع والعطش طيلة هذه المدة، وتنسل ليلاً للاطمئنان على ابنتها (النفساء) ثم تنسحب على رؤوس أصابع قدميها، لتعاود الاختباء مجددا في إحدى كهوف البرية، وكثيرا ما اضطرت إلى كتم أنفاسها أثناء اختبائها في إحدى الدبشات، لأن الجندي الفرنسي الذي كلف بمطاردتها كان قد استقر فوق (الدبشة) فكاد أن يعتقلها. على ذمة السيد أبو نضال فؤاد صعب حرب.

أثناءها ازدادت المشاكل والتعديات في القرى بين الطرفين، فكلف قائمقام الشوف الشيخ فؤاد جنبلاط من قبل السلطات الفرنسية باستطلاع الأمر فتوجه إلى وادي عنبال ممتطياً حصان يوسف كسبار وكان شكيب وهاب الذي رفض تسليم نفسه قد يئس من إطلاق سراح زوجته المرتهنة بعد أن استنجد بفؤاد جنبلاط ليتوسط له عند السلطات الفرنسية التي لم تكن تقبل بتدخل الوسطاء لا من قريب ولا من بعيد

عندها نصب شكيب كميناً على طريق وادي عينبال بمساعدة مجموعته، وقرر أن يثأر لنفسه، فبدأ بإطلاق النار على الفرنسيين الذين كانوا يعبرون الدرب باتجاه غريفة، فأصيب فؤاد جنبلاط على أيدي تلك المجموعة وقضي عليه .

بنو معروف عبر التاريخ

منذ عشرة قرون ونيف، وبنو معروف الأشاوس منضوون تحت راية أجدادهم البحتريين والمعنيين ذوي الألق والعبق التاريخي البطولي الذي شكل على مدى الفتوحات العربية حصن كيانهم الحصين، ودرعهم الواقي من هجمات الغزاة المعتدين على أراضيهم، عبر استعداداتهم الوحدوية المتواصلة، تلك البقية الباقية بأبنائها وأحفادها، المنبثقة من لظى المعارك والحروب المحاطة بهالة من العظمة والخشوع ومشاكسة الأنداد والحساد، بفضل ما أحرزه أبطالها من تفوق وانتصار، ما يؤكد أهمية هذه الفئة وحجم الأحداث الكبرى التي مرت بها.

وبنو معروف الذين نشأوا على القتال، كانوا دائما في موقع الدفاع عن نفوسهم، وعلى أهبة الاستعداد لنجدة قاصديهم والذود عن حياض أعراضهم وأراضيهم، فما ضنوا يوماً بأرواحهم ودمائهم التي شبعت منها عروق الأرض، إنما على عكس ما كانوا يرومونه من حسن معاملة الجوار، قوبلوا بالصد والرفض، وبشتى أساليب القمع والتعديات.

قصيدة الشاعر مارون عبود في وصفه لبني معروف.

قالوا الدّرُوزُ، فقلتُ:جيـــلٌ مُعــرِقٌ ... العقلُ "دِيــنٌ" والوفاءُ "المَوثِـــقُ"

والصّدقُ شِرعَتُهُم فــإن عاهــدْتَهم ... بَرّوا وإن نَطَقوا بــأمرٍ صَدَقــــوا

خُلقُ الأسُودِ مَتَى يُمَــسُّ حِمــاهمُ ... وسَخاءُ حاتِمَ طــي إن يَطرَقَـــوا

تَمَّت مَروءتُهُــم فــإن ناديتَـــهُم ... طاروا إليــكَ عَصَــائباً تتَدَفــقُ

رَبَضوا بباب الشَرقِ خَيرَ ضَــراغِمٍ ... تَحمي العَرينَ،فــأينَ مِنــه الأبلَــقُ

غَنَّت سُــيوفُهُمُ أناشــيداً شَــجَت ... قلبَ العُروبــةِ واستــعَزَّ المَشــرِق

فإذا مَشَت بِيضُ العَمائِمِ للوَغَـــى ... حُمَّ القضَاءُ ، فكلُ شَــيْخٍ بَيــرَقُ

وَفَتاهُمُ يَلْقــى الجُمُــوعَ مُجازِفــاً ... فَكَأنــما تَحْتَ العَبَــاءَةِ فَيْلَـــقُ

تَتَلَــثَمُ الآفــاقُ مــن نيرانِهِـــم ... وَسُيُوفُهُم كَكَواكبٍ تَتَـــأَلــقُ

وَتُــضيءُ أوجُهُهُــم إذا طــايبتَهُم ... وتَخَالُهم جِنــاً إذا مــا أطبَقــوا

فإذا سُئِلتَ عنِ الدُرُوزِ فقــلْ:هــمُ ... قُــوْمٌ لَهُم في كلِ حالٍ مَنطِــقُ

إن تستَفِزُّهُم،فقلْ خــابَ الرَّجــا ... العقلُ يَعقِدُ والــسّيُوْفُ تُطَلّــقُ

قالوا الدُروزُ، فقلتُ شُعبٌ مُعــرِقُ ... العقلُ ديــنٌ والــوَفاءُ المَوْثِــقُ

يستلهمون البِــرَّ في "خَلَواتِهــم" ... مُتَنسّكين ، جَنَفــتَ استغرقــتوا

وإذا الكَريهَةُ شَمّرَت عــن ســاقِها ... كَرّوا وفي أفقِ البُطولــةِ حلّقــوا

ما قصّرَت عن غايــةٍ فُرسانُــهُم ... فاستنطِقوا تــاريخَهُم تَــسْتَوثِقــوا

يمشي الــدّمُ العــربيُّ في أعــراقِهم ... صُرْفاً صُراحاً والــدَليلُ المَنــطِقُ

لِمَ لا تُصانُ أُصولُهُم وفروعُهـــم ... والبابُ في وجـهِ البَريّـةِ مُغلـــقُ

فَهُم ذوو الجَبَـلِ الطّويـلِ نجـادُهُ ... حَلّـوا رُبـاهُ وفي ذُراهُ تعلّـقوا

تتَدَهورُ الأريـاحُ عن جَبَهاتِـــهِ ... وعلى ذوائبِهِ الـصَواعِقُ تَزلـــقُ

لاذوا بهِ مُستعصِمينَ، ومُذْ غَـــدَا ... حُصناً لَهُم عَـزّوا بـهِ وتَفوقـــوا

وتَألَبوا عُصَـــباً تَصـــونُ ذِمارَهُ ... فَرَعَت سِـيادَتُهُ قُلـوبٌ تَخْفِـــقُ

فإذا تعرّضَ للمَـطـامِعِ أرعَـدوا ... وإذا تُشيرُ إليـهِ كَـفٌ أبرَقـــوا

السَيْفُ يخطُبُ عنـهُمُ إن هوجِـوا ... والصِدقُ في نَـدَواتِهِم إن يَنطِقـوا

قالوا والدروز،فقلتُ شعبٌ مُغْـرِقٌ ... العَقلُ دينٌ والوفـاءُ المَنطِـــقُ

سَبعٌ وعُشرونَ انقَضَت في ظِلّهِـم ... للهِ ظِلّهُـــمُ المُنيـفُ المُـــورِقُ

فإذا أقولُ عشيرَتي، فهـوَ الوَفـــا ... يُملي عليَّ، فمـا هُنـاكَ تَمَلّـــقُ

فأنـا مواطِنُهُم بِفَضـلٍ مِنهُـــمُ ... والفضلُ يعرفُـهُ الـدّرُوزُ الـسُبَّقُ

قَد هَوَّن الموتَ اعتقادُهُم فَمـــا ... أجـسادُهُم إلاّ تُـراثٌ يُنفَـــقُ

فإذا هززتَ هَزَزتَ رِمحـاً طَيّعـــاً ... وإذا سَلَلْتَ سَلَلْتَ سَـيفاً يَفـــلِقُ

وإذا تنمَّـرَ طارئٌ صـاحـوا بـــه ... أبشِر فإنَّ الـسّيفَ حَـيٌّ يُـرزَقُ

نَحن الأُلَى هانَ المماتُ عَليهِـــمِ ... الرُّوحُ تَبقَى والقَمـيصُ يُمَـــزَّقُ

شهداء الحرب الأهلية

إثر اندلاع الحرب اللبنانية الأهلية عام ١٩٧٥ التي انطلقت شرارتها من مذبحة عين الرمانة (المراية) وذهب ضحيتها معظم ركاب البوسطة الفلسطينية، حيث كنت قد شهدت وقوعها من على شرفة منزلنا المطلة على المراية في الطابق الخامس من بناية الجردي كرم الزيتون. خلت يومها أنني أمام فيلم حربي مريع سقطت مشاهده على رأسي سقوط الكارثة، وعلى فنجان قهوتي التي تطايرت أجزاؤه بسقوط القتلى والجرحى وأصوات رصاص الكليشينات وصفارات الإنذار، وكانت بداية لحرب أهلية بشعة تنذكر ما تنعاد، ذهب ضحيتها الكثيرون من أبناء وطننا لبنان الذين شهدوا خيبة بلدهم وعملية احتلابه واقتسامه وفقاً لشريعة " الآستانة " العصرية المستحدثة، والمعتمدة من قبل الأطراف والجهات المتنازعة على كراسي المراتب والألقاب، والذين استعانوا على بعضهم البعض بأعداء وأغراب دارت دائرتها على رؤوسهم .

نالت قريتنا غريفة نصيبها الكبير من عواقب الحروب والمحن المحلية المتكررة ،أبرزها محنة اجتياح إسرائيل للبنان عام ١٩٨٢، حيث تعرضت هذه القرية للتطويق والمشاكسة من قبل الأحزاب المعادية التي كانت قد تمركزت في معظم قرى الشوف وجبل لبنان، (وبقدرة قادر) اجتمع بنو قيس ويمن (الجنبلاطيون والارسلانيون) بتاريخ ١٩٨٢/٧/١٨م برعاية شيخ عقل الطائفة الدرزية محمد أبو شقرا، والزعيم الوطني الحر وليد كمال جنبلاط والأمير مجيد أرسلان ، وأعلنوا حرب الدفاع عن مواقعهم

تحت مظلة المصيبة الجماعية المشتركة،التي عززت مواقعهم الدفاعية فقرروا طلب العون من دولة وطنهم العلية، لكن لا عون لمن ينادي..! إنما عونهم كمن باتحادهم وتفانيهم وصبرهم على الملمات .

كانت الأيام الحالكة التي خيمت على قرى الشوف من ٦ الى ٩أيار عام ١٩٨٣م أياماً دموية حارة، دق فيها ناقوس القوات المعادية المتمركزة في قرية المطلة الواقعة على التماس مع قريتنا غريفة، وفي قرية جون دير المخلص إحدى قرى إقليم الخروب، وكان الجيش الإسرائيلي قد تسلل الى المنطقة تحت غطاء من القصف المدفعي المحكم، ومشط مقاتليها من أسلحتهم الثقيلة، واحتل تلال حصروت المشرفة على غريفة وعلى كل من بلدتي بعقلين وداريا، غير أن العناصر المدافعة عن مواقعها كانت قد أحكمت سيطرتها على مثلث الطرق من جسر بيزون الذي قصف مؤخرا عبر حرب تموز التي شنتها إسرائيل على لبنان، حتى المطلة والإقليم ، وخاصة على جبهة بسابا - المطلة تحت وابل من القصف المدفعي الكثيف تركز على قرية غريفة المجاورة، فأحرقت منازلها وقضي على موسمها الزراعي وسقط على أثرها عدد كبير من الشهداء منهم:الشهيد وليد فريد مطاوع حرب - الشهيدة آمال صعب حرب الشهيدة لينا رامز أبو حمدان - الشهيدة مثيل نجيب الغندور حرب الشهيد داوود سليمان أبو حمدان - الشهيد ناجي عياش أبو حمدان الشهيد أحمد سليمان أبو حمدان - الشهيد فيصل سليمان أبو حمدان الشهيد جمال سليمان أبو حمدان - والشهيد عدنان عارف زين الدين .

العشائر العربية السامية الأصل
والعائلات المتفرعة عنها

العائلات الموجودة في معظم قرى لبنان وخاصة غريفة ، تنتسب إلى بطون وأفخاذ من العشائر العربية العريقة السامية الأصل، والتي انتشرت منذ القرن الثامن قبل الميلاد، وطغت على البلاد من شمالي شبه الجزيرة العربية،حتى البقعة الجغرافية قوسية الشكل (الهلال الخصيب) حيث كانت هذه المنطقة نظراً لمائها الوفير، وينابيعها المتدفقة من أعالي الجبال محط أنظار رعاة المواشي، طمعاً بالماء والكلأ، وسبباً لغزوات البدو على الحضر لبسط سيطرتهم عليها .

وهؤلاء البدو هم ذاتهم الساميون ذوو الأيدي البيضاء الذين عمّروا القرى والمدن، وكانوا سبباً للاحتكاك والتواصل بين معظم المدن والبلدان المجاورة عن طريق الدين واللغة الآرامية السريانية المشتركة منذ بداية التاريخ، وهم الذين أتاحوا لنا فرصة الانتقال من مرحلة الصيد الهمجية، إلى مرحلة الزراعة التنموية التكاثرية. فلولاهم لما انتشرت العلوم والمعارف، ولما عمرت البلدان بسكانها وأهاليها .

وأبناء نوح العرب الأقحاح المنتسبون إلى يعرب بن قحطان هم فئتان : الأولى من آل قحطان الذين سكنوا اليمن وحضرموت، وسبقوا غيرهم في التمدن حيث قامت فيهم دول قوية عاصرت الفراعنة وملوك بابل وأشور ، وشيدت المدن العجيبة المزخرفة بالجزع اليماني المصفحة بالحجارة الكريمة والذهب والعاج ، تجري في وسطها جداول ماء حصباؤها من ذهب وترابها من جواهر ويواقيت ، ومن أخص مدنها : صنعاء ومأرب وسبأ .

والعرب المستعربة: هم آل عدنان سكان الحجاز ونجد ، وينتسبون إلى عدنان بن إسماعيل بن إبراهيم الخليل وزوجته هاجر، ومن هؤلاء تسلسل الأنباط والعمالقة المشهورين بالبطش ، وغيرهم من قبائل عاد وثمود وطسم وجديث يعيشون في الحجاز في حال البداوة لا مرتزق لهم سوى الغزو بسبب جدب أرضهم وبعدهم عن الشعوب المتحضرة ، إلا أن انفرادهم في سكنى تلك الأرض جعلهم رجال بأس وشدة وأهل وفاء وأنفة ورغبة في إقراء الضيف ورعاية الجار وحماية اللاجئ الضعيف، فضلاً عما تميزوا به من صفاء فكر ونباهة وسعة فهم .

ظل العدنانيون على هذه الحال من الضيق والعزلة والتقشف إلى أن فتحت لهم أبواب الهجرة والاغتراب طلبا للكسب، فاختلطوا بالأمم والشعوب المختلفة، وأصبحوا ذوي حظوة وعلم ومعرفة وانتماءات وعقائد مختلفة .

والعشائر العربية القيسية اليمنية التي نزحت من العراق واليمن إلى بلاد الشام عبر هجرات متتالية مابين القرنين الثامن والتاسع ميلادي ، نال منها لبنان قسطاً كبيراً، وخاصة جبل الشوف حيث انتشرت تلك العشائر في معظم أنحائه من الشمال إلى الجنوب وتملكت السواحل والجرود والعراقيب والأقاليم والقرى والمزارع ، وأبرزها آل بحتر التنوخيون المنتسبون إلى الملك النعمان الذي غُدر به على أيدي الفرس قبيل الإسلام بعشر سنوات، والذين قوي نفوذهم وبسطوا سيطرتهم ما بين بيروت وصيدا في العهد العباسي أيام المماليك وتملكوا الإقطاعات ولقبوا بأمراء الغرب .

وبعد انتشار الإسلام في معظم قرى لبنان والساحل، توافدت إليه اثنتا عشرة قبيلة بمعية الأمير معن الأيوبي سليل قبيلة ربيعة القيسية،وهي أقوى القبائل العربية التي قدمت من شبه الجزيرة إلى شمال سوريا وانتقلت إلى لبنان بإيعاز من الملك صلاح الدين الأيوبي قاهر الصليبيين لمساعدته في تحرير البلاد من تعديات الإفرنج عام ١١٢٠ م ، وقد استقر الأمراء المعنيون في منطقة بعقلين الشوف مركز إمارتهم لحماية البلاد من غارات الفرنجة، بمساعدة أمراء وملوك العشائر العربية في كل من العراق ومصر وفلسطين، وبفضل توحد العشائر وانقيادها طوعاً لثورة صلاح الدين، تم النصر العظيم على المستعمر .

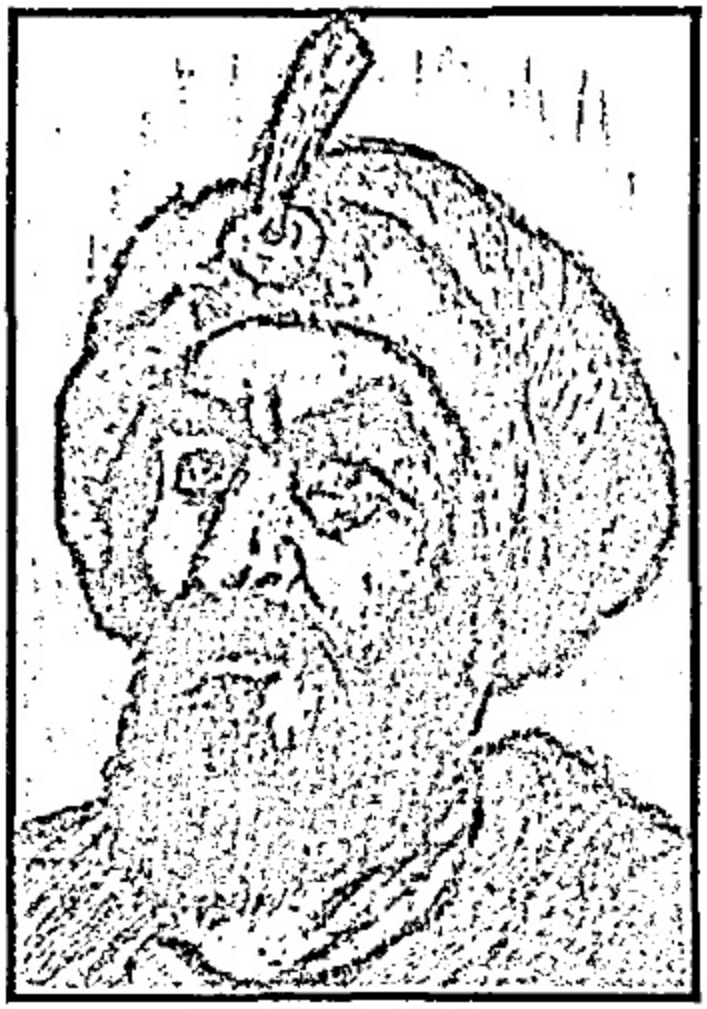

صلاح الدين الأيوبي

العائلات في غريفة
مسيحيون وموحدون دروز

حرب – أبو حمدان – حمادة – فايز – سعد – مسعود – منذر – معن – شمس – زين الدين – نصر الدين – حداد – نصر – رحال – غصن – صوايا – الخوري.

التوزيع الطائفي : دروز – كاثوليك – وموارنة.

آل حرب وفروعهم الصغيرة :

يتفرع عن آل حرب : جب مطاوع ، ياغي ، صبّاغ ، عيد شعلان ، يزبك ، صعب ، غندور ، جُنيد ، حَمزة ، دانيل.

حرب هو إسم زماني يدل على حدوث ولادة الذكور في الحرب ومنهم حرب بن حارث ، وحرب بن زنباع ، وحرب بن سبيع ، وحرب بن قحطان في اليمن . كما سميت به بطون وأفخاذ من عشائر العرب كقبائل قحطان وحمدان في اليمن، وعدنان في شبه جزيرة العرب ودوما وجرمانا في نواحي الشام، وفي الأردن وفلسطين وفي كل أنحاء العالم وبحسب الأمير شكيب أرسلان ، فإن قبائل حرب إذا اجتمعت تزيد على مئة الف نسمة .

وحرب في لبنان إسم لأسرة مشتركة بين المسيحيين والموحدين الدروز في غريفة، والمسلمين الشيعة والسنّة في كل أنحاء لبنان . كل هذه الطوائف والملل احتضنتها جامعة آل حرب (جامعة القلوب) التعددية

المشـــارب والانتماءات ، التي شد أزرهـــا وعمل علـــى تأسيـــسهـــا الشيخ بطرس حرب النائب الحالي في البرلمان اللبناني ورئيسها الفخـــري الحالي، بمساعدة آل حرب في غريفة وغيرهم، وذلك بموجب علم وخـــبر رقم ٤٧٠ / أ د بتاريخ ١٨/٦/١٩٩٤.

مركزها : بيروت الشياح، مقابل شركة رسامني ويونس للسيارات.

الهيئة الإدارية في بيروت وهم السادة: الرئيس حسن خليل حرب،روفايل الياس حرب، خضر مصطفى حرب، د أحمد كامل حرب،أنطوان جميـــل حرب، أنطوان ميشال حرب، هنري فيليب حرب، عبدالله علي حـــرب عادل سعيد حرب، عقل عبود حرب، نبيل مطانيوس حـــرب، عبـــدالله عباس حرب، جميل محمد حرب، أحمد محي الدين حرب، عمـــر فـــؤاد حرب،يوسف جعفر حرب، الياس جوزيف حرب.

الهيئة الإدارية في غريفة وهم السادة:

عادل سعيد حرب ، أنور فؤاد حرب، عاصم ناظم حرب، شوقي مطاوع حرب،مدحت طليع حرب.

الأعضاء المنتسبون في غريفة إلى هذه الجامعة يتجاوز عـــددهم ١٥٦ عضوا ومنهم:

عبدالله وسليم ووليم وغسان وهشام ومُنَح وهيـــام مطـــاوع حـــرب، وغيرهم من شباب ورجال العائلة الذين لم تتوفر لدي أسمـــاؤهم. وقـــد انضم لهذه الجامعة الكثير من العائلات، ولاقت تأييداً لدى باقي الطوائف في أكثر من ٧٣ قرية لبنانية، حتى أن أحد النشطاء وقبل تأســـيس هـــذه الجامعة، قدم إلى غريفة وعرض على آل حرب فكرة شجرة العائلة، وهي بادرة تعاضديه جريئة تؤكد حسن النوايا والمساعي الخيّرة التي يسعى إليها الجميع.

ويقام لهذه المناسبة إضافة الى اجتماع أعضائها الشهري في مركزها الرئيسي في بيروت، اجتماع سنوي كبير كل عام للتداول في شؤون العائلة، وتقوية أواصر العلاقات بين فروعها في مختلف الطوائف.

وتعتبر هذه الجامعة المثال الأسمى لتخطي حواجز التفريق الطائفي الذي حال وما زال دون تحقيق معجزة الوفاق الوطني اللا طوائفي الشامل في بلد أرهقه التقسيم والتمييز بين طائفة وأخرى .

فآل حرب عبر الحاضر والماضي عموماً ، كانوا وما زالوا ذوي همم وشجاعة ونخوة، وأكف بيضاء وقلوب وبيوت مفتوحة، لهم صولات وجولات في شتى ميادين الحياة الإجتماعية المختلفة، وخاصة بما يتعلق بهموم ومشاكل أهل قرية غريفة ، فهم كانوا وما زالوا على أهبة الاستعداد لإغاثة السائل، وقد شهدت على ذلك أحداث العام ١٨٥٠م التي حصلت بين آل حمادة وأبو حمدان وحرب، عند تعرض أحد أبناء حمادة للضرب على يدي أحد أقربائه، ما جعله يستنجد بآل حرب ذوي الكلمات المسموعة، فانجدوه وجعلوه واحداً من أبنائهم .

فآل حرب وبشهادة أهالي القرية وأسوة بأخيارها ومصلحيها كانوا وما زالوا من المترفعين عن الغايات والمصالح الشخصية ، ولذلك فإن أرصدة وأملاك هذه السليلة الحربجية العريقة، المنقولة وغير المنقولة تكاد لا تتعدى حدود السترة.

قد أقع في الإحراج والإجحاف، لو لم أقم عدلاً بين أبناء وبنات قريتي، فجلّهم خرج من منجم الخامات الطيبة، وعذرا لو غفلت عن أحدهم. قد أتعرض للتبكيت والذم، فيما لو أنكرت على أصحاب

الحقوق حقوقهم، وعليه فإن رجال ونساء هذه القرية على الـــسواء ذوو حنكة وحكمة وثقافة حياتية عامة تبوأوا من خلالها المناصـــب وحققـــوا الطموحات، كل بحسب خبرته واستعداده وتفانيه، بدءاً بمدبري ومدبرات البيوت والحقول والحرف المتفرقة انتهاءً بالمتفوقين من خريجي الجامعـــات والاختصاصات العلمية والمهنية المتنوعة .

الأشخاص الذين سُلطت عليهم أضواء الشهرة هم كثر منـــهم : عمي أخو والدي المقدم الطيار فؤاد مطاوع حرب (١٩٢٨- ١٩٧١م) الملقب بشيخ الطيارين لبراعته بقيادة كافة أنواع الطائرات بدءاً بـــالطيران الشراعي الذي تمرس بفنونه، وأمسى من خلاله على جانب كـــبير مـــن البراعة والخبرة، جعلته مدرباً ومعلماً لفن قيادة الطائرات، حيـــث كـــان يستقبل الموفدين العسكريين من كل الأقطار العربية لتلقينهم فن القيـــادة وعيّن قائداً لسلاح الجو، ورئيساً لقاعدة الطيران العـــسكري في مطـــار بيروت ، وافته المنيّة هو وقائد الجيش العماد جان نجيم أثنـــاء زيارتهمـــا لرئيس جمهورية لبنان السابق سليمان فرنجية، وذلك للتداول بالـــشؤون العسكرية، وأثناء عودتهما تعطلت الطائرة وسقطت فوق جبل " أيطـــو " في شمال لبنان، واستشهدا على إثرها . وقد قامت بلدية طرابلس بتسمية شارعين من شوارع المدينة باسميهما تكريماً لهما، شارعاً باسم قائد الجيش اللبناني جان نجيم ، وشارعاً آخر باسم المقدم الطيار فؤاد حرب.

وابنة عمي الشهيدة إبتسام فريد مطاوع حرب ، شابة جامعيـــة جميلة ومثقفة، منتمية للحزب السوري القومي الاجتمـــاعي، أرادت أن تنغص عيش المحتل الإسرائيلي الذي اجتاح لبنان أثناء الحرب الأهليـــة الطائفية في الثمانينات ، فأرادت الانتقام لوطنها بعمليـــة انتحاريـــة،حين

توجهت بسيارتها الملغومة الى منطقة الحمراء في الأراضي المحتلة، وفجّرت نفسها وأوقعت في صفوف الأعداء الصهاينة الكثير من القتلى والجرحى لتنضم راضية إلى قافلة الشهداء مع خالد الأزرق، وقد شيّد لها على مدخل بلدتها بإيعاز من الحزب السوري القومي نصباً تذكارياً وفاءً وتقديراً لعملها البطولي .

وبلدتنا المتواضعة غريفة زخرت على مدى الأيام بالأعلام والرجال الميامين العظام الذين أوكلت إليهم المراتب والوظائف العالية فبرعوا فيها حتى وصل بعضهم إلى رتبة مدير عام في الدولة وضباط كبار ومدراء مدارس وأطباء مهرة ورؤوساء بلدية ومصلحين وفعلة خير وبررة وأتقياء وجابري عظام وخواطر مكسورة ومنهم:

* أبو صلاح نديم حرب : رئيس بلدية غريفة ، ورئيس إتحاد بلديات الشوف السويجاني سابقا (١٩٨٠- ١٩٩٤) وهو ذو صفحات بيضاء وشعبية.
* الباحث الاجتماعي سجيع كامل مطاوع حرب: دراسات عليا في مجال التنمية الاجتماعية.
* لبيب مطاوع حرب : سياسة واقتصاد.
* الدكتور وليد حسن حرب: أنف أذن حنجرة .
* الدكتور حسيب حسن حرب: طبيب أسنان.
* الدكتور عماد فريد حمزة حرب .
* العميد رجا صعب حرب.
* العميد فؤاد عارف حرب .
* ومهندس الكهرباء شكيب نجيب حرب، مؤسس نادي غريفة الرياضي.

* ووالدي المربي الأستاذ فرحان سليم مطاوع حرب (١٩١٩- ١٩٩٢) توفي في منطقة عاليه، تلقى علومه في كلية المقاصد داخلي، أتم تعليمه وتخرج منها،وكان متخصصاً في اللغة العربية وآدابها. أدى رسالة التعليم بإخلاص، وتنقل في مختلف القرى بدءاً من عرمون -كيفون - شارون - مزرعة الشوف - الجيّة وعترين الذي كان مديراً لمدرستها، ثم تدرج من مدرس الى ناظر مدرسة فمعتمد قبض رواتب المعلمين في الشوف، ثم أنهى برتبة مربٍ . و كان مثالا للمعلم النموذجي الذي حاز على رضى محيطه التعليمي بشهادة من زملائه وطلابه لما كان يتمتع به من نفس طويل، وقدرة على استيعاب هموم مهنة التعليم : صاحب قلم وخط عربي جميل، وأسلوب أدبي عميق، له عدة مختارات ومقتطفات نثرية وأدبية سياسية واجتماعية مكثفة لم يكتب لها الخروج إلى نور الشمس فبقيت حبيسة أدراج مذكراته، كان خطيباً جريئاً وصاحب نخوة وباع طويل في شتى الأمور الاجتماعية.

* شوقي نجيب مطاوع حرب :معاون أول ومساعد قضائي متقاعد أسس في البقاع المحكمة العسكرية المنفردة حيث لم تكن سابقا المحكمة موجودة، وعين كرئيس قلم للمحكمة العسكرية في الشمال طرابلس، وعمل أيضا محاسبا لحراس شركة نفط العراق (ABS) وقبل انتقاله من البقاع ، انشأ مقبرة مساحتها ٤٠٠ متر مربع وسجلها باسم وقف الطائفة الدرزية وهو حتى الساعة ما زال متطوعا لصيانتها وقام بعدة نشاطات اجتماعية عديدة وخاصة على صعيد

إنشاء قاعة البلدة، حيث قام بإحياء نهضة العائلة وجمع التبرعات المالية بمساعدة شباب العائلة وله الفضل الكبير بتأسيس رابطة آل حرب في غريفة وغيرها من الخدمات الإنسانية المختلفة .

* المقدم حسن صعب حرب صديق المجاهد شكيب وهاب كان دركياً وترقى الى رتبة مقدم، ورجلاً منصفاً ذا كلمة مسموعة، ومغامراً مقداماً أنصف المغلوب وتصدى للغالب وطارد الأشقياء وقطاع الطرق وحاز على الكثير من الميداليات وأوسمة الشرف الرفيعة واستحصل على لقب " بك ".ومن أشهر مغامراته أيام سفر برلك، مطاردته لعبدو كريدية أحد العصاة المطلوبين من الدولة إبان حرب (الأربتعش) العالمية الأولى، وفي سنتي الجوع والجراد والمصائب المتنوعة حيث انتشرت العصابات وكثرالسطو على مهربي الحبوب والمواد الغذائية المنقولة من حوران الى جبل لبنان خفية عن أعين السلطات الفرنسية المحتلة، التي احتكرت القوت وصادرت الغلال والمواشي، وفرضت على الناس الضرائب والغرائم، حتى أن بعضهم لجأ الى الحظائر بحثاً في روث البهائم عن الغذاء .

آل حرب

مسيحيون - سنة - شيعة

آل حرب المسيحيون : هم فرع من قبيلة صقر التي نزحت عن شبه الجزيرة العربية وينتسبون هم وآل يونس وطربيه وداغر ويعقوب في تنورين الى جدهم الأول خطار والد قرقماز الأول الذي قدم من بلاد مابين النهرين ، واستقر في بغداد ثم انتقل الى حلب عام ١٤٢١ م وأن أحد أبناء هذا الجد قرقماز الأول هرب الى يانوح وصار نصرانيا مع أولاده كما في مخطوطة (الأب بولس مطر) بسبب عدم توفر موارد الرزق والمعيشة، خلفه قرقماز الثاني الذي انتقل بدوره الى العاقورة وبنى كنيسة مار سابا، ومن أحفاده موسى الذي نزح الى الهرمل عام ١٤٩١م وسكن بلدة مرجحين، خلفه ولده جرجس بن قرقماز الذي دخل في منازعات دموية مع المتاولة حينما حاولوا خطف ابنته، فالتجأ الى قرية تنورين عام ١٥٢٠م.

ويتفرع عن عائلة حرب تنورين عدة أجباب منها : جب بو عساف ، نصر، مرعب، شلهوب، رزق، صعب، نعمة. وتؤلف هذه الأسرة العريقة مع فروعها أربعين بالمئة من سكان تنورين، وعلى رأسهم الشيخ بطرس حرب الوزير السابق والنائب الحالي في البرلمان اللبناني والأستاذ جوزيف حرب أمين سر إتحاد الكتاب اللبنانيين سابقاً ، وغيرهم من الشخصيات الكبيرة البارزة .

أما آل حرب المسلمون السنة والشيعة، فيتفرقون في شتى المناطق اللبنانية، بحسب توفر المعلومات وخاصة في تولين وبرج البراجنة، ويقال

أنهم فرع من آل علي الصغير وأشهرهم المهندس حسن حرب والمربي إبراهيم حرب، والعلامة الشهيد الشيخ راغب حرب من جبشيت والشيخ أحمد حرب مدير الأوقاف السابق، وعزت حرب، وجميل محمد حرب في كفرحونة، والأديب المفكر علي حرب، والمهندس عبدا لله حرب كاتب العدل في البابلية، ومحمد حرب رئيس بلدية شعث، والمؤرخ نعمان حرب من دروز السويداء.

آل أبو حمدان

ينتمون الى جد العائلة الذي قدم من شمالي سوريا وسكن جسر القاضي، ثم انتقل مع أحفاده الى دير القمر عام ١٨٤٥م ثم الى غريفة والكحلونية، ومنهم ثلاثة أشخاص انتقلوا من غريفة الى حاصبيا وجرمانا والسويداء في نواحي الشام حيث توجد ذريتهم في السهوة والبلاطة وذبين والمجيمر وعرى ورساس ، ويتفرقون في غريفة والكحلونية وميمس.

يتفرع عن هذه العائلة : جب بو يزبك ،حاتم ،بو قاسم ، بو علي حمّاد، يوسف حَمَد، شرف الدين،حمود،مذكور، صالح، يقظان، وهاب وأبو علي .

* حسيب أبو حمدان كان قائدا للجيش الأردني سابقا، اشتهر بحنكته وسداد رأيه، حاز على الأوسمة الرفيعة من جلالة الملك حسين ومن الحكومة الأردنية، وبقي في وظيفته ثم أحيل الى التقاعد، فعاد واستقر في قريته غريفة.

* الشيخ أبو فهد فرحان مذكور أبو حمدان،من مواليد حـــرب الأربتعش رجل محسن، لا يتأخر عن إسعاف المحتاج أينما وجد ومهما كان موقعه، وقد أقام من جيبه الخاص بيتاً للبلدة تقام فيه الأفراح والأتراح، وعندما أنجز العمل، سلم مفاتيح البنـــاء الى أبناء بلدته، وكان رئيس بلدية غريفة سابقاً .

* الأديب سمير وهيب أبو حمدان،عضو اتحاد الكتاب العـــرب واللبنانيين.صاحب مؤلفات ودراسات فكرية ونقدية عديدة.
* الوجيه كامل أبو حمدان .
* القاضي فؤاد أبو حمدان .
* المحامي تيسير أبو حمدان .
* الكاتب الروائي جمال أبو حمدان من سكان الأردن.
* الكاتب القصصي عصمت كامل أبو حمدان .
* فؤاد كامل ابوحمدان صاحب مجلة هواة اللاسلكي .
* الدكتورة عبير فهمي أبو حمدان .
* الدكتور هشام حمود أبو حمدان .
* الدكتور خليل أبو حمدان .
* الدكتور سمير فيروز أبو حمدان .
* مذكور أبو حمدان الذي مثل قريته غريفة في اسطنبول أيام الحكم التركي.
* المهندس ريمان سالم أبو حمدان ، رئيس بلدية غريفة سابقا، ومفوض الحزب التقدمي الاشتراكي.

آل حمادة

آل حمادة عموما ينتسبون الى آل شويزران ، وهم عشيرة عربية قدمت الى لبنان سنة ٨٢٠ م من شمالي سورية بسبب خصام وقع بينهم وبين علي الزغل، كانوا يعرفون بأهل الدين والثروة، وذلك سنة ١٣٠٤م نزلوا منطقة طرابلس أولا، ثم انتقلوا الى وادي التيم ورحلوا الى دير القمر على أثر خصام وقع بينهم وبين أصحاب المكانة في وادي التيم، ثم استقروا في بعقلين قرية النائب الحالي مروان حمادة، وينتسبون أيضاً لقبيلة شيبان الذين انتقلوا برفقة التنوخيين الى معرة النعمان ثم الى لبنان، وسكنوا الجمهور أولاً، ومن أشهرهم الشيخ أبو علي مرعي تلميذ الأمير السيد عبدالله بن جمال الدين التنوخي قدس الله سره، وآل حمادة في غريفة يقال أنهم فرع من آل حمادة بعقلين وينتسبون هم وآل سعد المتفرعين من آل فايز، الى جدهم أبو علي باز الذي قدم من حاصبيا وأبرزهم : أبو علي باز حمادة وأولاده خليل، بركات، أسد، وفياض.

يتفرع عن هذه العائلة: جب أسد، شبلي، فياض، وبركات أولاد خليل وقاسم ، وفهد .

* المحامي فندي حمادة الملقب (بالأفندي)
* فخري حمادة ابن الدكتور جميل حمادة: هو عالم في تصنيع الذرّة ومقيم حاليا في الولايات المتحدة الأميركية، وغيره من رجال العلم والفكر الذين فاخرت بهم قريتنا على مدى تميزهم وتفوقهم في كافة المجالات.
* مهندس الكهرباء أديب رامز حمادة: تخرج من جامعة ليدز في إنكلترا عام ١٩٦٤، كان محاضرا في جامعة كاليفورنيا ورئيسا

لاتحاد الطلبة العرب في الجامعة ،عمل في عدة شركات أميركية وصمم رادارا يستعمل تحت الماء لكشف العوّامات المعادية إضافة الى عدة بحوث واكتشافات حاز من خلالها على درع المهندس المتفوق.

* مفيد أسعد حمادة، أخصائي بارع في صناعة الدروع التكريمية والميداليات الذهبية.
* نديم حمادة وولداه .
* الدكتور نماد حمادة (طبيب جراح).
* المحامي زياد حمادة .
* عارف حمادة دكتوراه في العلوم الاقتصادية، وولداه نبيه وهو من كبار موظفي شركة طيران الشرق الاوسط ، وخليل دكتوراه في الحقوق الدولية.
* القاضي فؤاد حمادة .
* أديب رامز حمادة.
* حسين شبلي حمادة كان زعيم العائلة، ورأس الحزب اليزبكي في قومه، رضي عنه الأمير بشير الشهابي الثاني، فولاّه ناحية إقليم الخروب عام ١٨٢٥، خلفه ولده أمين مختار القرية وحاكمها، وهو الذي جلب الماء من نبع الدلب لعيون ماء القرية منتصف القرن الثامن عشر.
* سليمان حسين حمادة (١٨٠٥ – ١٨٦٦ م) كان مع الأمير بشير الثاني في فتح قلعة سانور، جرح في المعركة، وقتل أخاه فولاه بعدها الأمير بشير عهدة إقليم التفاح .

وآل حمادة في قريتنا غريفة كانوا من المرابعين الأثرياء، ومن أصحاب الأملاك الشاسعة الواسعة، تبوأوا المناصب العالية في العهود الإقطاعية، وكتب لهم الحظ السعيد بسبب موالاتهم للحكام والسلاطين تولوا رقاب العباد وملكوا البلدة وكان لهم فيها سجن ومشنقة ومحكمة خاصة مازالت آثارها موجودة حتى الآن، الى جانب بيت عارف حمادة.

تفردوا بالبذخ والجاه والثراء، وتميزت بيوتهم بالفن والمتانة وبالقنطريات والمنحوتات الصخرية المقصوبة، عنوة عن علالي الفلاحين الفقراء الذين كانوا مستكرين في بيوتهم وأراضيهم، والتي كانت مبنية من الدبش والدلغان، ولا غرابة لو كثر فيهم المرابون المدينّون بالفائدة .

ومن أصحاب البيوت المميزة : بيت مفيد أسعد حمادة في حي المدرس بيت فيصل رضا حمادة، بيت فريدة وسلمى حمادة، بيت سامي أحمد علي حمادة، بيت عاطف فريد أمين بركات حمادة، بيت توفيق فريد حمادة، بيت المحامي فندي حمادة، وبيت كمال عارف حمادة الذي كان مربطا للخيل، وسبحان الدائم .

ومشايخ آل حمادة الشيعة كما يقال ينتمون الى الفرس الى رجل يدعى حمادة من بخاري العجم ثار على شاه بلاده، فوجه له جيشاً لمحاربته ففر بأخيه أحمد وعشيرته الى لبنان، وآل حمادة السنة، هم أسرة عربية نشأت في القطر المصري، قدمت مع جدها عبد الفتاح آغا في سوريا مرافقاً إبراهيم باشا، وهناك أسرة سنّية في المغيرية وإقليم الخروب والقماطية والنبطية والكفور ودير كيفا وكفرملكي والشهابية والخرايب.

آل فايز

إسم أسرة من أسر الموحدين الدروز في غريفة، عربي اسم الفاعل من فاز، وهو في التاريخ اسم قبيلة من أقدم القبائل العربية العلوية في كربلاء، ويرجع سكناها الى القرن الثالث الهجري، ومذهبها الإمامية واسم بطن من بطون العرب في القصيم بالمملكة العربية السعودية، أما الأسرة في لبنان، فالراجح أنها من سلائل قبيلة الفايز العربية، ويقال إن من فروعها في غريفة(آل سعد) و (حمادة) و(راجح).ويقال أن آل فايز هم عائلة من أهل قرية الضّحي في وادي سُرْدُد، منهم الفقيه العلامة حسن بن عبدالله فايز ترجمه الوشلي في كتابه: " نَشر الثناء الحَسَن" وقال أن وفاته كانت في عام ١٣٢٩ هـ. أبرزهم في غريفة: كمال فايز وأبنائه، ويتفرع عن عائلة فايز : جب راجح وحمادة ومسعود .

آل مسعود

من أسماء الذكور عند الجميع، عربي بمعنى السعيد، سمي به فخذ من الساري من الفدعان بالشام، وفرع من ثقيف باليمن، وبطن من هذيل وهو في لبنان إسم أسرة مشترك بين الموحدين الدروز في الرملية وغريفة وبشامون والفريديس وعين دارا وعين جرنا، والمسيحيين في العاقورة وبشري وبيت الدين وبيت مري وجديدة المتن وبكفيا وساقية المسك وشويت ودير الأحمر وأرصون بعبدا ودقون وعينطورة وكسروان، وهم في الرملية ومجدل البعنا من عائلة عبد الخالق، جدهم شرف الدين أبو علي مسعود قدم الى الرملية منذ مئتي عام، ويقال أنهم تنوخيون من بني الحَبَيْش

من أقارب الإرسلانيين، ولهم أقارب في جبل الدروز، ينتسبون الى جدهم باز مسعود الذي قدم من وادي التيم الى غريفة وأنجب مسعود وحماده ونفّاع، ومسعود أنجب فارس وفايز، وحمادة أنجب أسد وفهد وشبل وخليل،ونفاع أنجب سعد أبرزهم: الباحث كمال داوود مسعود صاحب مؤلف سر الأهرامات، ومنيب وسليم مسعود.

آل سعد

من أسماء الذكور عند الجميع، عربي معناه الحظ الحسن، يسمون به للتفاؤل وقديما قال الشاعر (سمّاه سعداً للتفاؤل باسمه، حقاً لقد سماه سعد الذابحي) وهو في التاريخ اسم صنم كانت تعبده (هذيل) واسم لعدة بطون من العرب، ومن اسماء الأسر المسلمين السنّة في برجا والمغيرية وعانوت وكترمايا والشيعة في (حانويه) والخرطوم والرمادية وكيفون والموحدون الدروز في ارصون وعين عنوب وغريفة، ومن اشهرهم في غريفة الدكتور عاطف سعد اخصائي في أمراض جهاز الهضم، وآل سعد يعودون هم وآل حمادة وراجح ومسعود الى عائلة فايز الذي جاء جدهم الأعلى من حاصبيا .

آل منذر

يتفرع عن آل منذر غريفة: جب مشرف ، علم الدين، صنديد، زيادة. ومنذر إسم لأسرة مشترك بين المسيحيين في المحيدثة وقناة بشري والمسلمين الشيعة في تمنين الفوقا ورياق، وبعد اعتناقهم المذهب التوحيدي مطلع عام ١٠١٠م ظلوا في وادي التيم، ثم انتقلوا الى المغيثة في لبنان حيث الطمأنينة والاستقرار، ثم اضطروا للإرتحال عن المغيثة برفقة

اللمعيين، وحلوا في قرية برمانا، وكانوا مع آل علوان مثل اللحمة عالظفر، غير أن اللمعيين فرقوا فيما بينهم بعد أن تنصروا لغايات شخصية، فقربوا إليهم الشيخ شاهين علوان، وأبعدوا الشيخ شاهين المنذر فطفحت قلوبهم بالحقد وخاصة بعد ان اغتيل الشيخ شاهين المنذر بتحريض من الأمير بو شهاب اللمعي ، فهجمت المناذرة على سرايا اللمعيين واعتدوا عليهم بالضرب ، وسكت الأمير على مضض حيث دبر لهم بعد ذلك مكيدة قضت على معظمهم ، وفر الباقون الى وادي التيم وحلوا في جوار ينطا وبكيفا وعين عطا ، وانفصل عنهم سليم المنذر توفي عام (١٨٦٠ م) الذي انسل متوارياً عن الانظار في مغاور نمر (الجعماني) مع ابنه شداد وابنته عبلة، وبعد مدة انتقل الى ساقية الجنزير ثم الى عين المريسة ومنهم تولدت أسرة منذر البيروتية، والذين نزحوا الى وادي التيم من برمانا، كانوا ثلاثة أخوة هم : قطبان وحسن وإسماعيل منذر، الأول سكن إبل السقي والثاني في عين قنية، والثالث في ظهر الأحمر راشيا، وقيل أنهم من قبيلة الملوك المناذرة الذين لقبوا بالأشاهب لجمالهم، وآل منذر الدروز كانوا أصلا من قبيلة الغساسنة التي استوطنت حوران، وتوزعت بعد اعتناقها الإسلام شيعا وأحزابا وكانوا في معرة النعمان ثم جاؤوا على أثر الأحداث عام ١٤٤٤م الى المحيدثة، وبعد معركة عين دارة انتقلوا مع اللمعيين الى برمانا، وهم الآن يتفرقون في كل من غريفة برمانا، شويت، كفرقطرة، ظهر الأحمر، راشيا، والمسلمون الشيعة في بيروت وتمنين الفوقا، أما المسيحيون من آل منذر فهم في المحيدثة من حفدة كمال منذر بن حنا المعلوف، وهم من الغساسنة أبرزهم في غريفة:.

- العميد سلطان شكيب منذر
- العميد أكرم فؤاد منذر.
- الشاعر حسان شكيب منذر، والفنان غازي عارف منذر.

آل معن

هم من العرب الأيوبيين الأقحاح، وبطن من بني ربيعة القيسية منازلهم نجد وديار ربيعة، تسبب بترحيلهم فارس الفوارس الرجل الشجاع أيوب الذي كان يشن الغارات، فلم يطقه سادات ربيعة فحملوه على الرحيل فجاء الى الفرات وتزوج وكثر نسله، ونسب إليه المعنيون ولقبوا ببني أيوب، سكن حلب ثم ما لبث أن مات فخلفه ولده معن الذي قدم الى لبنان في الثلث الأول من القرن الثامن ميلادي في عهد المسترشد بالله الخليفة العباسي، ونزل أرض البقاع في لبنان ثم استقر في جبل الشوف وجاور الأمراء التنوخيين وظلوا أمراء الشوف حتى نهاية القرن السابع عشر وأبرزهم في التاريخ:الأمير فخر الدين المعني الأول وولده قرقماز وحفيده الأمير فخر الدين المعني الثاني الغني عن التعريف. وأذكر على سبيل المثال بعضا من أفراد عائلة معن الذين قدموا من المعروفية، واستقروا في غريفة ومنهم: سالم معن وأولاده: معن، فضل الله، مفيد .

آل نصر الدين

تحمل هذا الاسم مجموعة من الأسر الإسلامية في كل من دلهون الزعرورية داريا بعاصير بإقليم الخروب، وأشهر من عرف منهم : حمد شاهين نصر الدين شيخ صلح في دلهون، ووكيل آل حمادة في الإقليم وحفيده حمد نصر الدين مفتش في صندوق الضمان الإجتماعي والدكتور فيصل نصر الدين من دلهون ، والدكتور ناظم نصر الدين مدير الدوائر العقارية في بعبدا وهما من الزعرورية، أما آل نصر الدين الدروز في غريفة أبرزهم :

* رشيد قاسم نصر الدين كان مصلحاً بين الناس.

آل زين الدين

زين الدين من الموحدين الدروز في عين قني وبطمة والمختارة والخريبة وغريفة وقبيع وراس المتن وعين عنوب وعاليه وظهر الأحمر وكوكبا براشيا والمسلمين الشيعة في أنصارية وبرج البراجنة والجميجمة وزبود وبعلبك وشمسطار وزوطر الشرقية ، أما الموحدون الدروز فيذهب بعض المؤرخين الى القول أن الأسرة في عين قنية قدمت من جرمانا إليها بشخص إبراهيم بن يوسف بن زين الدين الخطيب الذي التحق بخدمة آل جنبلاط ثم نسب أبناؤه وأحفاده إليه ، ويوجد من هذه العائلة فرع في عين قنيه حاصبيا ، وبعض القرى التي سبق ذكرها ، باستثناء آل زين الدين في عين عنوب فهؤلاء جدهم آل حمدان ، وأشهر من برز من أبناء الأسرة الدرزية : بن حسن بن إبراهيم بن يوسف بن زين الدين الخطيب (١٨٥٩-١٩٠٧م) الذي اتصل بآل جنبلاط وحظي عندهم ونال رتبة أمير الأمراء ولقب باشا الآستانة، وأنجاله : محمد بك زين الدين (١٨٥٩-١٩١٧م) الذي درس في الآستانة، وأصبح محاميا ثم عين في القضاء، وتولى رئاسة محكمة الشوف ١٩٠٧م وله شعر وقصائد والأديبة نظيرة زين الدين (١٩٠٧- ١٩٧٦م) وهي كاتبة متحررة ساهمت في تأسيس عدة جمعيات نسائية ولها كتاب السفور والحجاب،أصدرته عام ١٩٢٨م ، والشيخ علي زين الدين رئيس مؤسسة العرفان التوحيدية وأبرزهم في غريفة : المحامي إبراهيم زين الدين ، وهلال زين الدين والرسام محمود فؤاد زين الدين .

آل شمس

سمي بهذا الاسم فرع من الناهي من حجام بالعراق، وفخذ من البقارة يقيم في إحدى نواحي دير الزور شمالي سوريا، ونزحوا منها في زمن هولاكو التتري، وسكنوا داريا عام ١٢٥١م في نواحي الشام وعرفوا ببني تحسين وبيرقدار، ثم انتقلوا الى المجدل وأقاموا فيها مدة من الزمن فنسبت إليهم وحملت إسم مجدل شمس، ومنذ ٣٠٠ سنة، انتقلوا الى كوكبا وتملكوا، وكان آخر من سكن هذه القرية من آل شمس، الشيخ عساف أبو صعب شمس، ثم انتقلوا الى حاصبيا وراحوا يتملكون الأراضي والمزارع مثل كوكبا والفريديس والماري وخيام عبس في الحولة والدردارة ومزرعتين في قضاء جزين هما حورتا الفوقا وحورتا التحتا، وبسبب ذلك عظمت ثروتهم وقوي نفوذهم حتى أصبحوا من وجهاء المنطقة ولقبوا بالمشايخ، وعلى أثر خلاف وقع بينهم وبين آل قيس في عهد الأمير بشير الشهابي منذ ثلاثة قرون، رحل جدهم بهاء الدين شمس من منطقة حاصبيا، والتجأ الى غريفة ، وحل ضيفا على آل حمادة، فقام كبارهم وتوسط له عند الأمير بشير، فاستجاب لطلبه بإعطائه العفو .

وآل شمس من الأسر الخمس المتحابة عند الدروز، أي آل جنبلاط ومزهر وحمدان وأمين الدين وشمس، ومن أبرزهم في حاصبيا سليم بك شمس أحد أعيان منطقته زمن العثمانيين الذي نال لقب البكوية بفرمان من الدولة العليّة، وهو ثاني بك في الطائفة الدرزية بعد سعيد بك جنبلاط وابنه أمين ١٨٧٦-١٩٢٤م الذي عين قائمقام حاصبيا في عهد الملك فيصل بدمشق، وحفيده سامي بن طاهر بك شمس الذي عرف بوطنيته ومناصرته للقضية العربية، وسميه الشيخ أمين (١٩٠٦-١٩٧٧م) الذي خدم

القضاء المذهبي، وولده بهجت شمس رئيس بلدية حاصبيا، وأشـــهرهم في حاصبيا : سليم بك شمس الذي قيل عنه أنه ساهم بإحراق خلوات ديـــر القمر في حرب ١٨٦٠م، طراف شمس، وشمس شمس الذي اشتهر ببسالته في وقعة نصار إبان حرب الدروز والمتاولة عام ١٧٤٣م واستولى على إقليم التفاح وحيطورة ومغدوشة والمراح، والشيخ قاسم حسين شمس صـــرّاف سعيد بك جنبلاط، ورياض مجيد شمس الموظف في مديرية الإحصاء وأخيه خالد ، وأبرزهم في غريفة : الشيخ خليل شمس ، والشيخ عارف شمـــس والشيخ أمين شمس الذي كان قاضي مذهب الطائفـــة الدرزية في بعقلين والشيخ رياض شمس مدير الجامعة اللبنانية في صيدا انتقلت عائلة شمس الى بيروت والوردانية في صيدا طلبا للرزق وتحصيل العلم.

أما المسلمون الشيعة من آل شمس وأصلهم من المغيرة في جبيـــل، ثم انتقلوا الى النبطية ومنهم المجاز محمد سليم شمس، وإبـــراهيم شمـــس، وفي الوردانية المهندس محمد شمس، وفنان الرسم اليدوي علي شمس .

العائلات المسيحية في بلدة غريفة

آل حـداد

إسم أسرة مسيحية في غريفة والمطلة، لقبوا بآل حداد نـــسبة لحرفتهم لان معظمهم كما أشاع كان يمتـــهن الحـــدادة، يعـــودون الى جدودهم شرفان وسليمان ومشرف وشاهين وعيسى جاؤوا من إزرع في حوران منتصف القرن السادس عشر م لما بلغهم من الأمـــان في عهـــد المعنيين، فاستقروا في زحلة ثم انتقلوا الى بسكنتا بسبب مـــشاكلهم مـــع رجال الإقطاع، ثم تفرقوا في القرى اللبنانية المجاورة ومنهم من اســـتقر في غريفة والمطلة، أبرزهم في غريفة: داوود سليمان حداد .

آل نصر

من الأسر المسيحية في غريفة وهم فرع من آل حرب تنورين وهم في شتنعير وغزير غسانيون من آل ضو وآل نصر في قرطبا وفي كل من دقون، سبعل الشوير أبرزهم :

* نصر نصر عضو مجلس الادارة الأول في دير القمر ،والمؤرخ لطف الله نصر، والصحفي خليل يوسف نصر،والوزير السابق قيصر نصر وأخيه الدكتور وليم نصر، والأديب نسيم نصر، والشاعران نعمان وسليمان نصر. وفي غريفة : الدكتور أديب نصر، شكري نصر، كمال نصر، نعوم نصر، وحكيم الشنطة نجيب اسكندر نصر سريع الندهة لم يكن يتردد عن إسعاف الجريح والمريض دون إي مقابل مادي، إضافة الى الخدمات التي كان يسديها لأهالي القرية، وقيل أن والده اسكندر كان مطلوباً من الاتراك الذين حكموا عليه بالشنق، وسجن في عاليه، فهبت القرية لنجدته وخاصة آل حرب وذهبوا الى عاليه لتخليصه من المشنقة وهذا دليل واف على الوفاق الذي كان يتمتع به الدروز والمسيحيون في غريفة ، وأبرزهم في غريفة : أبونا سمعان نصر.

آل رحال

عرفوا بالرحالين لكثرة ترحالهم، وهم من الأسر المسيحية العريقة سكنوا قرية غريفة مدة طويلة من الزمن، ولهم فيها أرزاق وأملاك كثيرة شبابهم رحلوا عنها الى بيروت والمهجر بحجة العمل، بينما بقيت عجائزهم تملأ البيوت الى حين اندلاع الحرب الأهلية عام ١٩٧٥، ويعود أصل هذه العائلة بحسب المعلوف الى الجد الأكبر رحال في حلب، الذي

تنازع مع عرب السردية فهاجر مع أسرته الى القنيطرة فصفد، فنابلس فحاصبيا، فمرجعيون .

وينسبهم البعض الى بني مالك أبي الغيث في العاقورة، وقد رحل عنها جدهم رحال بن الحاج نعمة السخني وأولاده على اثر الحوادث بين القيسية واليمنية، استقر بعضهم في رأس بعلبك، وآخرون تفرقوا مابين عين ابل وزحلة وجديدة مرجعيون وقلعة جندل وبسكنتا وبكفيا والشياح أبرزهم في الشياح: لويس رحال، وحبيب رحال مختار البلدة وآل رحال السنة في داريا الشوف وجب جنين،وآل رحال الشيعة في برج رحال والنميرية وبرج البراجنة وبعلبك، وأشهرهم من السنة والشيعة : محمد رحال عضو بلدية جب جنين، والمحامي خليل علي رحال في برج البراجنة من السنة والشيعة : محمد رحال عضو بلدية جب جنين، والمحامي خليل علي رحال في برج البراجنة أبرزهم في غريفة: سليم نسيب رحّال عضو بلدية غريفة، وأدوار رحال مفوض بالأمن العام.

آل الخوري

وهم من قبيلة العزيزات الغسانية، والخوري إسم لرتبة كهنوتية عربي مأخوذ عن اليونانية، أصل معناه مدبر القرية، وراعي رعية صغيرة ثم سميّ به كاهن النصارى، وهو في لبنان إسم لأسر عديدة قد لا تربطها صلة وصل قدموا من قرية بشعلة في البترون، وسكنوا غسطا وبطحا في كسروان، ثم رحل جدهم عنها عام ١٥٨٢م الى قرية رشميا في الجرد وعمل خادماً لرعيتها وكان الجد الأول من سلالته لآل الخوري والسعد وأبرزهم: عبد الله بن يوسف بن عبدالله بن بشارة الذي حضر معركة عين دارة سنة ١٧١١ م وقاتل الى جانب الأمير حيدر الشهابي ببسالة

فأعطاه الأمير مقاطعة رشميا وتوابعها، وأعفاه من الاموال الأميرية والشيخ سعد الخوري المستشار الأول للأمير يوسف شهاب وكاخيته ، وعضده في معاركه مع الحماديين (١٧٢٢ - ١٧٨٦ م) والشيخ بشارة بن منصور الخوري (١٨٠٥ - ١٨٨٦ م) عضو مجلس ديوان شورى الدروز في عهد القائمقاميتين، والشيخ بشارة خليل الخوري (١٩٤٣ – ١٩٥٣ م) الذي نال لبنان في عهده استقلاله وأجليت عن أراضيه كافة الجيوش الأجنبية وبشارة عبد الله الخوري الملقب بالأخطل الصغير، ورشيد سليم الخوري الشاعر القروي.

ويقال عن أصلهم أنهم جاؤوا من عين حليا شمالي الزبداني، وهناك نزل والي الشام ضيفاً على جدهم جمعة، وكان رجلاً غنيا وعنده إبنة جميلة إسمها (ست الأخوة) أعجب بها الوالي وهي ما زالت قاصراً، فطلبها من والدها فوعده بها واعطاه الوالي مهلة لبلوغها، فهرب بها والدها الى لبنان سنة (١٤٧٠ م) وسكن بشرّي وعندما عرف والي الشام بهرب جمعة، بعث جيشه وأحرق حليا وشتت سكانها الذين كانوا من السريان الأرثوذكس ، وتفرق أخوة جمعة واحداً لجأ الى راشيا وعرفوا بالحليانيين وذهب الثاني واسمه الحلو لجهة حمص وحماه وسكن مشتى بيت الحلو ومنهم تفرعت عائلة الحلو في بعبدا وجزين .

وسكان غريفة من آل الخوري أبرزهم: فؤاد جميل الخوري تربطهم قرابة مع أهالي برتي، جزين وهم من بني الربع مد، ومنهم بنو صوصة في دير القمر، برز منهم أنطوان اندراوس الخوري وولده الدكتور سليم مولود سنة ١٨٨٩م .

آل غصن

إسم أسرة مشترك بين المسيحيين في بقسميا وبحمدون وخربة الجرد وعندقت وراشيا الوادي والشياح والشوير والقبيات وكوسبا وكفرحاتا وزوق مصبح وعجلتون وصربا وغدير وغريفة، والمسلمون الشيعة: في الخيام والنبطية وجون ويونين ، والموحدون الدروز: في البساتين وعين كسور ، والسنّة: في برجا وعريا وهو في التاريخ إسم بطن من المعافر ومنهم بنو غصن بن سيف بن وائل وإسم بلد في اليمن ، أما المسيحيون فيعود أصلهم الى جدهم غصن الذي قدم من حوران ، ومنهم الأديب مارون غصن (١٨٨١ – ١٩٤٠م) والدكتورة أمينة غصن أستاذة في الجامعة الأميركية في بيروت .

أما المسلمون في برجا فأشهرهم: العقيد حسن غصن وفي جون توفيق وعلي والمهندس سعيد غصن ، وفي الخيام: الدكتور علي عبد الحسن غصن، وفي الفساقين، الطيار مهيب بن حمد غصن، وفي شمسطار علي يوسف غصن.أبرزهم في غريفة: جرجس مرشد غصن، وزوجته أوجيني .

آل صوايا

إسم أسرة من الأسر المسيحية منتشرة في أنحاء لبنان، منسوبة الى صوى وهي قرية في حوران جاء جدهم وأخوه خنيصر منها الى كفرتيه في المتن، ثم انتقلوا الى الشوير وسكنوها، ثم تفرقوا في أنحاء البلاد وكان منهم ثلاثة أخوة وامرأة وشخصان آخران من الأسرة، الأخوة الثلاثة هم مخايل الذي هاجر الى مصر وهو جد لصوايا، وبشارة ذهب الى طرابلس الشام وهو الجد الأول لبني صوايا فيها، والثالث إلياس الذي ذهب الى

اللاذقية وبنى فيها أسرة عرفت بهذا الاسم ، وكان نزوح هؤلاء عام ١٧٨٣ م أما المرأة فهي راحيل إبنة إلياس لحود البعبداتي أرملة المدعو يوسف الخوري حنا صوايا التي انتقلت من الشوير سنة ١٨٧٥ م الى بعبدات مع أولادها الثلاثة : نجيب ونعيم وفضل الله الذين تزوجوا وأنجبوا ونشأت منهم أسرة صوايا في بعبدات، وللأسرة فروع أخرى في أميون وبتغرين وتعنايل وجرنا يا وبريح الدامور وطرابلس والبترون وعما طور وزحلة وعاليه والفريديس وغريفة، وكلهم من أصل واحد وأشهرهم الدكتور نجيب مخايل صوايا ، والأديب مخايل صوايا وهما من الشوير وأسعد صوايا ونسيبته الشاعرة لبيبة صوايا، والمحافظ السابق ثم المدير العام لوزارة التربية الوطنية وهو من زحلة.أبرزهم في غريفة: اسكندر صوايا.

علاقة المسيحيين بالموحدين الدروز في قريتهم غريفة

كان للمسيحيين دور رائد في بلدتهم غريفة منذ وجودهم فيها، وكانوا يشاطرون أخوانهم الدروز سرّاء الحياة وضّراءها، ويقتسمون وإياهم الرغيف مبللاً بعرق الجبين، وبدم الشهداء في سبيل وطنهم المفدى.

بنى المسيحيون كنيستهم باسم القديس جاورجيوس في غريفة مثلا ساطعاً للتآخي الكبير بينهم وبين إخوانهم الدروز الذين يرون في القديس جاورجيوس شفيعاً لهم ، داعين إياه " بالخضر " فيقدمون النذور للكنيسة طالبين شفاعته.

يمارس مسيحيو البلدة شعائرهم الدينية بكل حرية وإيمان راسخ منذ تواجدهم في هذه البلدة، بعد أن كانوا يشكلون أكثر من ثلث عدد سكانها .

مارس المسيحيون قديما مهناً وأعمالا متنوعة، منهم من هاجر الى بلاد الإغتراب، وتبوأ هناك المراكز المهمة من وزراء ونواب وحكام وتجار كبار، لكن هؤلاء استقروا في غربتهم، ولم يعودوا الى وطنهم، لذلك قلّ عددهم في غريفة، وبالتالي انخفض عدد الذين يمارسون حقهم في الإقتراع إن على صعيد مجلس النواب، أو على صعيد الهيئة الاختيارية، وهذا بديهي لأن هؤلاء انتقل تسجيل أحوالهم الشخصية الى مكان إقامتهم في المهجر والقسم الآخر من سكان البلدة، إنتقل للسكن في المدينة، لكنهم دائمو التواصل مع أهالي البلدة، وخاصة في فصل الصيف الذي يوفر لهم الفرصة الكافية للتردد إليها ، والقيام بواجباتهم الاجتماعية على أكمل وجه .

وتأكيدا على تعاونهم ومحبتهم لأخوانهم الدروز منذ الانتداب الفرنسي على لبنان، كانوا كلما تسربت إليهم روائح المداهمة لاعتقال المجاهدين إبان ثورة الدروز على الفرنسيين وخاصة آل حمادة، كان إخوانهم المسيحيون من آل رحال، يحذرونهم ليحتاطوا، ويتركوا منازلهم خشية من إلقاء القبض عليهم، وقد حصل ذلك في ثورة ١٩٢٥ ضد الانتداب الفرنسي.

كان المسيحيون وعلى رأسهم المرحومون: نسيب رحال ، وتوفيق رحال، وشكري نصر، والدكتور في الجيش اللبناني أديب نصر ، والمرحوم داوود سليمان الحداد يعتبرون من الأشخاص الذين يعبرون أفضل تعبير عن دور المسيحيين في غريفة، لأنهم كانوا أصحاب رأي وجيه، ولهم مشاركة فاعلة على صعيد هموم بلدتهم ومجتمعهم وأصحاب كلمة نافذة عند الجميع لقد كان المرحوم نسيب رحال صديقاً وفياً لكبار عقلاء الدروز، أمثال المرحوم أبو فرحان سليم مطاوع حرب، والمرحوم أبو عصام عثمان أحمد حرب، وغيرهم من أبناء طائفة الموحدين الدروز.

دور الشباب المسيحي الدرزي على مستوى الوطن

تقع مسؤولية النهوض بالوطن على عاتق شباب لبنان العلماني المثقف، انطلاقا من حدوده الضيقة، وانتهاءً بمساحاته الفسيحة. وخاصة في وطننا لبنان المعرض على الدوام لعثرات حكامه، آخرها عثرة العام ١٩٧٥م تنذكر ما تنعاد، حتى يومنا المحرج هذا.

وقريتنا غريفة التي مرّت بها الحرب أسوة بباقي قرى لبنان، عانت ألماً وقهراً، ومهرت بدماء شهدائها الشباب ،عادت اليوم لتستنهض أبناءها، وتذكي فيهم لواعج العودة الى منطلقهم اللبناني الأصيل، وهذا ما يحتم عليهم العمل بجدية ، تعبيراً عن وفائهم وانتمائهم الأصيل لتربتها ينطلق من دعواتهم الحميمة وتلاقيهم المتواصل لبث روح الألفة والاجتماع عبر الأهالي مسيحيين ودروزاً، وترميم ما أفسدته الغربة من علاقات ودية، فتستعيد القرية الأم فرحة لقائها بأبنائها، ويكتمل نصاب جهازها الإداري اللا تمييزي الفاعل، انطلاقا من المشاركة في العمل البلدي والاختياري، والأندية الثقافية والجمعيات، لتكون قريتنا غريفة نموذجاً للتعددية المثالية، وقدوة لباقي المؤسسات والإدارات اللبنانية الخاصة والعامة، على مستوى الوطن كافة.

قد يظن البعض أن تحقيق معجزة طموح اللبنانيين في جعل وطنهم لبنان حرا مستقلا، ومثالا حضارياً لممارسة الحريات على أرضه، هراء بهراء، ومشروعاً عصيّاً على التحقيق قد يقبل الاستجابة فيما لو استوى العدل المؤسساتي اللاتمييزي على كراسي الخبرة والكفاءة، لا على كراسي المحسوبيات،! فالذين حضروا ولادة اللبنانيين الأصليين خميرة وعجينة

وشهدوا انبعاثهم المتواصل من لظى الحروب والنكبات التي حلت ببلدهم، يرون فيهم صورة المثال في الأمل والإقبال المتدفق من عيون محبتهم لبعضهم البعض، وغيرتهم المفرطة على بلادهم، والتي تنقلب في معظم الأحيان إلى أداة قتل جماعية لاواعية، فهلا أنصفناه بمحبتنا وغيرتنا البناءة الواعية...؟

ولو أتحنا الهدنة لشعب أرهقته الشعارات واللافتات والبيانات المسيّسة، لرأيناه مفطوراً على الألفة، تواقاً لجرعة استقرار هانئة من أمن بلاده، وللقمة خبز (حاف) يستمرؤها في ظل شجرة وارفة من شجراته أو ركن زيتونة هرمة.

فروع العائلات

جب صنديد

صنديد معناه السيد الشجاع، وإسم لأسرة إسلامية في قرية الزعرورية بإقليم الخروب، وأشهرهم : الدكتور محمد صنديد ، هلال صنديد، شعلان صنديد ، وهايل صنديد ، وهم في غريفة فرع من عائلة منذر أبرزهم: مسّاح الأراضي فؤاد علي صنديد.

جب راجح

راجح: إسم عربي متصف بالرزانة والتعقل، وإسم لأسرة مشتركة بين الموحدين الدروز في غريفة وبعقلين، والمسيحيون في بكفيا وزحلة فرع من آل شمعة، سكن أحدهم بكفيا وذهب بعض أحفاده الى زحلة والموحدون الدروز من عائلة فايز هم سلالة من قبيلة في اليمن تحمل هذا الاسم وتقيم في وادي الواعظات، وهم في غريفة فرع من عائلة فايز أبرزهم:كمال فايز راجح وشقيقه نجيب.

جب زهير

وهو تصغير لاسم زهر، وقد سمي به زهير بن أبي سُلمى حكيم الشعراء، وزهير بن جناب خطيب قضاعة، وهو إسم لبطن من جذام من القحطانية، تواجدوا في الشام ومصر، وإسم أسرة في صور أصلها من بني فار في مصر، وإسم زهير هو إسم من أسماء الذكور عند المسلمين، وهم في غريفة فرع من عائلة أبوحمدان أبرزهم:رشيد ونجيب، وأولادهما كمال بن رشيد وشوقي بن نجيب زهير .

جب شبلي

هو إسم من أسماء الذكور عند الجميع، وهو عربي الأصل تركي المعنى يعني الشبل، وهو في التاريخ إسم لعدة بطون من عشائر العرب كانت منازلها في سورية والعراق، وهو في لبنان إسم أسرة مشترك بين المسيحيين والمسلمين في ساقية المسك وبكفيا والمروج ودفون، والشيعة في حجولا وتبنين وبرج رحال والقليلة واللبوة وشعث، والسنّة في شبعا

والصنوبر ومزبود، وهم في غريفة فرع من عائلة حمادة أبـــرزهم:أمـــين حسين شبلي، كان منزله محط رجال السلطات تجتمع فيه الزعامات، وتحل النزاعات .

جب عيد

هو اسم عربي يسمى به المولود في يوم العيد، واسم لمجموعة أســـر مسيحية تقيم إحداها في قرى إقليم الخروب والشوف، والثانية في إبـــل السقي، والثالثة في دير ميماس، والأسرة في الشوف إقليم الخروب يقـــال أن اصلها من حاقل جبيل، ومنها نزحوا الى بزينا والمطلة، وتفرقوا في كل من جديدة مرج عيون، مزرعة الظهر، الجليلية، بيقون، بتدين اللقش ظهر المغارة، الخربة، بيت الدين، عين حرشا، أرصون، بعبدا، الدامور وأبرزهم المحامية تيريز عيد أول امرأة ترأســـت بلديـــة في لبنـــان عـــام ١٩٦٣ م والمحاميان رفيق ورتيب عيد من المطلة، وهم في قرية إبل السقي من بيت (اللبنيّة) من حوران نزح جدهم الى إبل السقي وعرفـــوا بـــآل غطـــاس والأسر المسلمة في طـــرابلس وديـــر عمار،وبطرماز،والوردانيـــة،وجون أشهرهم زمن المتصرفية حسن عيد مختار القرية ونجله توفيق عيد، أمـــا آل عيد الدروز في غريفة، فهم فرع من عائلة حرب أبرزهم: فؤاد وفضل الله وفريد هزّاع وعصام ونزيه عيد حرب .

جب الصباغ

هو إسم عربي يطلق على صاحب حرفة الصباغة الـــذي يـــصبغ الثياب وينظفها، وهو إسم لأسرة مشترك بين المسلمين السنة في صـــيدا وبيروت وطرابلس، والشيعة في بنت جبيل وعديسة ومركبا، والمسيحيين

في جديدة مرج عيون وراشيا الفخار والشوير وبيت شباب ومشغرة وكفرحاتا، ويعودون الى جدهم حنا الصباغ الذي جاء الى الجديدة من إبل السقي قبل ١٥٠ سنة وكان تاجراً وصاحب مصبغة، ويقال أن اصلهم من حمص، أما المسلمون والدروز فهم في بعقلين وعين قنية، وفي غريفة هم فرع من عائلة حرب أبرزهم:خطار توفيق الصباغ،وولداه الدكتور حسان والمهندس خالد الصباغ حرب .

جب غندور

معناه الفتى المدلل الأنيق نسبة الى أحد التجار السنّة الذي أتى من الديار الحلبية ، واستقر في طرابلس، وعمل في حياكة الأقمشة الحريرية ولوفرة أدبه وسخائه وأريحيته، لقب بالغندور،وحملت ذريته من بعده هذا اللقب، وهم في طرابلس، وكامد اللوز، وكفرشوبا، والخيارة، الزعرورية والشيعة في النبطية، والغندورية،وبرج قلاوية، وبرعشيت، وكفرتبنيت وكفركلي، والمسيحيين في البترون وبعبدات،وأصلهم من جاج، وفي الزعرورية هم من آل الربيع، ويقال أنهم يعودون الى أحد أمراء بني حمدان الضحّاك بن جندل بن حمدان، الذي أتى من بلاد العراق والموصل،سنة ١١٢١م مع عشائره من تغلب وربيعة وقيس وقحطان الى البلاد الشامية ففوضه ملك الشام طغتكين التركي السلجوقي في مقاطعة وادي التيم والشوف، وسكن فيها مع عشائره وأحلافه، فكان تارة يحارب الإفرنج في جبل عامل وسواحل لبنان ، وطورا يحالفهم ضد ملك الشام الى أن اشتد ساعده، فعصى ملك الشام شمس الملوك، فجّر عليه جيشاً فقاتله، ثم عاد واسترضاه، ففوض إليه مقاطعة بعلبك والبقاع، حيث انقسمت

عشائره الى شيع مختلفة، واعتنق بعضهم الديانة المسيحية من الوسط الذي عاشوا فيه وبقوا هناك حتى عام ١٣٠٥م ثم نزح منهم الى عكار وجبل عامل وحمص وحماه وحلب واندمجوا في الحياة السياسية ومنهم اسعد الغندور الذي انتخب عضوا في مجلس الشعب السوري، وهم في غريفة فرع من عائلة حرب أبرزهم:نجيب ونديم ورشيد الغندور حرب.

جب جنير

آل جنيد أو (البو)من عشائر الغُرير بالعراق، ويقال لها (البوجُنَيد) منها ألبو حسن، المظالمة، البو حسين، البو عيادة،المراشدة،البو سيد، والبو ياسين. وهم في غريفة فرع من عائلة حرب أبرزهم: أمين جنيد وزوجته المربية وسيلة وولديهما كامل وكمال جنيد، والمطرب فادي بن كمال جنيد.

جب غلاب

إسم عربي معناه الغالب، وهو في التاريخ إسم بطن من هوازن من قيس عيلان من العدنانية، وهم بنو الحارث بن أوس كانوا أهل بيت في البصرة، ولعل الأسرة في لبنان من سلالتهم، وهم في غريفة فرع من عائلة فايز أبرزهم:حكمت توفيق غلاب، كاتب في السفارة الأميركية.

جب يزبك

يزبك معناه الوجيه المحترم، سمي به في التاريخ الآتون من بلاد أزبك، وهو مشتق من إوزبي في الجعطانية، وهو إسم أسرة مشترك بين

المسلمين الشيعة في بوداي واليمونة وحوش الرافقة، والخيام ونحلة في بلاد بعلبك، والمسيحيين في حدث بيروت، وبرج البراجنة، الدامور كفرقطرة وعيناب وبكفيا وكفرحزير، والمسلمون الشيعة وأصله من المغيرة القريبة من الكورة أو مزرعة السيّاد، وفي غريفة هم فرع من عائلة حرب أبرزهم:رشيد سليمان يزبك وولداه.

جب حمد

عربي الأصل ومعناه الحَمْد والشكر، ويقال رجل حَمْد أي محمود سمى به العرب أكثر من عشيرة في الشام والأردن العربية التي تقطن دير الزور وجبل سمعان في محافظة حلب وقضاء دوما، وهو في لبنان إسم أسرة مشترك بين المسلمين السنة في بيروت، والشيعة في الحلّوسية وعيترون وياطر، والموحدين الدروز في كفرقطرة والشويفات، والمسيحيين في أغادير وحارة صخر في كسروان، أما المسلمون السّنة من آل حَمْد في بيروتفهم مصريو الأصل من آل سليمان في قرية منوف العلا، سموا في لبنان باسم جدهم الذي هاجر إليه زمن الأمير بشير الشهابي مع حملة إبراهيم باشا، وأقام في بتاتر مرة، ولقبه الدروز بلقب حَمْد الذي حمل اسم ذريته من بعده، ثم انتقل الى بيروت، وهم في غريفة فرع من عائلة أبو حمدان أبرزهم :محمود حَمد أبو حمدان.

جب بركات

إسم عربي معناه البركة والنماء وزيادة الخير، وتعود هذه التسمية الى بطن من عرف بذوي بركات من قبيلة ذوي حسن، وسلالة السبطين الحسن والحسين الذين كانوا يقيمون في الحجاز، وهو في لبنان إسم أسرة

مشترك بين المسلمين السنّة في الهبّارية قضاء مرجعيون، والموحدين الدروز في كفرقطرة، والمسلمين الشيعة الذين أسلموا ولقبوا بآل مسعدة، في كفر دونين، والمسيحيين في جديدة مرجعيون ويحشوش وغسطا والكورة وأصلهم حوا رنة من إزرع، ثم هاجروا الى مرجعيون مع باقي الحوارنة عام ١٦١٣م، غسانيون من قبيلة العُزيزات، وهم في غريفة فرع من عائلة حمادة، أبرزهم : فريد وأمين بركات حمادة.

جب أسد

ربما تفرعوا عن آل الأسد في سورية، أو عن آل الأسود المنتسبين الى جدهم الأعلى سركيس الخوري، وهم فرع من آل القنديل في إزرع بحوران، وقد رحل عنها جدهم سركيس منذ ثلاثة قرون الى قرية رأس بعلبك، وثم انتقل أحدهم الى قرية جبيل بداية القرن السابع عشر وأنجب خمسة أولاد أحدهم إبراهيم والثاني نادر وأبو نصر وغصن وأبو فرح ومن سلالة إبراهيم نشأ بكره الأسود جد الأسرة المنسوبة إليه في برمانا وحلب والجهات الأخرى،وهم في غريفة فرع من عائلة حمادة أبرزهم : نايف وفؤاد أسد حماده.

جب يقظان

وهو إسم عربي معناه الصاحي الذي لا ينام، وإسم لأسرة مشترك بين المسلمين في برجا بإقليم الخروب، والموحدين الدروز في بعذران الشوف، وهم في غريفة فرع من عائلة أبو حمدان، أبرزهم :سليمان فارس يقظان وولده الكاتب حافظ يقظان وهو صاحب مؤلفات علمية واقتصادية عدة تدرس في الجامعات والمدارس، نال الدكتوراه الفخرية .

جب أبو قاسم

لربما يعودون الى عائلة قاسم الإسلامية الموزعة في صيدا وبيروت وددده ودلهون وعيتا الفخار وجب جنين وبدنا يل وشمسطار، ويقال أن أحد أولاد النبي محمد سمي بهذا الاسم، وينتسبون الى قبيلة القواسم التي تحكم الشارقة ورأس الخيمة في دولة الإمارات، وهم في غريفة فرع من عائلة أبو حمدان، أبرزهم :أمين قاسم أبو قاسم.

جب مذكور

يعودون الى جدهم يقظان الذي قدم من وادي التيم الى غريفة قبل مائتي عام وسكن فيها،ولما توفي أنجبت زوجته بعد مماته ولدا أسمته يقظان، ويقظان الصغير خلف مذكور، ووهاب، ومعدّي، وبربور. معدّي سافر الى فلسطين، وبربور سافر الى سوريا وسكن أم الرمان، ومذكور ووهاب استقرا في غريفة وهم فرع من آل أبو حمدان: أبرزهم الشيخ أبو فهد فرحان مذكور وأولاده.

جب أبو دعيبس

وربما يعودون الى عائلة دعيبس المسيحية في حاصبيا والحازمية ووادي شحرور وقرية زيتون بكسروان وشويا والقريّة من أعمال صيدا وهم في غريفة فرع من عائلة أبو حمدان أبرزهم: جهاد توفيق أبو دعيبس.

جب أبو علي

وهم اليوم من سكان الرملية، وينتسبون الى جدهم أبو علي الذي رحل من عين دارة إثر الأحداث لأنه يمني الترعة، وسكن في مزرعة النهر ومنهم يتفرع آل العماد، وهم أيضا من الدروز، كما وهناك عائلات أبو علي في أماكن أخرى في بريح وجباع الشوف ومرستي وبشامون وديـــر قوبل براشيا، والمسلمون الشيعة في جون، والسنّة في كامد اللوز، وهم في غريفة فرع من عائلة أبو حمدان. كامل عبدالله بو علي وأولاده .

جب فيّاض

ومعناه كثير العطاء، وهو في التاريخ إسم بطن من تمـــيم يلتحـــق بزوبع من شمّر الطائية في العراق، وإسم بطن من بني صخر في الأردن وهو اسم أسرة مشترك بين المسلمين الشيعة في أنصار والنبطية والمـــسيحيين في بعبدا والفياضية، والموحدين الدروز وأصلهم من جبل السمّاق في حلـــب قدموا مع التنوخيين، فمنحوا قرية الرملية، وجدودهم نصرا لله شـــهاب ومحمد فياض، وانتقل جدهم علم الدين الى بدغان وتوزعوا في كفـــرمتى ومنهم أسرة الديب، جنبلاط فياض، والمقدم شريف فياض في الحـــزب التقدمي الاشتراكي، وهم فرع من عائلة حمادة في غريفة أبرزهم : فضل الله وحكمت فياض حمادة .

جب خليل

إسم عربي معناه الصديق، وهو إسم أسرة مشترك بين المسلمين السنّة في برج عكار، وعكار العتيقة، والشيعة في صور وبدياس وجبال البطم وجبولة ومركبا، والمسيحيين في بقعتوتة وعابا وغسطا والريحانية ومزرعة النهر ووطى الجوز، أما آل خليل في صور فهم فرع من آل ماضي قديماً، وأشهرهم المفكر الباحث خليل أحمد خليل كاتب مشهور في مجال الدفاع عن المرأة ، وهم في غريفة فرع من عائلة حمادة أبرزهم : فضل الله أسعد خليل حمادة .

جب صالح

يعود أصلهم الى بعض العشائر في دير الزور العراق ومحافظة الجوف باليمن، وهو في لبنان إسم أسرة مشترك بين المسلمين السنّة في وكفرشوبا، والمسيحيين في بسكنتا وبعبدات، والمسلمون في كفر شوبا أصلهم من بني شبلي وهم من حوران، وأشهرهم : ديب صالح،وفرج الله صالح، والكاتب الناشر فرحان صالح صاحب مجلة الحداثة ، وأبو صالح في غريفة فرع من عائلة أبو حمدان أبرزهم : سليمان صالح أبو حمدان .

جب حمّاد

حمّاد في التاريخ إسم لعدة بطون من قبائل اليمن والعراق وبلاد الشام، يتوزعون في كل من جباع والشوف وعين زحلتا والعقبة براشيا، ولربما امتد فرع تلك الأسرة الى غريفة فاحتضنه آل أبو حمدان أبرزهم : فريد سليم حمّاد وشقيقه شكيب وولده الدكتور برهان وهو طبيب قلب.

جب دانيـل

إسم أسرة من الأسر المسيحية في رأس المتن وبحرصاف، ويقال أن الأمير منصور العسافي أقطعهم القرية مع آل بليبل وربما تفرع عنـــهم آل دانيل في غريفة وهم فيها فرع من آل حرب أبرزهم: شفيق دانيل حرب.

جب شعلان

إسم بطن من عترة في السعودية، وشعلان يعني الشَعَل وهو البياض المتكوّن في ذنب الفرس أو ناصيتها، ويوصف به الرجل الخفيف المتوقـــد وهو إسم أسرة بين المسيحيين في عين دارة، والدروز في حاصبيا والكفير والمسلمين الشيعة في بدياس وزيتا وصور، والمسيحيون من آل شعلان من سلالة الشيخ طربيه إبن المقدم حنش العاقوري إبن أبي الغيث، ولهم صلة نسب مع آل مخيبر، وآل ناضر وآل فاضل، وآل بدر في عين دارة، وهـــم في غريفة فرع من عائلة حرب ، أبرزهم : مهاني شعلان زوجة المرحـــوم رشيد يزبك حرب .

جب حمّـود

يعني الحمود أو الحامد، وهو إسم لأسر كثيرة في المملكة العربية السعودية والعراق، وهم في تبنين فرع من آل فواز، وقد نسبوا الى الشيخ حمود وهو مصلح في تبنين، وأشهرهم المفتش التربوي محمد حمود وشقيقته الكاتبة والأديبة زينب حمود، وهم في غريفة فرع من عائلة أبـــو حمـــدان أبرزهم:محمد وسليم حمود أبو حمدان.

جب فهد

وهم فخذ من عساف في طيء بالجزيرة من إحدى محافظات سوريا، وبطن من آل محمد من شمّر في العراق وسوريا، وهم في لبنان إسم عائلة مشترك بين الموحدين الدروز في حاصبيا، والمسيحيين في بقعاتا وترعشين فيطرون ونمر إبراهيم ونمر الذهب ونيحا والبترون، أما الموحدون الدروز فيقال أنهم من بيت ورد، والمسيحيون من آل فهد فيعودون الى سلالة فهد بن أبي رعد بن أبي خاطرا لحصروني المشروقي الأصل الذي استوطن عشقوت، ومنها هاجر أبناؤه الى الأماكن المذكورة، وهم في غريفة فرع من عائلة حمادة أبرزهم : توفيق وفؤاد فهد.

جب شاهين

عربي فارسي معناه الصقر، وهو فخذ من عرب من بني خالد في نواحي جبيل في المنطقة الشرقية في السعودية، وفخذ من شمّر، وفي لبنان إسم أسرة مشترك بين المسلمين الشيعة في النبطية، والشياح والغبيري الهرمل والبابلية، والسنة في سير وحصروت، والمرج وسلطان يعقوب والموحدين الدروز في بمريم والمسيحيين في إبل السقي، وشبعا وبيت شباب وكفر عقا وشويت، وهم في غريفة فرع من عائلة أبو حمدان أبرزهم: فؤاد محمود شاهين .

جب مشرف

إسم أسرة من الأسر الإسلامية الشيعية في قرية اليمونة بالبقاع وهو إسم فاعل من أشرف، ولعله كردي الأصل وفي التاريخ هم إسم فرقة من العقيدات بدير الزور إحدى محافظات سوريا، ويقال أن أصلها من المنيطرة في جرود جبيل، ونزحت الى البقاع أيام النزوح، ويقال أنه جب من آل زعيتر يتفرع من آل خليل، وزعيمهم فرج خليل مشرف زعيتر، وإسم أسرة مسيحية من رأس بعلبك من سلالة فرج أخ الحاج نعمة، وله صلة بآل معكرون وزعتر ولطيف في زحلة، وهم في غريفة فرع من عائلة منذر أبرزهم: المرحوم توفيق مشرف وأولاده.

جب مطاوع

عشيرة من المناذرة من قبيلة المناصير التي تقطن في الربع الخالي جنوبي آل مرّة، ويقيم قسم منها في عمان، وقسم آخر في قطر، وربما يلتقون مع آل مُطاع من الحارث من سفيان من جوثم من بني هلال بن عامر من العدنانية، كانوا يقيمون بأفريقيا الشمالية وفخذ من (البو) عبيد بالعراق، وآل مطاوع في غريفة ينتسبون الى جدي مطاوع الفلاح النشيط الذي عاش على الحلال وتكلل بالأخلاق الحميدة والصيت الحسن، وقد عاش جدي ككل فلاحي عصره من خير أرضه وطروشه، هو وأولاده : محمد وشهاب الدين وزهر الدين وأختهم الوحيدة كريمة، والذين شتت شملهم الوالي المصري إبراهيم باشا السفاح نهاية القرن السابع عشر عندما فتك بالدروز وفرض على أصحاب العمائم ضريبة الشاشية، حيث عجزت غالبية الناس وخاصة

الدروز عن تأديتها، فهجروا بيوتهم وأرزاقهم واستقروا في الأمكنة التي ساقتهم إليها الأقدار، فتزوجوا وأنجبوا وكثر نسلهم .

غير أن محمد بن مطاوع البكر استطاع دون إخوته، احتمال جور الحاكم ، فدفع ما توجب عليه من ضريبة الأعناق، فنفذ بجلده وتزوج وأنجب واستقر في غريفة، لكن أخويه شهاب الدين وزهر الدين كانا قد هجـــرا القرية وتفرقا ما بين قريتي ميمس وكفرفاقود والعزونيـــة أبرزهم في ميمس: أبو هشام فارس مطاوع ، والأستاذ غازي مطاوع وقيل أن أحدهم هاجر الى بيت جن في سورية وتزوج مـــن امـــرأة مسلمة. أبرزهم في غريفة:أولاد المرحومين أمين وسليم ونجيب مطاوع حرب،ومنهم الشهيد الطيّار فؤاد مطاوع حرب.

جب زيادة

من أسماء الإناث عند الجميع، ومعناه زاد نما وكثر، او أن الأسرة كان لها أم تدعى زيادة وعرفت باسم أمها وهو اسم أسرة مشترك بـــين المسلمين في طرابلس والمسيحيين في شحتول ولحفد والجديدة وعمـــشيت والشويفات والحدث وحمانا وجون وداريا وأغميد، أما المسيحيون من آل زيادة فقدموا الى المناطق التي سكنوها في إهدن وهم وبنو عبيد من أصل واحد، واشهرهم من المسلمين الدكتور معن زيادة رئيس قسم الفلـــسفة في كلية الآداب في الجامعة اللبنانية سابقا، وهم في غريفة فرع من عائلـــة منذر أبرزهم: العميد أكرم فؤاد زيادة.

جب شرف الدين

اسم اسرة مشترك بين المسلمين الشيعة في صور وشحرور والزرارية والطبية وبدنايل وتمنين الفوقا وكفرتبنيت اسم جدها السيد الشريف أبو محمد بن زين العابدين (١٦٢٠ – ١٦٦٩ م)، والموحدون الدروز في عاليه وجباع الشوف والسمقانية وعين زحلتا وحاصبيا فأصلهم من آل شهيب، والبعض الآخر من بني القضماني، واشهرهم الدكتور أسد شرف الدين من حاصبيا طبيب العيون، ومن السنة عائلتان تحملان اسم شرف الدين في برقايل بعكار وشحيم بالشوف ، وهم في غريفة فرع من عائلة أبو حمدان أبرزهم : الأستاذ ندىم داوود شرف الدين مأمور نفوس الشويفات سابقا .

جب صعب

صعب معناه العسر الأبي، وهو في التاريخ إسم لأكثر من بطن من بطون العرب، ولعشيرة بني شعبان اليمانيين الذين أقاموا في قضاء سمعان بمحافظة حلب، أما الموحدون الدروز فقدموا من شمال سوريا، وسكنوا بيت لهيا بوادي التيم، ضاع اسم جدهم فحمل فريق منهم إسم "سعيفان" والفريق الآخر" خير الدين " ثم تفرقوا في كل من غريفة وميمس والشويفات وعاليه، والمسيحيون في معاصر بيت الدين والعاقورة، ومن أبرزهم مصمم الأزياء إيلي صعب،وهم في غريفة فرع من عائلة حرب أبرزهم:العميد رجا صعب حرب، ومأمور النفوس مكرم صعب حرب والمقدم المرحوم حسن صعب حرب.

جب ياغي

إسم ياغي من أصل مغولي بمعنى الطاغي المتمرد ويعني في التركية "الصدى " وهو إسم لأسرة مشترك بين المسلمين السنة والشيعة والدروز منهم كانوا بالأصل في عين أوزية وفي الرملية، الذين كانوا في عين أوزية اصطدموا بآل العقيلي فقتل منهم خمسة عشر رجلاً، فارتحل الباقون باتجاه البقاع وكانوا ثلاثة رجال ومعهم نسوة وأطفال، الذين كانوا في الرملية وارتحلوا عنها عام ١٧٥٧ كانت احوالهم جيدة فاستقرت أملاكهم بيد أبو علي غانم الذي كان متزوجاً بامرأة من بيت ياغي فورث أهلها، وآل ياغي الدروز في جرمانا والخالدية هم من الرملية وينطا، أبرزهم في لبنان دريد ياغي نائب رئيس الحزب التقدمي الاشتراكي، ومسؤول العلاقات الخارجية في الحزب، والنائب الحالي الحاج محمد ياغي والشاعر المربي عاطف ياغي والكاتب الصحفي حسن ياغي والدكتور عبد الرحمن ياغي الذي أرّخ ابن رشيق القيرواني، وهم في غريفة فرع من عائلة حرب أبرزهم:العقيد الجمركي فؤاد سليم ياغي حرب، وحليم ياغي حرب وأولاده، والمرحوم أديب ياغي حرب وأولاده،وعادل سعيد ياغي حرب.

جب حمزة

حمزة يعني شبل الأسد كما يشاع، لقب به عم النبي محمد حمزة أسدا لله، وقيل أنه إسم لبقلة في طعمها "حمز" لذع اللسان، وقيل عن أنس بن مالك أن الرسول (صلعم) كناه بأبي حمزة لبقلة حريفة كان قد

اجتناها ويقال أن الموحدين الدروز من آل حمزة جاؤوا مع الدروز من حلب ويعتقد أنهم من قبيلة العقيدات في دير الزور وتفرقوا في القرى اللبنانية، غريفة، عبيه، قبرشمون، بعقلين، مرستي ، شانيه، كفرقوق، المجدل، وأشهرهم: فؤاد بك حمزة (١٩٠١-١٩٥٢م)وزير الشؤون الخارجية السابق في المملكة السعودية، ومستشار الملك عبد العزيز الخاص وله عدة مؤلفات، وحمزة في غريفة فرع من عائلة حرب أبرزهم: الأستاذ نديم حمزة ، والمرحوم الأستاذ فؤاد حمزة.

جب علم الدين

إسم أسرة مشترك بين الموحدين الدروز الأمراء والمشايخ في بعض قرى الغرب وحاصبيا وبعقلين، والمسلمين السنة في طرابلس، أما الموحدون الدروز من آل علم الدين فهم طبقتان أولاهما طبقة الأمراء ذوي الإقطاع الذين حكموا الغرب والجرد والمتن وبعض قرى بلاد جبيل وهؤلاء تعود نسبتهم الى الشيخ علم الدين سليمان غلاب الرمطوني، وقيل أن الأمير علم الدين سليمان بن معن الذي كان أميرا على الشوف مع الفتح العثماني قد قضى على ذريتهم الأمير حيدر الشهابي في معركة عين دارة الشهيرة سنة ١٧١٠ م والثانية طبقة المشايخ غير الإقطاعيين الذين يعيشون الآن في بعقلين وانتقل فريق منهم الى حاصبيا والسويداء وكلتا الطبقتين من سلالة التنوخيين ، وهم في غريفة فرع من عائلة منذر أبرزهم : سليم علم الدين.

ظاهرة النطق
الفرقة والخلقة

احتلت ظاهرة النطق عند الموحدين الدروز حيزاً واضحاً من إيمانهم العميق بتعدد حيوات الإنسان على الأرض ، باعتبار الروح ضيفة متنقلة من قميص الى آخر ، أي من كتلة لحمية آدمية الى أخرى ، الى أن تعود قريرة راضية الى باريها ، والتقمص لو نظرنا إليه من منظار العقل والمنطق والبعث الحيوي لدورة الحياة الكاملة الشاملة في الكون ، عبر تركيبتها المادية الرباعية (الماء الهواء النار التراب) وعبر فصولها الحيوية الأربعة (الخريف الشتاء الربيع الصيف) لوجدنا أن محور البحث والتساؤل، كَمُن في هذين الرمزين المركبين (الموت والحياة) أي الفناء والبعث في الآخر، عبر آلية التقمص العصية على فهم الكثيرين ، والتي من خلالها اخضوضب بساط عالمنا الروحي المتجدد، وضجت شراينه بنبض الحياة والحركة .

والنظرة المادية للتقمص من وجهة نظري ، كآلية جينية متوارثة تابعة لضرورة عودة الحياة ، عبر انتقال الروح من وعاء لآخر في الإنسان هي نظرة منطقية تفاؤلية تستأثر باهتمام السائل ، وتبسط له فسحة التأمل والإسترشاد الواعي الحكيم ، إنما بمزيد من الثقة والشجاعة والثبات على الإعتقاد .

وظاهرة النطق والتقمص مهما تعددت وتنوعت مظاهرها ، تبقى الترجمان الأوحد لجدلية الحكمة الربانية القائمة على مبدأ البقاء ، والمتجلية بضجيج الأرواح في الأجنة ، وتنقلها الدائم من ظلمة قبر الجسد، الى عالم النور والحياة ، والصرخة الأولى التي يطلقها الآدمي الصغير مع انعتاقه من

رحم أمه ، وأثناء تغلغل النفحة الروحية العجيبة في أجزاء كيانه البشري لتحتل مكانها الأمثل في الحياة ، هي وجه الحياة الآخر عند النبات عند حلول النسمة اللطيفة ضيفة على الأوراق والأغصان والبراعم ، مع ما تحدثه تلك النفحة الروحية من حفيف وتململ وميلان فيها ، وكل ما يؤكد حلولها وهيمنتها الخلاقة على الطبيعة بمن فيها .

لقد أثبتت العلوم الوراثية والنفسانية عبر تجاربها العملية في هذا المضمار صحة التقمص، وكيفية انتقال الروح من جسد لآخر عبر الوعي الباطني المعروف طبيا باسم(ARN) والذي يتبلور حلوله عمليا في الجسد المادي من خلال الجينات الوراثية (AND) وقد شبه علماء الباطنية (الإيزوتيريك) الوعي الباطني بشريط كاسيت يسجل المعلومات ويختزنها لحين استخدامها أو الإفادة منها لاحقا ، وحينما يفارق الإنسان الحياة أي حينما تتحطم آلة التسجيل ، تبقى المعلومات والملاحظات محفوظة ولا تمحى أو تتلاشى بتحطم الآلة .

حينما تتقرر عودة الروح الى الإنسان ، وبعد تكوّن الجنين في الرحم يمده عالم الماوراء بذبذبات الأجسام الباطنية الستة ، على شكل هالات كهروطيسية تخترق حدود المادة الكثيفة ، تلك الهالة اللا منظورة العظيمة التي شكلت للوجوديين الماديين لغزا عقيما لا تحل رموزه إلا بضرورة إيمانهم واعتقادهم بوجود عقل أزلي ما ورائي مدبر ، وهيولى شفافة ذات دينامية وتقنية فريدة عالية الجودة ، تحيط بعالمنا المادي حيث يتلقفها الجسد المادي السابع (قميص الروح) لتسري في خلاياه العصبية (الدماغ والنخاع الشوكي) والقسم الآخر يحفظ في خزينة الوعي الباطني أي خزينة الوراثة الى أجل غير مسمى ، أي لحين تعرض الجسم لضربة أليمة حادة تحفز استظهار مكنوناته ، تماما مثلما يحدث في حالات

النطق عند البشريين ، أي عند تعرض أحدهم لضربة حادة أو لمشهد أو حادثة أليمة مشابهة للحالة التي تسببت بموته في حياته السابقة .

لقد تمكن بعض علماء النفس الأميركيين والأوروبيين استنادا لبعض المعتقدات والفلسفات الشرقية والبوذية القديمة ، ومن خلال التنويم المغناطيسي، وعبر تجاربهم على بعض الأشخاص والأطفال خاصة ، من العودة بالذاكرة الى الوراء ، فشاهدوا حيواتهم السابقة بأدق تفاصيلها والتعرف الى نفوسهم من خلال الماضي ، وهذا ما حصل مع العالم النفساني الشهير (كارل يونغ) الذي تعرف الى ذاته السابقة بإخضاعها لتجربة ما ورائية.

أما على مستوى الفلاسفة والحكماء ، فالحكيم فيثاغورس عليه السلام، هو أول من تعرف الى ذاته من خلال درعه الذي رآه في زمانه حيث كان في جيله السابق أحد أبطال طروادة ، وهرمس الهرامسة الذي نطق بالعلوم والحركات الفلكية ،وأول من ظهرت عليه علامات النبوءة والفراسة وعلم الغيب ، حينما تنبأ بالطوفان ،وبنى الأهرامات ورسم عليها معظم الخطوط والأرقام خشية ضياعها ، وسقراط وأرسطو طاليس ، اعتقدا أيضا بخلود الروح وانتقالها من جسد لآخر ، والحكيم راما كريشنا تيقن أيضا من تعدد زياراته الى الأرض، حينما قصدها لنشر بذور الخير والإنسانية بين البشر ، وغيره من الحكماء والفلاسفة العظام الذين لا حصر لهم ، وباعتقادي أن عقيدة التقمص التي أثبتت ميدانيا بفضل البحوث والدلائل ، والتي استحوذت على عقول ونفوس المتعطشين الى رؤية وملامسة عالم الماوراء ، قطعت مرحلة الشك وبلغت طور تبلورها الزمني ومجاهرة المؤمنين العلنية بها دون تخّوف واحتياط .

الفرقة والخلقة

أبو فؤاد ملحم عرنوس من مواليد قرية نيحا الشوف، ورب لعائلة مؤلفة من زوجة وثلاث بنات وولد ذكر ، توفيت زوجته فتزوج بـــإمرأة أخرى أنجبت له بدورها ستة أولاد ، فأصبح مجموعهم عشرة،وقد كـــان الناس في تلك الأيام وكلما رزق رب العائلة بمولود جديد، تأمل واستبشر خيراً ككل قروي مؤمن لظنه أن الأولاد يجلبون الرزق.

كان أبو فؤاد معلم عمار من الدرجة الأولى، قوياً جسوراً استمد عناده وجسارته من العمل الشاق في تقصيب حجارة الصخور وتعمـــير الحيطان والأبنية والشلاليق ككل معمرجيي عصره، فأنـــصف بـــسجعية لائقة: (ملحم عرنوس كسّار الروس).

عاش أبو فؤاد عمراً مديداً ، تنقل من خلاله في كار العمار بـــين رحاب قريته ، وكان قانعاً راضياً بالقروش التي كانت تدرها عليه هـــذه المهنة، وكما قيل :(الله يستر الفقر بالعافية) وحصل أن هبط عليه الفـــرج يوماً، واستدعي للعمل خارج قريته، فكان يغدو كل يوم باكراً ممتطيـــاً بوسطة القرية التي كانت تحمله كل يوم الى عمله .

لم تدم فرحة العائلة بالعمل الجديد، بل انتكست ولبست الحـــداد بين ليلة وضحاها، إثر تدهور البوسطة التي كانت تقل أبا فؤاد مـــن والى عمله، وقضى نحبه فيها على منعطفات باتر الشوف نيحا، وكان قد ناهز الستة وسبعين سنة، وفي عام ١٩٦٣ تبين أن روح أبي فؤاد قد انتقلت من جسده، وحلّت ضيفة على جسد أكرم المولود الجديد في عائلة أبي ضرغم من بعقلين إحدى قرايا الشوف المعني .

كان أكرم في الثالثة من عمره عندما نطق بالكلام المبـــهم لأول مرة، وكان كلما وقعت عيناه على أية بوسطة لحين بلوغه الثانية عـــشرة من عمره، يصيح ويبكي ويتشبث بوالدته مرعوباً، وكانت أمـــه تنـــهره دائماً، وتقطع عليه طريق الاسترسال بالبكاء والشكوى، فتلهيه بمـــصاصة من السكاكر، أو بحكاية شيقة ولعبة، الى أن يهدأ ويستكين، ثم يعود الى جاري عادته في الصراخ والبكاء وآثار الرعب بادية على وجهـــه كلمـــا أجبرته والدته على الركوب في البوسطة بقصد زيارة أهلها في الجاهليـــة وكان يرغمها على قطع المسافة سيراً على الأقدام ، وكانت كلما حققت معه وسألته عن سبب تخوفه من ركوب البوسطة، يتصدى له جده والـــد أبيه يمنعه من التكلم، لا بل ينهره بقسوة ويهدده بالكي بالنار إذا ما تكلم أو أفصح عما يجول في خاطره، خوفاً عليه من الذكرى الأليمة، وتحـــسباً للعاقبة الوخيمة التي قد تحمل المشاكل لصاحبها، فيما لو تعرف المتقمص على المجرم الذي تسبب بقتله في جيله السابق.

ولهذا فقد بقي أكرم الطفل المقموع المعذب، يتقلب ما بين قلـــق الذكرى وضرورة التناسي، الى أن التقى بأهله من الجيل الماضي، وأفـــرج لهم عن حقيقة أمره وباتوا يتبادلون الزيارات بمنتهى الإقبـــال والعاطفـــة ويقصون على بعضهم البعض مآثر الماضي وعِبَر الحاضر، وحكمة الفرقة والخلقة.

وتقول الأساطير الشرقية القديمة نقلاً عن (الإيزوتيريك) أي العلوم الباطنية،أن سبب نسيان الإنسان لحياته السابقة، يعود لعدم مقدرة الروح على احتمال تذكر الماضي، قبل أن تكتمل بالنقاء والطهـــارة، وتـــصبح جوهرة إلهية لذلك فهي تمر على نهر النسيان للاغتسال كل مرة قبـــل أن تحل في جسد آخر .

هاكم نموذجاً آخر عن صحة وجود التقمص وآلية النطق به بأسماء وأدلة مختلفة قد تتيح لكم فرصة الاستقصاء والتأكد من صحتها .

أنيس محمد بركات حمادة المكنى بأبي سلاّم رجل مستقمص من مواليد قرية غريفة الشوف، توفي عن عمر ناهز الخمسة وثمانين عاما،سميّ في جيله السابق حسن سلاّم وكنّي بأبي جاد الله، وعليه فقد سمى ولده أيضا في هذا الجيل سلاّم، وتبين أن ابنة عمه سنّية حمادة في هذا الجيل،كانت ابنة عمه أيضا في جيلها السابق، وقد توفيت إثر وقوعها عن ظهر الفرس.

وكان أنيس زعيما لاحدى القبائل المعروفة سابقا في قرية السويداء إحدى محافظات الشام، وعلى جانب كبير من الثراء خوّله لأن يكون صاحب مضافة عرفت على أيامه بمضافة أبي سلاّم، قتل على أيدي أخصامه إثر نزاع قوي بين قبيلتين متخاصمتين،بانت عليه بوادر التساؤل والنطق، وهو في ربيعه الخامس حينما اندفع نحو أمه فجأة على غير عادته ممسكابظفائر شعرها، مستفقدا زينتها وعصبة جبينها التي عهدها سابقاً مرصوفة بالليرات الذهبية وأرباع الليرات، فنهرته وصرفته عنها كغيرها من الأمهات اللواتي لا يتحن لصغارهن فرصة الجنوح بمتخيلاتهم والاسترسال بها .

وحصل أن رافق أنيس والدته ذات يوم الى فرن الضيعة، وكان قد بلغ العاشرة من عمره حينما تعرف الى رجل من جيله الماضي بعد أن لمحه مارا على بعد مسافة قريبة منه، وكان هذا الرجل قادما من السويداء لزيارة آل حرب، فركض نحوه مناديا إياه باسمه، فاستجاب الرجل لندائه بمزيد من الدهشة والاستغراب، واقترب منه وركن اليه وأخضعه لمزيد من امتحاناته وأسئلته، وكشف له عن أسرار وأسماء ومخابىء سرية كثيرة جلّها يتعلق بعائلته وأبناء بلدته ومكان إقامته في حياته السابقة.

القضاء في العهد الإقطاعي

انقسم العهد الزراعي الإقطاعي الى طبقات تراوحت ما بين حاكم ومحكوم من أمراء ومقدمين وشيوخ وفلاحين حيث كانت البلاد قبل حكم المتصرفية في عهدة الأمراء من بني تنوخ ومعن وشهاب بما فيها من أملاك وإقطاعات شاسعة واسعة وأقاليم وعراقيب وجرود تابعة للمقدمين والزعماء المقاطعجية الذين استولوا عليها بفرمانات من السلطات الحاكمة، وقد اتسم عهدهم بالقيل والقال والمشاكل والتراعات على الإقطاعات فيما بينهم، بحسب ما جاء في الوثائق السياسية والإجتماعية والإقتصادية المدرجة في كتاب مصادر التاريخ اللبناني للمؤرخ سليمان أبو عز الدين .

وهناك من تشيّخ وتزعم بمساندة الأسر الحاكمة، فكان منهم الكبير والصغير كل بحسب سطوته ومعطياته، وكأنك أمام بحر من الأسماك كبيرها يأكل صغيرها، وكان حلم الإقطاع الذي تحقق على حساب الفلاح وصبره وكده لا تطاله أيدي المحاسبة والمساءلة ،وكان محلّقا فوق رؤوس المنهمكين المتعبين بمنتهى القبول والمسايسة.

لكن لكل عهد شواذه، وشواذ هذا العهد كان شبه معافى خاصة على مستوى القضاء الذي تولاه بنو تنوخ ومعن وشهاب، وعرف كل من تداوله باسم (قاضي) وكان القضاء ينتقل في العائلات بالتوارث ففي عهد التنوخيين تولى القضاء أسلاف المشايخ آل القاضي الذين سكنوا بيصور من قرى الغرب الأعلى في لبنان وأبرزهم: الشيخ عماد الدين حسن جليل من عين كسور الذي اشتهر بعمل الخير والإنسانية، وكان يفرق الحسنات وينهي عن المنكر، وهو الذي عمّر جسر القاضي بين الغرب والشوف وحمل اسمه (جسر القاضي) ثم تلاه القاضي بهاء الدين

صدقة الذي تولى القضاء عن أبيه وجده، وآخرهم كان القاضي جمال الدين يوسف آخر القضاة في العهد التنوخي، حيث تلاهم المعنيون بداية الحكم العثماني عام (١٥١٦م) .

وظهر أيضا على ساحة القضاء عهدئذ أميران محسنان من آل تنوخ قاما بأعباء القضاء حبا وطوعا وهما : الأميران أبو بكر سيف الدين، والأمير السيد جمال الدين عبدالله التنوخي قدس الله سره (١٤١٧-١٤٧٩م) الذي لبس عباءة المشيخة وهو في الخامسة عشرة من عمره بعد أن خضع لامتحانات كثيرة من قبل مشايخ وعقال الطائفة، حيث كثر حوله اللغط والشك لكونه أميراً ابن أمير،ومن الصعب على الأمراء احتمال شظف العيش،والتنكر لمغريات المنصب واستطاع بفضل صبره واجتهاده أن ينال ثقة مجتمعه، وأمعن بإثباتها حين ألقيت على عاتقه أعباء قومه ومسؤولية إرشاده، فبنى المدارس وأوقف أملاكه التي كان قد ورثها عن أسلافه من بيوت وأرزاق وقفا صحيحا مؤبدا لا رجوع فيه ولوجه الله تعالى بصك وقفية، وبحضور الأعيان وبصماتهم الممضيّة، وحرّم وغضّب على كل من تسوّل له نفسه رهن مال الوقف أو بيعه أو تأويله أو المنازعة عليه تحريما رسميا، فالذي يمارس اليوم على أيدي الوكلاء المنتفعين بمال الأوقاف، مخالف تماما لمضمون الوصية التي أقرها الأمير السيد وغيره من أرباب العلم والدين والتقوى .

ثم كلف أميرا من الأمراء التنوخيين بمراقبة سير العمل في الأوقاف وما يلزمها من خدمة ورعاية، وأمر القيمين عليها بصرف أموالها على الأيتام والفقراء والأرامل من جماعته، وبناء المجالس وسبل الماء للعامة في قرايا الغرب، الى ما هنالك من أعمال الخير والحسنة التي قدره الله عليها وقد تولى القضاء فكان منصفا عادلا، لا حيلة للمتزلفين عنده وأفتى في أمور كثيرة، كالقتل والسرقة والتعدي على الحقوق، ولم يكن حسد الأقرباء في قومه إلا برهانا على ما ناله من سؤدد وعزة .

أما الأمير أبو بكر بن سيف الدين فقد سار على خطى الأمير السيد وانتهج نهج سياسته الحكيمة، وكان معلما وقاضيا كتوما لاترد له فتوى.

ومن القضاة المعنيين : الشيخ قبلان القاضي صاحب مقاطعة الشوف وكبير زعماء الحزب القيسي الذي ساند الأمير حيدر الشهابي في معركة عين دارة، وتملك إثرها إقليم جزين، وكان له ولد وحيد مات على عين حياته، ثم مات الشيخ قبلان على أثر سهم أصابه (فأقفلت دياره) فورث أملاكه وإقطاعه صهره زوج ابنته الأمير علي جنبلاط .

ثم انتقل القضاء في العهد الشهابي بعد وفاة الأمير معن عام (١١٠٩هـ ١٦٩٧م) الى آل القاضي في دير القمر، وهم من سلالة الشيخ بدر الدين العنداري صاحب العلم والتقوى، فكان أول قاضٍ يتولى القضاء في هذه الأسرة على عهد الأمير بشير الأول، أول حاكم شهابي والأمير حيدر الشهابي الأول الذي توفي عام ١٧٣٠م، تاريخ وفاة القاضي بدر الدين في عهد والي عكا أحمد باشا الجزار .

وحينما وقع الخلاف بين آل شهاب وتآمر المماليك على سيدهم أحمد باشا الجزار، تولى بعده القضاء الشيخ محمد ففتك به الأمير بشير الثاني الذي ولاه الجزار على البلاد، ثم تلاه الشيخ محمد بن منصور، ثم الشيخ قاسم بن منصور، ثم أعقبه الشيخ شرف الدين القاضي الثاني الذي اشتهر بخاتمه (بحكمه راضي شرف الدين القاضي) ثم أعقبه ولده محمد .

وبعد قدوم إبراهيم باشا الى سوريا، انضم الشيخ محمد الى الجيش العثماني، فتولى بعده الشيخ أحمد تقي الدين من بعقلين إحدى قرايا الشوف المعني قاضيا عن جبل لبنان الى حين صدور التنظيمات وتقسيم لبنان الى قائمقاميتين عام ١٨٤٢

كواليس القضاء
لكل وثيقة عنوان

الدعاوى التي كان يعالجها القضاء مطلع العهد الوسيط في معظم قرايا الشوف وجبل لبنان معظمها كان يدور حول هموم ومشكلات المجتمع الزراعي التقليدي بسلبياته وإيجابياته وبكل ما كان يحاك ويدبر من مكائد وتزوير وتضليل للعدالة وللإناس الطيبين المغلوبين خلف كواليس الوقائع رغما عما كان يحيط الناس من خوف وقمع واستسلام للحاكم وعما أوصى به الأنبياء والأولياء والقديسون من وجوب إحقاق الحق مهما تعذر العمل فيه .

فكل هذه الكوابح الأخلاقية في غالب لأحيان، لم تكن كافية لردع يد الظلم عن المظلومين الذين لا سند لهم سوى المولى .

في حوزتي كم هائل من الوثائق استعرتها من المرجع المذكور سالفا،معظم عناوينها تشير الى حجم ونوع الهم الذي كان يتخبط فيه صاحب الشكوى، وقد تصدرت شجرة الإرث التمييزية ميدان النزاع وما يتفرع عنها من ورثة العصب كالأخوة والأعمام وأولاد العم، الى ما هنالك من أوصياء ووكلاء وواضعي أيدي على أملاك الأيتام والقطايع والقصر .

هاكم بعضاً من نماذج الدعاوى والأحكام الإرثية والعقارية المدرجة في سجلات قضائنا الحنيف، والمحفة عموما بحقوق الأنثى وعلى رأسها: الحكم بعدم توريث البنات .

- الحكم بدفع نفقة لإحدى الوريثات من غلال تركة أبيها.
- إلزام عم بدفع معاش لابنة أخيه المتوفي .
- إلزام السلف أي أخ الزوج بعدم التعرض لحقوق زوجة أخيه المتوفي.
- إلزام أحد الأوصياء برفع يده عن أملاك أحد القصر، وغيرها من دعاوى الغبن والتعدي الملحقة عموما بشؤون القاصر واليتيم والمرأة القطيعة.

أما الدعاوى والأحكام المقامة بين الفلاحين والمزارعين ومالكي الكروم والبيوت فتكاد لا تتعدى حدود طموحات القرويين القنوعين.

كالنزاع على ماء السقاية، وعلى تعيين الناطور، على فسخ بين بستان وآخر، على قسمة غلال، على مشاع حروف صنوبر، على إثبات بيع عودة، على ملكية أشجار حقل، على ضرر من نصبة تين عوجاء على حقل سليخ أو شفعة، على أصل زيتون، على حد، على عريشة، على شجرة جوز أو توتة، على بقية مال من بيعة غنم، أو مهرة، أو على بقية مال من ثمن نيل أو صابون أو غزل، أو أي منتوج من منتوجات القرية وسندات الدين والرهن وغيرها من الدعاوى العقارية كمشاكل العمار وشق الطرقات (القادوميات) بين البيوت، وفتح الشبابيك، وغيرها من مشاكل القسمة والبيع التي كانت تسببها الخلافات بين نساء الإخوة والحموات المتسلطات، وبنات الإحما .

فالقضاء مع ما يحاك حوله من أباطيل وأكاذيب وافتراءات، ومع ما يتخبط به من محاولات لقمعه وإكراهه والضغط عليه، يبقى المعني الأول في مدار هذا البحث، والمسؤول المباشر عما تقتضيه الحاجة من تدقيق وتمحيص في ملفات وخلفيات الأمور والقضايا، لتحقيق العدالة المرجوة

وتوزيعها على الناس بالتساوي تحاشيا للغبن والتعصب، وخاصة فيما يتعلق بشؤون وحقوق الأنثى (الحلقة الأضعف) نصف المجتمع المغلوب المحاصر الذي يقع عليه الغبن دائما .

النظرة الخاطئة للإنثى على أنها عنصر فيزيائي قاصر ضعيف وعالة على من أنجبوها، وضيفة بانتظار عابر نصيب، هي نظرة رجعية وضيعة مخالفة لأصول الشرع والدين والإنسانية، ومقوّضة لركائن الحق الذي يتغنى به المنصفون من قضاة ومحامين عاملين في الحقل القضائي الحساس والقائلين بوجوب مناصرة المرأة وإنصافها كإنسان مؤهل لنيل حقوقه، فلا عيب لو توقفنا قليلا عند قضايا الميراث لإعادة النظر في سلبياته، وعلى رأي الدكتور خليل أحمد خليل : لا عيب بالخروج على الـ norm التقليدي السائد الذي يخشى البعض من عواقب تخطيه، فالتطور بحسب رأيه لا يكون بتبني طرق حياتية جديدة بقدر ما يعني رفض طرق وأساليب سلوكية قديمة أسقطها التاريخ، وتسعى الثقافة السلفية لإحيائها من خلال الدفاع عن التخلف.

هاكم بعض الوثائق المدموغة بأختام الأمراء والحكام في الفترة الوسيطية المذكورة أولها (الحكم بعدم توريث البنات) وثيقة بلحمها وشحمها ممهورة بختم الأمير أحمد معن، آخر الأمراء المعنيين الذي تسلم الحكم بعد وفاة أبيه من سنة (١٦٥٧-١٦٩٧م) والمحررة بحضور وشهادة الحقرا الفقرا الأفاضل .

ملاحظة : آثرت نقل هذا النص بإذن مسبق من صاحب الكتاب، ودون العبث فيه وبأخطائه الإملائية، أو التوقف عند إشارات المرور (الفواصل والنقاط) أو الرجوع الى قواعد اللغة العربية، حفاظا على مآثر التراث، وعلى مرور قلم المحرر .

الحكم بعدم توريث البنات

" يعمل بموجبها من غير مراجعة ولا خلاف يكون معلومكم "

بسم الله الرحمن الرحيم ... !

" وجه تحديد الحروف انه ذكر الشيخ أبو شاهين محمد عن رزق أخيه المرحوم الشيخ منصور هل هو له بحكم الوصية أم لا، ورأينا بيده خطوط عن لسان أبيه وأخيه أن (البنّيات) ما لهن مع الذكور شيء، وأنها سنة فيما بينهم فمع بقاء صحة الشهود المعينة وتشفعها بألسنة الذكورة، فإن الرزق ثابت للشيخ (...) مقرر له من أبيه وأخيه ولكن إذا انقطعت ابنة أخيه ترجع تاكل من الرزق بغير منيّه ولا جميلة والله أعلم ".

كتبه العبد الحقير شرف الدين

أما الشهود الثمانية المرقومين والمذكورين أدناه، فقد أقروا بتبعيتهم الخالصة لأرباب الشأن، وأدلوا بآرائهم وأقوالهم دون تقصير وحمّلوا تبعة موافقتهم وعذاب ضمائرهم للشرع الحنيف، ولله الخبير العالم بأسرار الغابنين والمغبونات، ورفعت جلسة الغبن تلك بتقبيل الأيادي ولثم الأذيال، والدعاء بالعمر المديد لسيد القرار أدام الله ثناه، وطوي ملف الإناث وأودع سيرة الطروش الى يوم القيامة .

نموذج عن الوثيقة بشهادة الشهود، وما سُدد إليها من أختام وهذا ما جاء فيها: "الأمر كما رسموه المشايخ الماضيين الحاضرين، ولا يجوز تغييره ولا تبديله وهو الحق والله أعلم ".

والوثيقة الثانية هي شق توأم الأولى، أضف إليها حالة الضغط والإكراه التي كان وما زال يتعرض لها القضاة، وذلك عن طريق شكوى مقدمة من قبل البطريرك الانطاكي يوسف بطرس الى المجمع المقدس، ضد المطران جرمانوس آدم الحلبي من طائفة الروم الكاثوليك الذي تعين قاضياً على الجبل من عام ١٧٨٠ حتى عام ١٧٨٥ م ويظهر من نص الوثيقة أن هذا القاضي كان عادلا نزيها أراد أن يحكم بالحق، ويفصل بدعاوى الإرث بنور الله وبحسب الشريعة الإسلامية الحنيفة التي تفرض توريث كل بنتين بقدر ما يرث صبي واحد، وقد جاء في نص هذه الشكوى ما حرصت على عرض قسم منه اختصاراً للوقت.

يتابع البطرك " أما الآن فمن حيث أن القضاة أخذوا يمشون كل شيء في هذا الجبل على حسب الشرايع الإسلامية، كما ذكر أعلاه فصار يقع الشجن والاضطراب من قبيل التغيير وبالأخص من جهة توريث البنات ومن هنا واقع خصومات ومنازعات وشرور متفاقمة من حيث ان العادة السابقة كانت سالكة في هذا الجبل عند الجمهور أغنياء وفقراء بأن البنت ليس لها إلا جهاز معلوم بقيمة المثل من والدها واخيها إذا ترهبت أو تزوجت، وليس لها ان تقاسم أخوتها الذكور على شيء من ميراث والديها إلا إذا هم أوصوا لها بشيء خصوصي ومن سلوك القضاة صار الوالدان في إحباط حال مضر للأنفس والأجساد من حيث ان الآباء لا يرضون بتوريث بناتهم حسب الشريعة الإسلامية حذرا من تبديد أرزاقهم وخراب بيوتهم .

ذلك فهم يعطون أولادهم الذكور عن طريق الهبة والتمليك ليمنعوا عنهم دعوى البنات والنساء بعد موتهم ولهذا فمن الضروري أن

نسعى بترجيع توريث البنات والنساء للعادة السابقة نعني أنهن لا يـــرثن شيء مع الذكور بل لهن جهاز بقيمة المثل ونحن بانتظار الجواب من كرم اهتمامكم الرسولي الكامل وفضل غيرتكم الشامل وطال بقـــاكم بكـــل سعادة وتأييد آمين .

الداعي لنيافتكم

البطريرك الإنطاكي يوسف بطرس

٢٩ / أيلول ١٨٢٦م

وبعد أن تقيد القضاة بالشرع الإسلامي، إتفق الموارنة على رفع العرائض للأمير بشير اعتراضا على نقض هذه العادة القديمة عندهم فأقرها وصدقها الأمير بشير مثلما جاء في الوثائق، بعد أن تقدم أهـــالي قـــرى كسروان من كهنة وعوام على أن تبقى العادة القديمة ســـائدة بحرمـــان البنات من الميراث سارية المفعول خشية من وقوع الخصام قاطعين الوعود على أنفسهم لسعادة ولي النعم بأن يخلصوا ذمتهم مع بناتهم عندما يقدمن على الزواج ، ولأجل البيان وقهر النسوان (لبسوا أهالي كسروان قـــبعهم ولحقوا ربعهم) وختموا أقوالهم بأختامهم الخاصة على ما يلي : " صـــح نشهد بأن هذه العادة جارية في طايفتنا المارونية من زمان مديـــد برضـــا وحكام الساسة وقبول من سلفائنا نحن أيضا قابلين ذلك، ونترجا مراحم سعادته أيّده الله تعالى في إشهار خاطره الشريف في سلوك واستمرار هذه العادة صح صح .

أهالي قرى كسروان

وهكذا فقد تحققت معجزة اتفاق الطائفتين المعروفية الدرزية والمسيحية المارونية من شمال لبنان لجنوبه، وبقيت الأنثى حبيسة قبضة العصب وما يتفرع عنه من ورثة وأوصياء: أخوة، أعمام، أبناء عم وكما يقول المثل اللبناني الدارج (رضينا بالهم والهم ما رضي فينا) لعدم احترام الموصي ولتزوير مضمون الوصية التي كانت بمثابة الوصايا العشر، وكتب القرآن والأناجيل والحكمة الشريفة المقدسة، حيث كانت تحفظ للأنثى القطيعة أو الأرملة ما تبقى لها من حقوقها بحسب تشريعات المجلس القضائي الذي نص على قرار منح الأنثى ما كان قد تقرر لها من مأكل ومشرب دون منيّة أو جميلة شريطة أن يبرئ ورثة العصب ذممهم تجاه أخواتم البنات، وخاصة القطيعات منهن بمنتهى القبول والإنسانية .

إليكم هذه الباقة التمييزية المتطرفة من الأمثال الشعبية التي تصور حالة الإجحاف بحق الأنثى، والعقلية الرجعية المناهضة في معظم الأحيان لحقوق الإنسان،والتي انتقلت بالوراثة من جيل لجيل، إنما بمظاهر حضارية مقنّعة منذ الوأد الجاهلي الى العصر العباسي تحت شعارات مجحفة وقحة (جنبوهن القراءة) و (إسكتن إنما أنتن لعب) لتظل الأنثى جاهلة رخيصة ، الى العهد العثماني الإقطاعي تحت عنوان: "القبر ولا المدرسة" و"البنات همّن للمات"، و"البنت متى جري دمّا،يا جوّزا يا طمّا"، مع أن حال الواقع يؤكد ضرورة نقض هذه العادة، أي عادة حرمان البنات من الميراث وذلك لتخلي معظم الأبناء عن مهمة رعاية ذويهم لأخواتم البنات، في مرحلة العجز والشيخوخة .

نموذج عن الوصية:

وصية مطاوع حرب

هذه الوصية منقولة عن الأصل دون تغـــيير، وتعـــود الى عـــام ١٢٤٨هـــ ١٨٣٢ م وقد كلفه تحريرها قرشين سوريين دفعها دفعة واحدة لمحرر الوصية.

" بسم الله الرحمن الرحيم وهو حسبي وبه استعين ولا حـــول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم سبحان من قهر عبيده بالموت وهو حيا لا يموت وهو الان وقت تاريخه حضرنا الى عند بو محمد مطاوع وامرنا برقم هذه الوصية خوف من هجوم المنية واتباع لامر حضرة السيد السرية وهـــو في صحت من عقله بل من تلقا نفسه من غير هذي ولاهذيان ولا كره ولا اجبار وذكر الى ولده محمد الحكورت الذي ورا الخربة من دون خمـــس نصبات في الشوار الى شاب الدين (إي الى ولده شهاب الدين) وذكـــر عن حكورت (التنّور) بما فيها الى ولده زهر الدين وذكر عن الجـــوزة والمطعوم الذي بين شاب الدين والعرشان الذي فيهم الى الجب الـــشتوي الى ولده شاب الدين وذكرعن فدان (الدرجة) جميع ما فيـــه وزيتـــون الذي تحت التوت والمطعوم الذي ورا بيت محمد ســـلامة،هوذي جميـــع الامان الى ولده شاب الدين وذكر عن الجل التوت والعريش الذي حـــد الدرب الى ولده محمد من دون السنديانات يبقوا شركة له والى اخيه زهر الدين والعرشان الذي حد الدرب فوق بيت شاب الدين جميعهم والتينـــة في (الخربة) الى ولده زهر الدين وثلاث اصول فوق منهم الى محمد وذكر عن كرم المقطنة من الكعب الى تحت التوت بجل الى زهر الدين (وبَقْوِت) الكرم الى محمد وفدان الصليخ والتينة الذي في (خلت بو مير) الى زهر

الدين وذكر خلت بيزون و الثورين الذي فوق الى زهر الدين (... ؟) له والثلاث شوارات الذي فوق منهم الى اخيه محمد وذكر حقلت (شقفان) (هملان) السهم الذي صوب حفت شاب الدين من الشوار الرفيع وطالع الى ميل القبلة الى ولده محمد وبقوت حصته الى زهر الدين وذكر عن (التوات المخينق) الجورتين الذي تحت الى زهر الدين (يكنو..أو يكونوا) له والجوزت التحته تكون الى محمد وخيه شاب الدين بالنصف وفدان الفلاحة الى محمد وذكر عن الفدان الصليخ ويتبعهم الخروبة الذي فيه (تصرفات..؟) اخيه والمطعوم الذي مطعّم جديد الى محمد وباقي ما جميع ما يخصه في المطرح الى ولده زهر الدين وذكر عن (السبلات) يكون مثلاثة ما بين ولاده وذكر عن زيتونت (الحوطة) شوكت الرهبان (الوه..؟) زهر الدين (وبيش) الحوطة (...؟) الذي عاكتف الساقية الى ولده محمد وذكر بان يكون جميع من رزق والبيت بما فيه من اثاث وكلي وجزي يكون في يد حرمته كلما هي (طايبة) ما لا احد له معارضة لا في بيت ولا في رزق ولا في كلي ولا في ما يخصه على وجه الارض و (متا راحت) كل من يتولا على حصته كما هو محرر وذكر عن جميع حصته في البقرات و(...؟) والديه الى ولده زهر الدين ومن (يم) البيت وجميع ما فيه متا راحت حرمته يكونه الى محمد واخيه زهر الدين .

وذكر عن زيتونت (الشرَيفة) الى خطار(قطع مراس) وحرّم حرام وغضب الجبار على من يغير أو يبدل حرف واحد يكون دخل تحت غضب الله (غضب نبيا) وحرّم واثنا بالحرم كل من يعارض حرمته في شيا من الرزق ام في البيت بجميع ما فيه كل ما هيّ طيبة ما بكون له شي

في جميع رزقي وذكر عن اخته كريمة كل ما هي طيبة (تـــضمّ) تاكـــل منهل البيت من غير جميلة وذكر الى الكاتب قرشين وكذلك الى اختـــه عفيفة كل سنة حمل رطلين زيت وذكر عن جل الرمان الذي في الخربـــة الى محمد واخيه زهر الدين ويكون الى شاب الدين من (الكيس الوسط) وحرر ذالك وجرا في شهر رمضان المبارك سنت الف ومـــايتين وثمانيـــة واربعين ١٢٤٨ هـــ صح صح محرر الاحرف: الحقير دانيل حسين وشهد بذالك : (حمود شويد ..؟) (وحسن يوسف).

البيع والشراء في شرعة الأتقياء

صك بيـــع: شوال سنة ١٢٤١ هـ/ نوار

سنة١٨٢٦ م

الموجب لي تحريره

" وهو أن حين تاريخه اشترت بمالها لي نفسها بما انعـــم الله عليهـــا (بردة) حرمت مفادي بنت حمد علاما الدين من بيت بو حمدان من قرية غريفة من الشوف المعني والعمل الصيداوي وهو من بايعها جنيد واخيـــه مفادي اولاد محمود جنيد من بيت حرب الجميع من القريـــة المـــذكورة والعمل المسما أعلاه وهو الكرم الذي في خلت بيزون وهـــن الحـــصتين شفعت المشترية يحدد ذالك القبلي المشرفة رزق والدقم ومن الغرب رزق حمود فارس ومن الشمال المصّار ومن الشرق رزق حسين يوسف وهـــو جميع شفعتهم في الموضع المذكور والثمن عن ذالك خمسين قرش وثمن كل حصة خمسة وعشرين قرش وصلت ذالك الثمن من يد الشارية المذكورة لي يد البايعين المذكورين قبضة واحدة وفي مجلس واحد وصار الملك ملك الشارية دون ملك البايعين المذكورين تتصرف فيه تـــصرف أصـــحاب الاملاك في أملاكها وذوي الحقوق في حقوقها وهو بيع شـــري قـــاطع ماضي ممضي لا هو على سبيل رهن ولا اجارة ولا اعادة بل بيع الاسلام ونفوذ صحت الاحكام ويعمل بما عند القضاة والحكام ومـــا ادرك مـــن شفعة أو تبعة فضمانها على البايعين المذكورين ومن مال مولانا السلطان تابع الغلال حيث كان تحريرها في شهر شوال الذي هو من شهور ســـنة ١٢٤١هـــ ١٨٢٦ م الف ومائتين وواحد واربعين للهجرة صح .

شهد بذالك — شهد بذالك

الحقير شاليش مخيبر — محمد حرب، وعبد الوهاب يقضان

صك رهن بتوقيت الحرير : ١ محرم سنة ١٢٣٦هـ

" وهو ان اقر واعترف قدامنا حسين ابن نجم الشمعا بـــان عنـــده وعليه ولازم ذمته بالطريق الحق الشرعي الى حافظ هذا السند بو سماعيل سلوم الجرامني مبلغ قدره وبيانه الى ذالك ثمنين قرش ورق) وظمن الراهن من المسترهن الحمـــل بتوقيت الحرير يورده إياهم كل سنـــــة الى بعـــد مـــا (...؟) قرش إذا عجز عن وفا الدراهم يوظع يده على حقلتـــه في عين الكرم وعين له مال (...؟) قرش لا غير تحريراً في أول شهر محـــرم الحرام فتوح سنة ١٢٣٦ هـــ الف ومائتين وستة وثلاثين صح ، وذالـــك الحقلة الذي فوق الدرب تحت ملك المسترهن محرره (...؟) .

كل حمل ورق توت يساوي ٣٠ رطلا أي ٧٥ كلغم ، أي كـــل ٨ الى ١٠ شجرات توت ، تنتج حملا من الورق .

شهد بذالك	شهد بذالك	محرر الحق
سلمان يزبك	الحبيب يوسف سلوم	يوسف فضايل

صك زواج:

بسم الله الرحمن الرحيم

سبحان من خلقهم أزواجا على الارض من إنسان وحيوان وطير هذا وبتاريخه أدناه حضر أمامي السيد ملحم عبد النور من قرية بسابا الشوف خطيب الآنسة علياء أبو العاكوم ، وتم الاتفاق بالرضى والقبول إن يقترن السيد المذكور أعلاه ملحم عبد النور بالآنسة علياء على إن يكون المتأخر خمسة وعشرون ليرة عثمانية مع الاحتفاظ بحق المهر المقدم سابقاً الى الآنسة علياء .

كفيل الزوج : جاره أبو يوسف

(إمضاء مع ختم)

علماً بأن كل شخص كان له ختم خاص به مصنوع من النحاس وهذا معروف عند الجميع

سجل هذا العقد في دفتر عقد الزواج عند مختار القرية .

الفصل الثالث
قصص من التاريخ

الجار ولو جار

أبو معروف شيخ من شيوخ القرية الورعين الذين استقروا على طاعة الله وحب التقشف والزهد بفانيات الدنيا.

كان سخيا عزيز النفس ، لا يتورع عن مد يد العون لقاصده مهما صعبت شروطه وتعذر العمل فيه، وهذه شجاعة استثنائية منقطعة النظير تميز بها فلاحو القرية الكرماء عنوة عن سكان المدن المتهالكين على الإستهلاك والمنجرفين بتياراته .

كان هذا الشيخ ككل شيوخ القرية الصبورين القنوعين، همّه في رزق عياله، وفي ما يحتمه عليه واجب الكد والعناية بحقله مصدر عيشه وببهائمه التي كانت تدر عليه وعلى عياله مؤونة العام من لبن ولحم وسمن وجبنة، دون اللجوء الى أبواب الذل والمهانة، وتقبيل الأيدي والأذيال وهذه منحة قلما استحصل عليها فلاح من فلاحي العهد الإقطاعي .

غير أن أبا معروف اضطر يوما للخروج من ديرته إثر اختفاء عجل من عجوله ، ولم يدع قرنة من قراني حقول وسهول قريته إلا وفتش فيها متوسلا إيجاد عجله المفقود، وكاد يفقد الأمل بالعثور عليه لو لم يرشده أحد أهالي القرية الى مكان وجوده، حيث رآه يرعى في أحد حقول قرية بيقون المجاورة لغريفة والتي تقع بين قريتي مزرعة الشوف وبسابا لجهة الغرب .

كان التعب والإرهاق قد بلغا من هذا الشيخ كل مبلغ بعد وصوله الى المكان المقصود لإحضار عجله، وشكر الله على نعمة إيجاده حينما رآهم يحرثون عليه، فاستلقى بجثته الى جوارهم في إحدى قراني الحقل ريثما يستجمع شيئاً من قوته، ويستذكر ما كان قد هيأه من عبارات لائقة لمواجهة الموقف الحرج ولاسترداد ضالته (بريحة طيبة) دون اللجوء الى العنف .

اقرصو بزنبو بتشوف عجبو

غير أن الفلاح مهما اشتدت عزيمته وقويت شوكته، وصال وجال في ميدان كبريائه وعزته، حاصرته أيادي الغدر، وكبّلته قيود الصبر عليها فرضي وسلم وطلب العون من ظلامه.

العوافي يا جماعة ، العوافي ...! عبارة فلاحية متواضعة استهل بها أبو معروف مبادرته الودية الطيبة، متوجهاً نحو جماعة الحقل ذوي الوجوه المتجهمة، والذين ردوا عليه التحية بمنتهى الإزدراء : " العوافي .. هكذا حاف ودون أي تعقيب عليها، فتوجس الرجل شراً وعلم أنه أمام مأزق حرج ورأى أن لا جدوى من اللف والدوران حول حلقة المطلب والأجدى له أن يستعجل بطلبه ويرحل، غير أنه لم يكن على علم بمخبآت القدر،وبما كان قد هيأه له من شرشحة وبمدلة على أيدي هؤلاء الناس بعد أن أفصح عن مطلبه وهم بتحرير عجله شاكراً لهم فضل اهتمامهم به،حيث أجابه أحدهم بازدراء: حسنا لا بأس عليك تقدم إذا وحرره ، وما ان هم أبو معروف بتحرير عجله حتى اندفعوا صوبه

منهالين عليه ركلاً وضرباً وأطاحوا به أرضاً وأوثقوه بالحبال، وأجبروه على حراثة الحقل طيلة النهار مكان العجل، الى أن سقط مغمياً عليه من فرط إعيائه وكانوا يستنهضونه في كل مرة لمتابعة عمله بركلة أخرى أو رشقة ماء الى أن شارفت الشمس على المغيب، وحان موعد رحيلهم الى بيوتهم، فأطلقوا سراحه قائلين له : لا عجل لك عندنا، إذهب وبلّط البحر .

الصباح رباح

الله كبير ..! الله على كل ظالم ..!

لم يكن شيخنا المغلوب يملك غير هذا السلاح للتعبير عن بؤسه، وهو سلاح كل ورع تقي جعل رأس حكمته الصبر والتوكل على الله آية الحكم .

كانت ملامح المساء قد شارفت على النهاية، وسرَّب كل من في الحقل الى مأواه، باستثناء هذا الرجل الذي بدا مرهقاً شاحباً لا يقوى على السير، وبدا بهيئتين متناقضتين، الفرس والفارس المتعثرَين بمجاهل الدرب،الناهضين من كبوتيهما بعزة وكبرياء ، محققين في النهاية معجزة الخروج من المأزق.

وهكذا فقد نهض أبو معروف من عثرته، مستعينا بالله وبعصاته الشفوقة وببعض ما توكأ عليه أثناء الدرب من حفافي جلول وصخور وجذور يابسة متروكة على جنبات الدرب الى أن بلغ قريته مع بزوغ الفجر، وقص على عائلته الحكاية .

أكل ومرعى، وقلّة صنعة

درجت العادة أن يتولى كل زعيم إقطاعة، ويكون فيها السيد المطاع والآمر الناهي ، بغض النظر عن كفاءته العلمية ومستواه الثقافي العام ، ومدى خبرته.

ولم يكن خطار بك إبن الحسب والنسب وسليل الأسرة الإقطاعية حائزاً على أي امتياز، أو شهادة في العلوم السياسية والإدارية، أو خريج جامع الأزهر أو جامعة الـ (Sorbonne) ، فهو بالكاد كان يفك الحرف وكان يعتمد ككل مقاطعجية زمانه على سطوته وتسلطه، وعلى خبرته في مقالشة الناس الضعفاء، وإدارة عقولهم وشؤونهم الخاصة من باب الثقة والعاطفة " أفيونَي " الشعوب البسيطة، وفي ما خص كتابة الرسائل والخطب كان يلجأ الى الكتّاب من أدباء وشعراء لتحريرها ويستعين في حل المشكلات والفتاوى برجال الدين المهيمنين على الناس، الملمين بشؤونهم وقضاياهم والمتمتعين على الدوام بالسلطة المعنوية الخارقة والكافية لإعدام رجل أو تخليصه من حبل المشنقة، حيث كان تدخلهم في معظم الأمور يأتي بالنفع على المتسلطين عامة.

لم يكن للزعماء الإقطاعيين عهدئذ أنظمة مرعية ودوامات عمل محددة بل كانت واجباتهم تنحصر فقط في جباية الأموال من الفلاحين وإعداد الفرسان للحرب كلما دعت الحاجة وباقي ما تبقى من الأوقات كانوا يشغلون أنفسهم في استقبال الضيوف، وإقامة الولائم على شرف الوالي، والقيام برحلات الصيد والفروسية ولعب الجريد، الى ما هنالك من وسائل الترفيه والتسلية، أضف الى ذلك أن خطار بك كان صديق الوالي

العزيز الذي كانت تربطه به أواصر المكسب، ولهذا فقد قويت شـــوكته وصار (يذبح بظفره) .

أما على مستوى المشاكل والتعديات التي كان يتعرض لها الفلاح فقد كان لكل مشكلة علاجها الضرائبي المتصاعد، وطقسها الدراماتيكي المحزن بعيداً عن أعين العدالة، حيث كان يفرض الزعيم على الفلاح أثناء تعرضه للنهب، الضريبة التي كان يراها مناسبة، والتي كانت تعلو وتهـبط بحسب قيمة المنهوبات التي يستردها له، ويحكى أن بعض التعديات كانت تتم بعلم الزعيم لتأديب من سوَّلت له نفسه من الفلاحين بكسر قيـــده والتفلت من نير الظلم والعبودية، غير أن خطار بك كان قد خالف ركب أسلافه وسار على خطى (الرحمنة)، بتعاطفـــه الجـــريء مـــع فلاحـــي قريته،وإمدادهم بالمعنويات اللازمة، ما يجعلنا نعيد النظر بتصرفات الحكام التي لم تكن تخلو من الليونة والشفقة.

العين بصيرة واليد قصيرة

وقف أبو معروف على بوابة قصر البـــك في قريـــة كفرنـــبرخ الشوف كسير القلب والخاطر، لا يجرؤ على تخطي العتبة، وبدأ يـــصيح بأعلى صوته: (العين بصيرة واليد قصيرة يا بك ..!) ردد هذه العبـــارة ثلاث مرات وكاد أن يهوي بعدها إلى الأرض لو لم يسنده أزلام البـــك ويهدئوا من روعه، ويعدّونه للدخول على سيدهم الـــشغوف بـــسماع القصص الحماسيّة وما يتخللها مـــن صـــور دراميـــة مـــشوقة وأوتـــار حساسة،وسرعان ما امتثل لرغبة سيده، وشرع يقص عليه الحكاية مـــن تك تك للسلام عليكم.

أخذ الثار مش معيار

ثارت ثائرة خطار بك فور سماعه الحكاية، وانتصب واقفاً والشرر يتطاير من عينيه، وشرع يقيس القاعة ذهاباً وإياباً بعصبية بالغة،والعيون ترافقه، والكل حابس نفسه ، شاخصاً إليه بحشرية بالغة وباستنفار عارم تأهبا لتلقي إشارة أو أمر من أوامره .

وأخيرا نطق البك وأفصح عن مكنوناته، وأمر رجاله وفرسانه استعداداً للحرب، وساعتين بتوقيت الراوي ، كانت الحملة الانتقامية المقررة على قرية بيقون قد أصبحت على أتمها، وزغردة الرصاص والعيارات النارية وهتافات الرجال والفرسان الحماسية كانت قد غمرت المكان، حيث زحفوا بالمئات والألوف نحو قرية بيقون للأخذ بثأر الرجل.

قرية الميّة وميّة

لم يكن ترسيم الأملاك رسمياً قد ورد بعد في العهود الإقطاعية، حيث كانوا يحددونها بعلامات طبيعية فارقة : شير، نمر، ساقية شتوية، جسر مطحنة، أو بحسب ما تميزت به القرى والأمكنة من شهرة غنية عن التعريف.

وكان أحد فرسان هذه الحملة عند مروره بكل قرية، يضع في جيبه حجراً، ليحصي عدد القرى التي كانوا يمرون بها، وليستعد للجواب كلما سأله قائد الحملة خطار بك : (وين صرنا ..؟) ولما كان عدد الحجارة التي جمعها قد بلغ مئتي حجر وحجر، توقف فجأة، وصاح مبشراً سيّده: (وصلنا للميّة وميّة يا بك ..!) .

عند هذا العدد هدأت ثورة خطار بك، فترجل عن فرسه مخاطباً رجاله وفرسانه الشجعان الذين كانوا قد زرعوا الرعب في القرى التي عبروها، وأشبعوا فيهم انتقامهم من قرية بيقون مصدر الإهانة، قائلا لهم : كفى يا رجال، وصلنا حقنا ..! .

وبعد أن استراحوا من عناء الدرب، رفعوا راياتهم، ووضعوا إشارات وصولهم على حدود القرية التي توقفوا عندها، والتي حملت فيما بعد إسم قرية الميّة وميّة جنوبي لبنان، وقفلوا عائدين الى قراهم رادّين للشيخ المغلوب شيئاً من اعتباره .

*** لقد بلورت هذه الحادثة الدراماتيكية المؤسفة مظاهر الحمية والمروءة عند الإقطاعيين من خلال بعض الممارسات المثالية المسؤولة، في زمن كثرت فيه الشكاوى والتمادي في الظلم والتعدي والاستسلام للحكام .**

يلّي فات مات

جرت أحداث هذه المهزلة الطائفية اللئيمة عام ١٨٦٠م حينما حلّق غراب الفتنة الطائفية فوق رؤوس سكان جبل الشوف الآمنين من دروز ونصارى، وكانوا كما يقال مثل (اللحمة عالظفر) ينعمون بحسن جوار بعضهم البعض ويتعاطفون في السراء والضراء، وخاصة أثناء مناهضتهم للحكم التركي.

كثيرون هم الذين أشرفوا على إضرام نار هذه الفتنة من عملاء ودخلاء وأولهم إبراهيم باشا الذي فتك بالدروز بمساعدة بعض أعوانه وعلى رأسهم الأمير بشير الشهابي الثاني ذراعه الأيمن .

وللقنصل الفرنسي (drecalo) اليد الطولى في تأليب المسيحيين على إخوانهم الدروز، وذلك بعد أن وعد الموارنة بتسليمهم الحكم شريطة أن يتخلصوا من منافسيهم الدروز ليتسنى لهم بسط سيطرتهم على البلاد دون منازع وخاصة بعد أن بلغ فخر الدين المعني الثاني الكبير أوج مجده وسلطانه.

وهكذا وبعد أن استحصل موارنة لبنان من هذا القنصل اللئيم على (carte blanche) بدأ مسلسل الاعتداءات على بني معروف وممتلكاتهم ومراكزهم الحساسة، ولبست هذه الفتنة المفتعلة ثوبها الدموي المخيف.

ملاحظة: ليس المقصود من سرد هذه الحادثة نكء الجراح وتقليب المواجع إنما المقصود هو أخذ العبرة من الماضي، وعدم الإذعان مجدداً لنداء الانقسامات والنعرات الطائفية، هذا السرطان الخبيث الذي سرعان ما يتفشى في أواصر العلاقات الودية الطيبة بين أبناء الوطن الواحد، الحريصين كل الحرص على وحدة وطنهم وأبنائهم .

ولنعتبر أيها الأخوة اللبنانيون الطيبون من خلال تجاربنا الأليمة أي من طبق أصل الهموم والمواجع المتكررة على بلدنا، والتي كانت وما زالت من صنعنا نحن اللبنانيين، بفضل تراخينا واستهتارنا وميلنا لمناكفة بعضنا البعض،وهذا هو عيبنا القادح الذي من خلاله يتعرض استقرار هذا البلد للاهتزاز بين الحقبة والأخرى.

مطاردة عبدو كريدية

كان عبدو كريدية واحداً من الأشقياء الفارين من وجه العدالة مختبئا في إحدى مغاور جرود بعلبك، وكان على رأس عصابة مؤلفة من أربعين شقياً ، وقد كلف حسن حرب بمطاردته واعتقاله وتسليمه للسلطات حياً، بصفته ضابطاً كفوءاً، فسار على رأس حملة مؤلفة فقط من خمسة عناصر من الدرك اللبناني، وعندما وصل الى هناك مع فرقته، وأحكم تطويق المغارة،أراد أن يمهد للقبض عليهم زرعَ الخوف في قلوبهم، فدنا من باب المغارة، ونادى بأعلى صوته على مسمعهم قائلا: الفرقة الأولى تتقدم ،الفرقة الثانية تأتي من ظهر المغارة والثالثة من الشمال ثم تقدم وطلب من رئيس العصابة تسليم نفسه صائحاً به: عبدو كريدية سلم نفسك أحسن لك، فأجابه كريدية : أنا لا أسلم نفسي للجبناء .

وبعد أخذ ورد وتراشق بالعبارات النابية، خرج كريدية من مخبئه ليفاجأ بقلة عدد الرجال الذين حاصروا المغارة، وبالخطة الذكية المحكمة التي دبرها قائد هذه الحملة للإيقاع به دون أية مكابدة ، ووجد نفسه في موقع حرج، ولابد من تسليم نفسه، فأذعن للضرورة وسار مكبَّل اليدين ضمن حراسة مشددة حتى باب السجن المخصص له، وقبل أن يهم بالدخول ويتوارى خلف القضبان الحديدية، تقدم من الرجل الذي أعتقله والمشهود له بنخوته ورقة قلبه قائلا له : أعمل بأصلك يا حسن حرب، فأجابه على الفور: ذبحتني بهذا الكلام يا كريدية .

وأثبت حسن حرب على الفور أنه أهل لثقة الرجل، وللمسؤولية التي أوكلت إليه،حين أودعه السجن وأوصى به الخفراء، وعين نفسه

محققاً خاصاً بقضيته، وكان يرسل كل شهر لعائلته في بعلبك مع أحد العساكر، وطيلة تواجده في السجن قدر مائتي ليرة سورية من المال والإعاشة، دون أن يذكر اسم مرسلها، وبعد مضي سنتين على مكوث كريدية في السجن، خرج منه واعداً متوعداً، وبالعربي الفصيح، (عم يهدّ ويقدّ) لكنه فوجئ فور وصوله الى منزله، بأن الرجل الذي اعتقله وقسا عليه، كان رجلاً شهماً، احترم وصية سجينه وعمل بأصله، وذلك بعد أن قصت عليه زوجته حكاية المبلغ الذي كان يصلها كل شهر من سجانه من (تك تك للسلام عليكم).

وتكفيرا عن ماضيه الأسود، وإساءته لحسن حرب، قرر كريدية أن يودع الشر الى غير رجعة، ويتوب توبة لا عودة عنها، فطار على متن جناح الندم قاصداً دار سجانه في غريفة ليرد لصاحب الفضل فضله،ويقدم له الإعتذار معبراً عن ندمه بهذه العبارة المكفرة : أنا مدين لك يا حسن بك طول العمر ورقبتي سدّادة، وهّم بالرحيل،لكن صاحب الشأن تصدى له وأراد أن يعزز لديه نزعة الخير بعد أن لانت عريكته،وانكسرت شوكته، وودع الشر الى غير رجعة فتمالحا، وتآخيا واتفقا على مساندة بعضهما البعض، وعقدا النية على مطاردة الأشقياء الذين كره فيهم كريدية صورة ماضيه البشعة .

فخر الدين المعني الثاني
(١٥٨٥ - ١٦٣٥م)

زغرو زغر وفعلو فعل

هو حفيد الأمير فخر الدين المعني الأول من قبيلة ربيعة القيسية التي نزحت عن شبه الجزيرة العربية الى سوريا عام ١١٢٠ م، ثم انتقلت مع أميرها معن بن أيوب الى منطقة الشوف في جبل لبنان الغربي، وتولوا أمر الدفاع عنها من غارات الصليبيين زمن السلطان سليم الأول بداية العهد التركي حيث تولى فخر الدين بن معن الأول حكم جبل الشوف بداية العام ١٥١٦ م بإيعاز من الوالي التركي لكثرة ما ساعده في صد هجمات المماليك والأعراب عنه، لكن سرعان ما دب الخلاف بينهما إثر وشاية خبيثة مفادها أن أمير الدروز يحتقر المسلمين وينوي تهديم مساجدهم وبناء الكنائس للنصارى عوضا عنها، فتسربت الأخبار الى الباب العالي في القسطنطينية، والذي أصدر بدوره فرمانا رسميا للقضاء على الدروز قضاءً تاما، فأرسل جيشا قوامه ١٦٠٠ مقاتل، يتزعمهم أحمد كجك والي دمشق بمعاونة بني فريخ، وطربيه وسيفا من بلاد عكار، انتهت بهزيمة أمير الشوف الأول بتحريض من اليمنيين، فاستدرج الى دمشق وقتل هناك عام ١٥٤٤ وقطع رأسه وعلق على رأس حربة مرددين العبارة النابية: (هذا هو رأس فخر الدين الكافر العاصي) خلفه بعد ذلك ولده الأمير قرقماز الذي حاصره العثمانيون على يد إبراهيم باشا في قلعة شقيف تيرون ومات بداخلها اختناقاً.

ثم تلاه الأمير فخر الدين المعني الثاني (١٥٨٥ – ١٦٣٥م) والذي رفض بدوره طاعة العثمانيين، وعمل على تحسين أوضاع بلاده وازدهارها وتطهيرها من داء التعصب الديني الذي اعتمده العثمانيون لإضعاف صفوف المواطنين وإحكام السيطرة عليهم .

كانت هذه أولى بوادر الفتن الطائفية التي زرعها المستعمرون في قلوب أبناء الوطن الواحد، والتي بدأت بفتنة دير القمر عام ١٨٤١ م ثم تجلت واستفحلت مظاهرها عام ١٨٦٠م لتنال منها قريتي النصيب الكبير ثم امتدت لتشمل قرى الشوف والمتن وجزين في عهد الأمير بشير الثالث لسوء إدارته ولشخصيته الضعيفة التي استغلها العثمانيون لزرع الشقاق بين الدروز والمسيحيين، ولإعادة السيطرة على الجبل، مما أدى لتدخل الدول المتنازعة على أرض هذا الوطن وأهمها : فرنسا وبريطانيا، وقد ذهب ضحية هذه الفتنة خسائر بشرية كبيرة من الطرفين وتهدم وحرق المنازل والقرى والتي تجددت سنة ١٨٤٥م على أثر خلاف وقع بين دروز الناعمة ومسيحيي الدامور ثم أحداث ١٨٥٨م ضد رجال الإقطاع وانتهائها بأحداث ١٨٦٠ م على أثر ضعف نظام الحكم في القائمقاميتين وتغذية الأحقاد من قبل الدول المتنازعة في الطائفتين .

فبالرغم من قصر قامته كان فخر الدين بن أيوب المعني الثاني أميراً بكل ما حملته الكلمة من معنى حيث بلغت البلاد على أيامه أوج عزها وازدهارها،بفضل تدابيره الحكيمة وحرصه المميز على مصلحة بلاده وإنعاش مرافقها الحساسة المتعلقة بالصناعة والتجارة والزراعة وخاصة تربية دود الحرير التي شكلت للفلاحين مصادر رزق كثيرة فتحققت آمالهم، وتحسنت أحوالهم ، واستتب الأمن وعم الرخاء في

البلاد بفضل سياسته الحكيمة، وخاصة منطقة الشوف التي كان حاكما عليها، فأولاها كامل اهتمامه، وأمن لها الحماية الكاملة من ظلم وتعديات الأتراك والأعراب ، وتحولت مع الأيام الى ملجأ آمن للهاربين من جور الحكام والسلاطين ، وخاصة النصارى الذين عاشوا في كنف الدروز براحة وطمأنينة مدة طويلة من الزمن ، دون التأثر بالفوارق الدينية والاجتماعية ، هذا الوتر الحساس الذي عزف عليه المغرضون لحن التفرقة .

الآباء يأكلون الحصرم والأولاد يضرسون

من المعروف أن الأمير فخرالدين الثاني الكبير كان معتداً بنفسه شغوفاً بعظمته متلذذاً بمناكفة خصومه وأنداده الغيورين الذين كانوا يكنون له الكره والحسد الشديدين ، ويودون البطش به بفضل ميزاته المتعددة التي حققت له الكثير من الامتيازات والنجاحات ، ومن ألدّهم يوسف علي سيفا والي عكار أخو زوجته الثالثة (عَلوَة) الذي ناصبه العداء بعد أن ضم إليه صهره فخر الدين لبنان الشمالي ، ليس طمعاً بالتوسع والسيطرة على البلاد ، إنما بقصد توحيدها ، ما جعل ابن حماه يوسف على نار الحقد يغلي ويتحين الفرص للانقضاض عليه والبطش به بمساعدة أقربائه من آل سيفا الذين كانوا يتظاهرون بمحبتهم ويضمرون له الكره الشديد ، ناهيك عما كانوا يلحقونه به في المجتمعات من إهانات وعبارات ملؤها التهكم والسخرية، كتعييرهم له بدمامة منظره وبقصر قامته ونحافتها ، ونعته بالقزم الذي لو وقعت من يده الى الأرض بيضة لما انكسرت، ولو أرادوا وضعه في جيوبهم مع مفاتيحهم لما تعذروا، الى ما هنالك من الردّات والزجليات التي أعدها

له السيفيون الحاقدون أثناء سهراتهم للنيل من كبريائه وكرامته وعلى مسمع من ابنته ست النصر، وقد أكتمل النقل بالزعرور ، بعد أن زوجها والدها فخر الدين من ابن خالها حسن بن يوسف علي سيفا ليضمن سكوته وكفاف بلائه عنه ، حيث كانت المصاهرة بين الأنداد والأخصام وقتذاك تفعل فعلها الساحر بتوطيد أواصر التحزبات والتحالفات ، وقد اعتمدها المعنيون أسوة بأسلافهم التنوخيين كغطاء أمني واقٍ درءاً للمستجدات والتعديات والأخطار الفجائية المحيطة والمحدقة بمخططهم وتوسعاتهم، سيما وأن فخر الدين لم يكن ليكتفي بضم لبنان الشمالي الى بلاده ، بل تعداه الى التوسع شرقاً وجنوباً ، مما أثار جنون ونقمة آل سيفا الذين كشفوا نهائياً عن أقنعتهم وعما كانوا يضمرونه له من عداوة مبيّتة بتأليب آل حرفوش حكام بعلبك ومصطفى باشا والي دمشق ، لمساعدتهم على البطش به ،حين انقضوا عليه في معركة عنجر شرقي البقاع وكتب فيها النصر لأمير الشوف الذي صبر على تعدياتهم صبر أيوب على بلواه ، واستولى على أملاكهم وإقطاعاتهم بمساعدة والي الشام الذي ندم على فعلته فيما بعد، معتذراً له عمّا بدر منه أثناء المعركة التي لم تكن برضاه ، بل بتدبير وتحريض من آل سيفا .

لم تلبث هذه الزجليات المهينة لفخر الدين أن احتدمت واصطدمت بحليفاته النسوة اللواتي لم يطقنَ السكوت على إهانة أميرهنَ ومن بينهن ابنته ست النصر الشاكية الباكية آكلة الحصرم ، والتي عزّت عليها إهانة والدها، وتمنت لو ابتلعها زحام المنقسمين من موالين ومعارضين ، فتخرج من هذا الحصار الى غير رجعة ، غير أن حليفات المنبر المعني المتأهبات دائماً لمواجهة خصومهنّ، كن يتدفقنَ غيرة ومحبة فتلقفنَ مسؤولية ما أوكل إليهنَ من مهمات ، بتوليهنَ أمر الدفاع عن

سمعة وكرامة أميرهنَ وابنته ست النصر المعنية بـــالأمر، عـــبر تراشـــق الفريقين المتنازعين بالأبيات النابية،وقد استهلها السيفيون بهذه الوصلة :

" جونا الطوال يا نصلة السكين يا سلسلة مذهبة يا سيف علي الدين
جونا القصار لا شـور ولا تدبير مثل الضفـادع ينقّوا في قراني البير

* * *

فردت عليهم حليفات فخر الدين :

" عيّروني بقصرك قلت عـود التبر
والخصر خصر الغزال والعنق شامخ شبـر
قولوا لأهل الذكا ، قولوا لأهل الخبر
القلم بيجمع الدنيا ولو كان طولو فتـر"

وقد ترددت هذه الزجلية في محافل آل سيفا على مسامع حلفـــاء فخر الدين، فأذكت في قلوبهم نار الانتقام معلنـــة نـــشوب معركـــة الثأر،ورد اعتبار كرامتهم المجروحة ، ولعل التاريخ ينبعث دائماً من رماد عظمائه السالفين على منابر الحاضر، إنما بقمصان أبطاله ورواده الجدد.

الأمير فخر الدين المعني الثاني الكبير

ويلا وطبيلا

وحصل أن زار فخر الدين يوماً ابنته ست النصر ليطمئن عليها بعد وفاة زوجها حسن، وقبل انتقالها شرعاً الى حضن سلفها عمر ليصحبها معه بعد أن ترملت وأصبحت وحيدة ، لكنها رفضت عرضه وأصرت على البقاء الى جانب أولادها أسوة بالأمهات المنصفات المتنكرات لذواتهن، وبعد أن اطمأن والدها الى صحتها، وفقد الأمل بإقناعها للرحيل معه، استأذنها الدخول الى مخدع الضيوف لأخذ قسط من الراحة، وحصل أن رآه يوسف ابن حماه ممدداً على السرير ولم يتبين وجهه (على ذمته..!) فظنه أحد أولاد الجيران الذين اعتادوا النوم في كنف مؤانستهم، فاستغل الفرصة وأراد أن ينغص لقاءها بوالدها فسألها: من يكون ضيفنا العزيز؟ فأجابته باعتزاز وبشاشة: أنه والدي الأمير فخر الدين قدم للاطمئنان علينا، لكنه من فرط إعيائه، أراد أن يرتاح قليلاً قبل حلول موعد الغداء، فأجابها بسخرية وازدراء: ظننته أحد اولاد الجيران، كلّو قد الكرْز، كيف يحكم البلاد ..؟ فامتعضت ست النصر لسماعها تلك الإهانة، فكظمت غيظها ومررت الأمور بسلام تحاشيا لغضبة والدها، وقطعت على حماها فرصة استرساله بحديثه، واستأذنته الدخول الى مطبخها لإعداد طعام الغداء، بينما انسل هو من تلقاء نفسه مخليا المكان لهذا الضيف الذي لا يطيقه.

اخذ التار مش معيار

كان الحديث الذي دار بين يوسف وكنته ست النصر قد تسرب الى أذني والدها فخر الدين، فاستشاط غضباً ، وتطاير الشرر من

عينيه وقد عزت عليه كرامته، فقرر أن ينتقم لها على الفور ، لكنه بقي متمالكا نفسه، متظاهرا بالبشاشة والهدوء كيلا ينغص على ابنته فرحة لقائها به، لكنه فشل بإخفاء عصبيته حينما سألها بحدة : أين هو ابن سيفا ..؟ أين يكون الآن، ظننته عاد من رحلته ، فأجابته بقلق وحرج بالغين بعد أن تبادر الى ذهنها ما كان قد نوى عليه والدها من وعد ووعيد ، فبدت كحجر بين شاقوفَي الوالد وأبي الزوج وشرعت ببراعة رثاء ماهر ترتق مزق ستر النوايا التي كان قد أحدثها استهزاء حماها وردة فعل والدها الذي لا يسكت على ضيم، وما قد يتأتى عن ذلك من مصائب وويلات .

البادئ بالشر أظلم

لكن السيل كان قد بلغ الزبى ببلوغ فخر الدين قمة غضبه ، . فقرر الرحيل فورا قبل عودة صهره ، طالبا من سايس الخيل أن يجهز له خيله استعدادا للانطلاق ، مودعا ابنته مثلما قابلها بحرارة الوالد العطوف قائلاً لها : سلمي لي على ابن سيفا وبلغيه هذا الكلام :

" نحنا زغار وبعين الأعادي كبار
هتي خشب حور ونحنا للخشب منشار
بحق لحيبة وزمزم والنبي المختار
ما بعمرك يا دير إلا من حجر عكار

فخر الدين يطلق بورزانه ويستدعي الرجال

أيام قليلة ، وفخر الدين يستعد لقتال آل سيفا ، ويضع خطة الهجوم ويجهز رجاله وفرسانه بأوَد الحرب من خيول وسيوف وبنادق وطبنجات وقرابينات ورشمات ، الى ما هنالك من متطلبات أخرى، ولما حان أوان الانطلاق ركب خيله المطهّمة، وزحف على رأس جيش عرمرم إعلاناً لحربه مع آل سيفا وإرغام إبن حماه يوسف والد صهره رأس الأفعى السامة الذي أفسد وحرّض وخطط لهذا العداء للاعتراف بأخطائه، ووضع حد لعدائه وتكبيده الخسائر الفادحة لقاء ما كاله له من إهانات .

وصل جيش فخر الدين الى مشارف سهول عكار، وأوفد إلى ابن سيفا أحد فرسانه لإبلاغه نية الحرب ، قائلاً عن لسان قائده : أجرد خيلك للميدان، واستعد حالاً للحرب .

فوجئ ابن سيفا لدى سماعه هذا الكلام، وهرع الى دار ولده مؤنباً كتته على تصرف والدها سائلاً مهتاجاً : " ماذا دهاه..؟ هل جن أبوك ..؟ فأجابته مستلهمة حدسها العميق، وهي العليمة بشهامة وشجاعة والدها الذي لا يسكت على إهانة قائلة له: (لسانك حصانك، إن صنته صانك) .

حينها قدر ابن سيفا حجم غلطته ، وما سوف يلاقيه من خسران جراء كرهه وحسده الشديدين لنسيبه زوج أخته أمير الشوف الذي كان قدوة لكل بطل مقدام، أحب وطنه وكتب على جبينه ميثاق الولاء له.

وهكذا فإن أمير الشوف قد بر بقسمه، واقتص من أعدائه الألداء بدءاً من آل حرفوش الذين أحرق قراهم ، وصادر الكثير من

ممتلكاتهم وغلالهم في بعلبك، الى آل سيفا الذين داهمهم في عقر دارهم في طرابلس وعكار، واستولى على قصورهم وهدمها، باستثناء قصر صهره الأمير حسن ونقل حجارة القصور الى بيروت على متن المراكب والدواب، وزين بها واجهات أبنيته التي كان قد أشادها في بيروت وقصره في دير القمر مكان أقامته، وقد أصاب الشاعر مقتل حساد فخر الدين، ورد كيدهم لنحرهم عبر مقولته الحكيمة :

(لله درّ الحسد ما أعدله، بدأ بصاحبه فقتله..!) حبذا لو نقتدي بفخر الدين المعني الكبير رجل الأسطورة الذي تحققت على يديه المعجزات والذي إن قال فعل، وإن دعته الحاجة لمناكفة غرمائه قاد زمامها وانتصر.

*** الأميرة طيبة المعنية: هي جدة الأمير فخر الدين المعني الثاني التي اتصفت بجرأتها وتحديها لإبراهيم باشا أثناء اجتياحه الشوف وفتكه بأبنائه وحصاره لولدها الأمير قرقماز في قلعة شقيف تيرون الذي رفض تسليم نفسه بتشجيع منها، ومات بداخلها اختناقاً بعد أن أشعل رجال إبراهيم باشا الحطب الأخضر على بابها، وقد ذاع صيت هذه الأميرة الجريئة التي فرضت احترامها على والي البلاد ونالت عفوه ورضاه عن بلاد الشوف .**

الجد شهاب الدين مطاوع حرب
الأقرب الى الأسطورة

رأس الحكمة مخافة الله ، ورأس مال القرويين الالتزام بهذه الحكمة التي تظهر وتختصر غنى وتميز المجتمع القروي بثوابته العقائدية التقليدية الواعية ، عبر سلوك الأفراد المنضبطين اللامتطرفين، تلك البنيوية السلفية الواقية التي ينظر إليها اليوم محدّثو العصر ، بعيون عجرفتهم واشمئزازهم المتواصلين كفردة حذاء بالية، أو جثمان بلا روح يتناوب عليه دود التراب .

فجدي الذي سوف أحدثكم عنه، هو جد القرية المغمور بفرح السعادة الحقيقية ، بالرضى والتسليم والسعي المشكور، هو صراط ماضينا القويم ، ونتاج بعثه وجهده الخاليين من الغش، هو بيت القصيد مع كل ما ورثناه عنه من عبر وحكم ودروس .

ما فتئت الأيام والسنون تحفظ شيئا من الولاء لجدي، فآثار مملكته التراثية العريقة تترامى على مدى الوجدان، ودلائل محبته للأرض التي احتضنته وأطعمته من خيرها الوفير مدونة على كل درب من دروب سعيه النشيط، وعلى كل عمد من عواميد سنديااناته وصنوبراته الباسقات وعلى كل نصبة زيتون وتين وكرمة، كانت قد كبرت وشاخت على يديه.

كان فلاحاً نشيطا ذا مقدرة جسدية خارقة، تولته الطبيعة الجبلية القاسية ، فنشأ وعاش وفق خشونتها، لا يعبأ بمشقاتها، ولا يتورع عن تلبيتها ملء ساعديه القويين .

تزود جدي بالحلم والاعتدال والتقوى، وباليسير من قوت الأرض عدّة مروره الى هذه الدنيا، لم يكن يحفل بغير تلك النعمة، و لم تكن لتثنيه ملذات الحياة عن غير تلك الضرورة القصوى، فالرضى والتسليم بمفهوم جدي الحكيم ، بساط من الكفاية لا يفنى .

على تلك القاعدة الإيجابية الثابتة، برع جدي بتهذيب ميوله ونزعاته فلم يرأف بها أو ينصَعْ لنزواتها، فاستطاع بفضل ذلك أن يحقق جانبا من الثراء المشروع المتواضع، وبنى له قصراً منيفاً على ركائز إمكاناته، شقع حجارته الصوانية المتينة، وشذّب نتوءاتها وسد فجواتها بفن خبرته وذوقه المعماري السليم، ثم أحاطه بطوق من القعاقير الحجرية الرقيقة التي إذا ما اصطدمت بأحد المتسللين، انهارت على الفور وأحدثت ضجيجاً .

* والقعاقير: مفردها قعقور مكوّن من فتات الصخور المرصوفة عامودياً لا يتجاوز ارتفاعها المتر أو عدة أشبار، يقابلها هذه الأيام أجهزة الإنذار (Alarm) الغرض منها حماية وتحديد الأملاك الزراعية في البساتين والبراري للفصل مثلا بين جل زيتون وآخر أو بين نقبه تين أو كرمة تحاشياً للنسيان إضافة الى ما كان يعتمده الملاك والمزارعون لهذه الغاية من علامات طبيعية قد لا تكون فارقة، كالاستناد الى ساقية شتوية، أو تلة ترابية معرضة لاجتياح الأنهار والسيول، أو حافة مصّار أو مهوار أو حقل سليخ شهرته تغني عن التحديد، ومعروف عند أهل العلم والخبرة، وقد ورد في بعض صكوك البيع والشراء والرهونات وسندات الدين وغيرها من المعاملات العقارية، ما يؤكد صدقية وسلامة نية الفرقاء المتعاقدين المدموغتين بالثقة العمياء والسمعة الحسنة، ما يرقى

بشروط التبادل والتعامل والمنافسة التجارية الشريفة الى أحسن حالاتها، وهذه حلية من حلى الأخلاق الحميدة النادرة التي تحلّى وتغنى بها القرويون الطيّبون على مدى عهدهم الزراعي ذي الطابع الإنساني المستقيم ، في كنف القرية النموذجية (الأم الرؤوم) التي كانت وما زالت تملك القدرة والاستعداد الكافيين لحماية موقعها، وتجديد ذريتها واستيعاب اللاجئين إليها هرباً من العنف والظلم.

فالقرية الهادئة البعيدة عن ضوضاء العصر، أينما عمُرت وبعُدت وكثُر الزحف إليها، تبقى الملاذ الآمن لمعظم الناس، مهما تنوعت وتعددت مشاكلهم واحتياجاتهم .

يا أرض اشتدّي ما حدا قدّي

نام جدي ذاك الليل ملء جفنيه، وعلى سبع خرزات من ظهره بعد أن صرف قدر شمسين وملء جرتين من عرق جبينه في حراثة وتنقيب حقله، وزرعه بأنصاب التوت والزيتون والكرمة، وفي رصف حجارة مأواه البري القريب من نبع عين الدلب، وهو نبع ماء وفير يرتاده الفلاحون والصيادون ورعاة المواشي من كل صوب،للارتواء من مائه العذب، وكان هذا النبع موئلاً للطيور والحيوانات البرية الكاسرة، ضباع خنازير ثعالب، وغيرها من الأفاعي والزواحف السامة، وقد عرف جدي ذو الساعدين القويين المفتولَيْن، والبشرة القمحية السمراء، بنباهته وشجاعته المميزتين، مرصدَي المكان الذي كان يتواجد فيه، ومصدَرَي هلع ورعب المتسللين الى كرمه، وقد ذاع صيت هذا الرجل الجريء عدو الوحوش الكاسرة ، وحبيب وزّالاته العنيدة ، وتناولته أحاديث القرية

شيبها وشبانها، وبات على مر ذلك العصر ، مصدر غيرة وحسد الكثيرين من عناترة وقبضايات البلاد.

وجدي الذي تذوق سعادة الرضى والتسليم ، ذاق أيضا مرارة البؤس والشقاء أسوة بأخوته المغلوبين في هذه الدنيا ، ولحق به من جور الحكام والظلام، ما لحق بفلاحي العهد الإقطاعي عموما، حيث كان الفلاح يعمل مكرهاً في الاقطاعات لتأمين قوت عياله تحت إمرة ورحمة المرابين والمرابعين الملتزمين، (ماسحي أحذية الحكام والسلاطين) .

وكان الفلاح المغلوب على أمره، ملزماً بتأدية فروض الطاعة دون اعتراض، وبدفع ما يتوجب عليه من ضرائب وغرامات، وخاصة الميري التي كان قد فرضها السلطان سليم العثماني بداية عهده رأفة بالفلاح والتي انعكست عليه سلباً بسبب استغلال المرابعين له، وكانت بالنسبة له كالقشة التي قصمت ظهر البعير، لأن المرابع الملتزم كان أخ الوالي العزيز و لم يكن ليكتفي بنصيبه المتعارف عليه من الغلال، بل كان وبعد أن يحصل على ربع المحصول من الفلاح كما جرت العادة يماحكه ويكيل التهم إليه ويفرض عليه الخوّة التي يراها مناسبة .

وقد مثلت هذه الحقبة الدراماتيكية القاهرة ، استعباد الفلاح بأشكالها وصورها الرخيصة ، حيث استُغل فيها أبشع استغلال .

كانت غريفة مسقط رأس جدي كناية عن مزرعة معدودة البيوت سكانها يعتمدون على تربية المواشي وزراعة التوت و الزيتون الشجر المبارك الذي كان يضمن للفلاح كفاف عيشه، وكانت هذه القرية مطلع العهد الوسيط ذات طابع تقليدي ، خاضع لأنماط عيش محدودة ومنغلقة،هاجعة تحت سطوة الدين والسلاطين والنوايا الحسنة هذا السلام

الماكر الذي أحاط القرويين بهالة من الخشوع والخضوع فترة مديدة من الزمن، أحبط فيها أمل النهوض بالفلاح من بؤسه، إلى أن هبطت عليه فرمانات المساندة والشفقة عام ١٨٤٥م بهبوط مظلة شكيب أفندي وزير خارجية الدولة العثمانية، وقاهر الإقطاعيين الذي أمر بإنشاء مجلس تمثيلي يعنى بشؤون الفلاحين، ويتيح لهم فرصة النهوض بمطالبهم وتحررهم من نير الإقطاع .

وعطست الثورة الفلاحية عطستها القوية الحقّاوية بوجه الغطرسة الإقطاعية عام ١٨٥٨م على رأس زعيمها وقائدها شيخ شباب الفلاحين طانيوس شاهين، وتقزم نفوذ الحكام المتسلطين، وتنفس الناس الصعداء،وباتوا أمام القانون متساوين.

طانيوس شاهين
شيخ شباب الفلاحين

فبعد صدور التنظيمات وإطلاق البيانات والإعتراضات، أصبح رجال الإقطاع ملاّكاً عاديين ، واتخذت زراعة الأرض أشكالا جديدة عن طريق الاستثمار بعد تقسيم الأراضي الى وحدات صغيرة يؤجرها مالك الأرض للفلاح إما عن طريق المزارعة السنوية حيث كان الفلاح يحرث الأرض ويبذرها ويحصل منها سنوياً على ربع غلة الموسم، أو عن طريق المغارسة وفيها يعطي المالك عودته أو أرضه لشريكه الفلاح

فينصّبها أو يغرسها بالأشجار المختلفة، وحصيلة هذه المشاركة التي تتأخر ثمرتها عادة من خمس لعشر سنوات، يحصل الشريك بعدها على حصته البالغة ما يقارب ربع أو نصف ملكية الأرض.

وهكذا فقد استطاع جدي شهاب الدين، الرجل الجسور ذو البرج المائي السرطاني، وضع حجر الأساس لبناء "مملكته" السعيدة بفضل اتفاقية مغارسة كان قد عقدها مع أحد الملاكين، والتي حققت له جانبا من الاستقرار وهناءة العيش بتملكه لعدة فدادين من الفلاحة ،وهو القنوع المكتفي الذي اختار العيش خارج نعوش الامتيازات ودعوات الإستزلام لهذا الحاكم أو ذاك ، وبقي وجيه قناعاته وامتيازاته التي أملتها عليه الحكمة القائلة:(بعود عن الشر وغنّيلو).

يلّي ما لو ظهر بيموت قهر

كان تجار الزيت والزيتون (المكارية) يحملون محاصيلهم على ظهر الدواب، ويسيرون بها من غريفة مسافة خمسة وثلاثين كيلومترا باتجاه خان صيدا الجنوبي لبيعها أو مقايضتها على بعض المحاصيل الزراعية الساحلية من برتقال وحمضيات مختلفة، وأثناء سيرهم كانوا يروّحون عن نفوسهم من عناء الدرب والكرب بأهزوجة قروية لطيفة استأنسوا بسماعها وترديدها :(**طريق صيدا منعرفها كلا ورق ليموني، حاجي تبكي وتنوحي، بكرا برجع يا عيوني**) . الى ردات الميجانا والعتابا،التي كانت تحثهم على الحماس والمنافسة، فتأتي ثنائية (الآه والأوف) مع بحّة الناي مكللة بالحبور والتمني، هذا التراث الفني العريق بصوره وبياناته المنبعثة من

فيض النفوس القريرة الراضية ، والذي تماهى اليوم بالـــ mixer الفـــني الحديث وبموجة الـــ rap والـــ pop ميوزيك.

وقد عبرت هذه الوصلة التراثية العريقة عن قلق وتخوُف الزوجات على أرباب عيالهم من مخاطر الدرب لما كان يتخللها من أشقياء وقطـــاع طرق.

أما أثناء عودتهم عبر بلدة المطلة، فقد كانوا يمرون (بخلّة صيدا) الواقعة غربي خراج البلدة، بين مفرق المطلة وحصروت ونبـــع بيـــزون وهي استراحة معتمدة من قبل الباعة والمكارية لتبادل السلع والمنتوجـــات الزراعية المنوعة، وكان أحد باعة القرية ينادي على بـــضاعته (ســـاحلي جبلي) فاعترضه أحد الباعة الساحليين قائلا له : (لا تقل ساحلي جبلي بل ساحلي فقط) مهمدرا ككلب مسعور، لكن بائع القرية المسكين أراد أن يكسر الشر، فبسمل مطرقاً مغضاً الطرف عن تلك الـــدعوة المريبـــة واعتبرها فشة خلق لبائع يائس كسدت بضاعته ،وتابع مناداته غير آبـــه بتحرشات غريمه الموفد من قبل أحد الدساسين المأجورين لـــزرع بـــذور الفتن والخلافات المناطقية بين أبناء الجبل والساحل المتآلفين المتحابين وما أكثرهم تجار الضمائر وباعتها ، فبضاعتهم لا تعرف الكساد...! .

غير أن الساحلي أصر على استفزاز الرجل ومضايقته دون كلل أو ملل مستنفدا كل ما امتاز به البائع الجبلي من رفعة وطول أنـــاة ، وهـــو المعيل المغلوب بمسؤولية عياله ووالديه العاجزين ،والملزم بمجـــاراة كـــاره وجاره ، فوجد أن لا مفر له من مجابهة غريمه، ووضع حد لتماديه، فاستعد للدفاع عن حقوقه ، مطلقا فزّاعات تهديده ووعيده، مستنجدا بأربـــاب الشجاعة والنخوة من أبناء قريته، وبحسب المثل الشعبي اللبناني الـــدارج

(ما بيحنّ عالعود إلا قشرو) فقد خطر له أن يستجير بجدي شهاب الدين المشهود له بشجاعته ونخوته وتصديه للمعتدين، وقرر أن يصرف غريمه بالتي هي أحسن قائلا له : كف بلاك عني وامضِ في سبيلك ، وإلا جعلتك فريسة لرجل تخشاه الوحوش .

رمى غريمه بهذه العبارة ليزرع الرعب في أوصاله،فيرحل الى غير رجعة ليقينه أن منجده شهاب الدين (قدّها وقدود)، وباستطاعته الإطاحة بكل من يثيره ويتحداه، مهما قويت شوكته.

يلّي الله بيغضب عليه ، بيكبّرلو راسو وبيتعبّلو جريه

أيام قليلة، ورجل قادم من الساحل والشرر ملء عينيه قاصداً دار جدي ليتحداه، لكن صاحب الدار كان كعادته في الحقل، فاستقبلته جدتي ككل زوارها بترحابها المعتاد ، وبما أملاه عليها واجب إكرام الضيف، وكما قيل (البشاشة رشوة) فلم تبخل صاحبة الدار على ضيفها الساحلي ببشاشتها ، ولا بحسن كرمها وملاقاتها، وما كلّت أو ملّت من ترداد (الأهلا وسهلا) آنست وشرّفت، متفرّسة بعيني ضيفها ، مستقرئة ما حملته نواياه من شر مبيّت ، لكن القدر بيعمي البصر فالرجل أبى أن يطرد شيطانه ويلعن الشر، ولم يشأ الانتظار لحين عودة جدي ، بل أصر على اللحاق به الى حقله .

استعانت جدتي بالله على محنتها، وعلى ما تخبئه لها الساعات القليلة القادمة من مفاجآت (فالمكتوب ما منو مهروب) والتسليم بهذا المعتقد واجب على كل قروي مؤمن، لكن وبالرغم من إيمانها العميق بمخبآت الغيب وتسليمها للمّقدر المكتوب، فشلت بكظم غيظها وقلقها العارمين

وسرعان ما تلاشت بشاشتها وخفُتت حدة انهماكها بـــضيفها لتماديـــه بحقده المقيت، فنضّت عنها تنهيدة عميقة تلقفتها كـــوابح اســـتعداداتها اللاواعية،وهّمت مهرولة نحو مخدعها استعداداً للخروج ، ثم الى مطبخها تجمع زوّادة الغداء ، فقفّتها، فطلميات معجنها ، فـــدغايرها الطافحـــة بالزيت والزيتون، فحاكورة دارها الخلفية الغنية بالخضراوات تقطف منها باقة طازجة من النعنع والبصل الأخضر والبقدونس والفجل حاجة طبـــق المجدرة الذي كانت قد أعدته لعائلتها منذ الصباح الباكر وكمـــا قيـــل (المجدرة مسامير الركب) لهذا فقد كان الفلاحون الفقراء يقبلون على هذه الوجبة الغنية بنهم وشراهة، لاحتوائها على نسبة عالية من الفيتامينـــات، وأرادت أن تدعم استعداداتها، وتقحم في حساباتها ما يمكنه أن يـــضعف حدة الرجل وينسيه ما كان قد عزم عليه، فعرجت على جدائل البـــصل والثوم المتدلية الى حائط الأرضية، تقطف من أكوازها المغرية ما يثير نهـــم إقباله على الطعام، فيقع في أحابيل استذواقه ويأكل بـــشراهة دونمـــا أي حساب فيصاب بالنكسة الهضمية،بحيث أن "البطنة تغلب الفطنة " .

طابخ السم آكله

أغلقت جدتي الفطينة بوابة دارها بشيء من الحدة والانفعال، لتفتح بوابة الألف حكاية وحكاية،مسترسلة بخيالاتها (الدونكيـــشوتية) أثنـــاء مرافقتها الرجل الى الحقل، ولم تنسَ شاردة أو واردة من مغامرات جدي إلا وقصتها عليه، متحسسة صدى استجابته لمؤثراتها من خلال تعقيبه على الكلام : (أي وبعدين ..!؟) ولشدما اســـتفزته حكايـــات جـــدي ومغامراته المثيرة، وكيفية تصديه لوحوش الغابة الكاسرة الـــتي كانـــت

تستفرد به وتهاجمه في نزله البري أثناء تواجده في الحقل ليلاً،وحالة الهلـــع والرعب التي كانت تسببها أصوات الحيوانات المصروعة للناس، الى مـــا هنالك من غرائب وعجائب النوادر والأساطير، وقصص الجان والغـــيلان والعفاريت التي زعزعت إيمان الرجل وثقته بنفسه وبالمكان الذي يتواجد فيه، وجعلته قلقا متردداً ونادماً على ما هو عليه من تهور وتجاسر،وما جرّه إليه عناده من سوء عاقبة التقدير، لكنه خجل من الإنسحاب، وكما قيل " ما حطها على نفسه كسيرة ".

خلصو زيتاتو

تنبه جدي لقدوم الرجل عن بعد خطوات منه، بعد أن لفتته جدتي الى ذلك بنحنحتها، فما كان منه إلا أن رمى بسكته الحديدية الى الأرض و طول لدابته التي كانت تعينه على حراثة الحقل، وهب لملاقـــاة ضـــيفه بحرارته المعهودة ، لكنه لم يلقَ هذه المرة الاستجابة اللائقة التي عهـــدها من باقي ضيوفه الظرفـــــاء، وعلم على الفور أنه أمام زائر خبيث حمل شيطانه على كفيّه وقدم لقتاله، فتقدم منه بخطواته الباردة المعهودة مبادراً إياه بالسلام والكلام وبالدعوة للإستجمام في رحاب الطبيعة، وتنـــاول الغداء بين أحضان كرمه السخي .

أثناءها كانت جدتي قد افترشت جانبا مـــن الأرض بـــسفرتها الشهية الغنية بالمقبلات، بينما راح جدي (يحرّج) على ضيفه بقبـــول ممالحته، وهو الخبير بأصول الضيافة وبما للممالحة من إيجابيات، فالممالحـــة مصالحة،وكسْر سفرة الفلاح بمعية ضيفه، يعني كسر حواجز (الجبجبـــة) بين الناس ،وتوطيد العلاقات فيما بينهم.

غير أن الرجل الذي كان قد مر بسوق المساومة الرخيصة، وبيع بيعاً مهينا، فبدا ستاتيكياً باردًا كدب قطبي صقيع، فلم يرف له جفن، بل ظل مسمرا في مكانه مهمدرا حتى زأر به جدي زأرتين عرينيتين كافيتين لانسحابه أو الفتك به، ثم وثب الى أقرب جب وزال ليفرغ فيه غضبته، فنتعه نتعة قوية مقتلعاً إياه من شروشه العنيدة المتغلغلة في التراب دون أية مكابدة بقصد امتحان الرجل وترهيبه، في حين كانت محاولة هذا الأخير تقليد جدي وانتزاع جب الوزال، محاولة ببغائية واهية، حيث كانت قضبان النبتة المتينة تتزلق في كل مرة من بين أصابعه، وترديه بعد مكابدة طويلة الى الأرض منهكاً مهزوماً، ومن المعروف أن نبات الوزال عصيّ على القلع، ولهذا كانوا يستعينون عليه ببعض المعدات والأدوات الزراعية، إضافة الى المعول والرفش والبلطة والزَوْبَر، فأيقن في قرارة نفسه أنه لن يقدر على مغالبة جدي، فاستسلم لليأس وندم على قهوره وعلى خطته العشوائية الفاشلة التي كان قد وضعها بإيحاء من أبناء منطقته الغيارى المتهورين، والتي انعكست نتائجها الوخيمة عليه وردّت كيده الى نحره .

وبعد أخذ ورد بين الطرفين وطول محايدة ومعاندة، سأله جدي عما إذا كان قد ترك خبراً عند ذويه، أو بلّغ الحكومة، فأجابه بتعنت وازدراء : نعم بالتأكيد تركت خبراً وبلّغتهم بأنني قادم لأتحداك، وهذه أوراقي الثبوتية زيادة للتأكيد .

غير أن جدي تردد كثيراً قبل الشروع بمصارعته، تاركاً له فرصة الانسحاب، داعياً إياه مجدداً لطرد شيطانه، ولإقامة علاقة ودّية أو عقد مصالحة معه، غير أن الرجل البائس العنيد أبى واستكبر، ودب دبيباً الى

قبره، حينما عاجله جدي بضربة من قبضته الحديدية، وأغـــرز أصـــابعه الحادة بأمعائه مستخرجاً (كلاكيشه) على الفور، وعلـــى قـــول المثـــل البادئ بالشر أظلم..!

ملاحظة: ليس المقصود من سرد تلك الحادثـــة، إثـــارة الأحقـــاد والنعـــرات المناطقية،إنما المقصود أخذ العبرة من الماضي، لتكون التوبة عن أخطائنا وهفواتنا توبة مباركة.

* مصّار: صخر.
* شـــير: هاوية.
* الفدان: مفلح يوم كامل لثورين.
* العودة: أرض سليخ.
* النحنحة: أو النحيح أي ترداد الصوت في الجوف.
* طوّل لدابته: مدد لها الحبل.
* يحرّج: يلحّ يؤكد.
* الجبجبة: الإنكماش والتردد.
* كلاكيشه: أحشاؤه.
* الزوْبَر : المنجل .

جدي

مبـــارح نمـــت إيـــدي ... تحـــــت خـــــدي
مَدَهـــــدَكْ شـــــايفلَك ... هالـــــدني مخـــــدّي
نِمـــت حلمـــت ...جـــدي ... رِجـــــع مَعقـــــول
راجـــع مـــن الأيـــام ... عَـــــم بيقـــــول
"كيـــف الـــوخن ... وِالنـــاس كاجـــدي"
قَـــــررت : إنـــسى ... هـــالوخن .. بـــ الـــريح
إكـتب ع جـدي وقـول : ... "كـــل شـــي ملـــيح"
رحْ تِكـــذب عيـــوني ... بَـــسيطة يكـــون
جـدّي ...نظَـــرْ جـــدي ... شـــحيح شـــحيح
مَـــشْ هَـــم بكْـــتب ... قَـــد مـــا بـــدي
ومـــا لحقِـــت بلّـــش ... بـــ الكـــذب تـــا كـــانْ
قَلّـــي : "بِ راسَـــك شَـــينب ... شـــو كـــ فـــلان ؟"
تـــاري نظَـــر جـــدي ... رِجعلـــو شَـــبْ
رَخْ حَبَـــرو عـــن فـــنّ ... والإنـــــــسان
غَـــير الـــصدق ... مـــــش لازمـــــو

عِـــــدّي

بتـــذكر كَـــ جـــدي ... صـــاج ســـتي وكيـــف
تبـــرُم بـــ وجـــا ... إن احتـــرَق شـــي رغيـــف
وِتسَحـــسب الوقـــدي ... بـــ إيـــدَيك الـــسُمر
ســـتي تزيـــدا عليـــك ... أوف و إيـــــــف
تـصرُخ تقِلا مليح بيقدي ... هيكي يا جدي الناس عم بتقول

"تـــصرخ تقـــول : مْلـــيح بيقَـــدّي.."
بتـــذكر كَـــ جـــدي هالـــصخر لـــ الكـــبير
الْـــ بـــ الجـــلّ كـــان وْجَـــل كـــان زغـــير
تقلـــــي منـــــزرَع مَطرَحـــــو "مـــــبروك"
بَـــــدا مـــــروَيْ لازمـــــو تكـــــسير
ما لا ولا حَلّي غير لـ مْهَدي هيكي يا جدي الناس عم بتقول
"مـــــا لا وَلا حَلّـــــي غـــير لـــ مْهَـــدّي ..."
بْتـــذكر كَـــ جـــدي كيـــف لـــ "بـــسيني"
ع اللّـــــسن تحـــــشك بَيْنَـــــك و بِـــــيني
تقلّـــــي كانـــــا الـــــسايبي بتعـــــرِف
جـــايبي عيـــاني طُـــوف مِـــشْ هـــيني

مـن كـل هالميـلات مِسوَدّي
هيكي يا جدي الناس عم بتقول
"مـن كـل هالميلات مِسوَدّي"

حَـــسّيت جـــدي انهـــمّ دِغْـــــري وعيـــــت
بَـــــرْدان لأ عَرْقـــــان هَيْـــــك لقيـــــت
ع منخـــــــــدتي في دمعـــــتين زغـــــار
شـــــو صـــــار مـــا بعـــرف أنـــا شـــو صـــار
جـــــدي البكـــــي يَمّـــا أنـــا اللـــي بكيـــت

قصيدة للشاعر
الأستاذ إياد أبي علي

باب العبر والطرائف
الجمرة ما بتكوي غير مطرحها

من حسنات القرية، أنها ولغاية الآن لم تتأثر كلياً بتيار الإستهلاك وكسائه الحضاري الرخيص الذي اعتمدته المدن، بل حافظت على نسيجها التراثي العريق الذي ورثته وأورثته بدورها لأبنائها خلفاً عن سلف، مع ما يرافقه من هالات إنسانية شفافة تجلت في حسن معاملة الإنسان لأخيه الإنسان ضمن نطاق العاطفة المتبادلة، والمشاركة المسؤولة من خلال المناسبات الاجتماعية العامة، وخاصة المحزنة منها كحوادث الموت والإغتيال والسرقة التي تستدعي حضورا ومساندة كبيرين للمحزونين والمنكوبين وذوي الخواطر المكسورة، وتلك هي (الأجرية) التي يتسابق إليها القرويون كلما نادى المنادي وأعلن وفاة أو نكبة أحدهم، وذلك في سبيل نيل المزيد من الأجر والحسنة .

غير أن تلك المناسبات وإن تكن مؤلمة محزنة، لكنها لم تكن تخلو من لحظات الفكاهة والترويح عن النفس، والتفلت من قيد التجهم والكآبة، ومن قاموس الحركات والسكنات والتمثيليات الدرامية المصطنعة، والتي إن دلت على شيء، إنما تدل على خبرة القرويين العريقة في مسايرة الظروف والمواقف مسايرة لبقة، وهذا ما نلمسه عادة في المناسبات الرسمية المحزنة التي تستلزم انكماشاً تاماً نتفلت منه في أحرج الأوقات، فتبرره أسناننا الشامتة على الفور لدى وقوعنا على مشهد مضحك صادر عن حركة عفوية لأحد المعزين .

ولربما حملت المآتم في جوهرها قفل ومفتاح النكات، واحتفظت ضمناً بالنقاهة المتوخاة للناس المبعدين عنها، وخاصة القرويين المنغمسين

دائماً بجديتهم المفرطة على مدى انهماكهم الدائم بأعمالهم اليومية، حيث كانوا يتجاسرون على كسر أطواقهم الروتينية الخانقة، ويهجرون حقولهم ويغلقون محالهم التجارية للقيام بواجب التعزية الذي لا عذر للغياب عنه احتراماً للفقيد وآله،وللعادات والروابط الإجتماعية المتينة التي قد يزعزعها التقصير، ومعظمهم من العائلات الفقيرة المستورة التي لا غضاضة للطرف فيها عن أي تكاسل أو تلكؤ قد يهدد وفاقهم الجماعي،ولهذا فقد كانوا يؤدون ما يتوجب عليهم من واجبات في الفرح والكره ، حتى لو اضطروا الى رهن مواسمهم الزراعية أو اللجوء الى المرابين (الله يرحم أيام زمان) وما فتئت عادة المنافسة في تأدية الواجبات سارية المفعول في معظم القرى اللبنانية حتى يومنا هذا، غير أنها فقدت جوهرها الرمزي أي طابع الجود التقليدي الخالي من التباهي.

على أثر حدوث وفاة في قرية مزبود من قرى إقليم الخروب قضاء جزين غربي جبل الشوف، توافد المعزّون من قرية داريا المجاورة لتقديم التعازي بالفقيد، بعضهم جاء سيرا على الأقدام، وآخرون ممتطين رواحلهم ذوات السروج الشامية الأنيقة، ولدى وصولهم الى القرية المذكورة، وقبل دخولهم على أهل الحريبة للأخذ بالخاطر، عمدوا الى ربط دوابهم في الفسحات القريبة من خيمة المأتم ، ريثما ينتهون من واجب التعزية ، ويحل موعد الصلاة على الميت ونقله الى مثواه الأخير (رحمة الله عليه) .

وعلى جاري عادة القرى في واجب إقراء الضيف، دعي المعزون من قبل شيخ القرية لتناول طعام الغداء حسنة عن روح الميت في منزل القرية المخصص لاستقبال الضيوف والوفود المعزية .

وكانت العقلية السائدة في عهد الكبت والحرمان، واستغلال الطهر الجماعي المتمثل في الخامات الطيبة، يتجلى عادة في المواقف العاطفية الحساسة، وفي البكاء العارم على رأس الميت ،الذي يتعاضد له عامة الناس من فقراء ووجهاء، وكانوا يعضّون على جراحهم حفاظا على مواقعهم ولقمة عيشهم كل بحسب حاجته .

وإن تكن الغاية من فتح المنازل زمن الإقطاع، واستضافة الحلفاء والغرباء والوفود المهنئة والمعزية، وإكرامها من قبل المتمشيخين والمستزلمين قد اعتمدت لأهداف سياسية واضحة، وذلك بحرق المزيد من حلاوة الريق للغالبية البسيطة التي تشكل بدورها أرجل العرش الذي سيتربع عليه صاحب الغاية، تلك الحاشية التي استساغت طعم الكذب المؤنق الذي لا حيلة لصده أو تلافيه.

انخلط الحابل بالنابل

ففي قرية مزبود رجل طريف ظريف، ترك عمله في مصلحة الدهان لسبب أو لآخر، وأصبح مهووسا بالتركة التي أورثته إياها مصلحته : تنكة ماء فارغة، سطل دهان، فرشاة ، وكيسا من الكلس الأبيض ، ولما أنهكته البطالة ، وصار يومه بثلاثة ، دارها كما يقولون (ربانية) وعمد الى الترويح عن نفسه بروح رياضية، والتلويح للناس ببطالته، عن طريق افتعال المواقف المضحكة، واختص مع الأيام بتركيب المقالب التي كثيرا ما جرت عليه المشاكل والمتاعب، فقلما انعكست مخلفات البطالة على صاحبها بمثل تلك الردود الطريفة .

ولما كان الناس متلهين عن دوابهم بالهرج والمرج، والأكل والشرب استغل صاحبنا النشيط فرصة غيابهم، وانسل خلسة بين الدواب، حاملا معه عدته، وبدأ على الفور بطرشها وتمويهها، بما تبقى لديه من الكلس، فبدت شبيهة بحمار الوحش، يصعب التمييز بينها ،ولما انقضى المأتم واستعد المعزون للرحيل وعادوا لاصطحاب دوابهم، فوجئوا بالأمر وتعذر عليهم التفريق بينها، فكظموا غيظهم، وكسروا الشر احتراما وإجلالا للموقف وقرروا الأخذ بثأرهم ورد الصاع صاعين لمدبري هذه المهزلة.

وحدة بوحدة

وحصل ذات يوم أن أذيعت نعوة أحد شبان داريا على أهالي قرية مزبود، فلم يتلكأوا، بل هبوا جميعا للقيام بواجبهم، وشكلوا وفدا كبيراً وساروا الى قرية داريا للأخذ بالخاطر، وعلى جريان العادة، وبعد أن قام المعزون بواجبهم وتم دفن الميت، دُعيوا لتناول الطعام من قبل أهل الحريبة وكان أصحاب الدعوة قد تعاونوا على إعداد المقلب الطريف للمدعوين مسبقا، وعلى تحضير الوجبة الشهية المؤلفة من خواص الكلس الأبيض بعد أن جبلوه، وجعلوا منه عجينة ليّنة، وكبكبوه ودحكلوه على شاكلة اللبنة والجبنة والشنكليش ، وصنعوا من باقي العجينة أقراص الكبة، ومن محلول الكلس النقي الأبيض طبخوا اللبنية، وصفّوا على جوانب سفرتهم الكلسية ، أدوات الطرش تمهيدا لمقلبهم، ولما أقبلوا على الطعام ، فوجئوا بوليمة الكلس الممدودة على شرفهم، فتذكروا الحادثة الطريفة التي حصلت معهم، فلعنوا المسبب، وأقروا بالدين المترتب عليهم.

شوفنت معو

كان المكارية أيام سفر برلك، يقطعون المسافات الطويلة والدروب الوعرة، لجلب الحنطة من حوران الشام، الى جبل الشوف لبنان، على ظهر الجمال والحمير والبغال، وكان الشوافنة بالرغم من أمزجتهم النارية ذوي رقة ورأفة وعاطفة جياشة (برطيلهم كلمة حلوة وبَوسة خد) وتخفيفا عن رواحلهم المنهكة المثقلة بالأحمال طيلة ترحالها كانوا يقاسمونها الأعباء فيترجلون عنها بعضاً من الوقت ، ويسيرون بمحاذاتها أحياناً لحين بلوغهم المكان المقصود.

وحصل أثناء سير القافلة ومرورها بمحافظة السويداء، أن انهار أحدهم من شدة التعب والحر، فحرن في مكانه وأضرب عن السير، وبدأ بالكرفتة والمسبّات، منددا بالبهدلة والشرشحة التي هو فيها، ولكم عظمت دهشة الناظرين إليه لابتكاره الغريب والطريف الذي ابتدعه حينما أنصف ذاته ومنحها قسطاً من الراحة، حيث جعل من الخلقينة النحاسية المرفقة الى سنام جمله، هودجا أفرغ جسده فيه حتى المنكبين فبدا رأسه لطرافة المشهد وللمهزلة التي هو فيها،ملفتاً مضحكا كجب شمندر خمري ، ولما خضع لتحريات الناس واستهجانهم وتساؤلهم عن السبب الذي حمله على "هودجة " خلقينته وامتطائها بطل عجبهم، وبرروا حدة غضب الرجل الطريف لخفة دمه وظرفه وبراعته في الإبتكار .

ومن حينها، ذاعت شهرة الشوافنة اللبنانيين، ومهروا بخواتم الحدة والنكتة والطرافة.

- **الكرفتة: مسبّات تنم عن غضب صاحبها.**
- **هَوْدَجة : جعل من الخلقينة هودجاً .**

يللي حظو قليل، لا يتعب ولا يشقى

يحكى أن فلاحا كان ينكش الحقل، ففوجيء بمسمنة فخارية مطمورة في التراب، فتأمل الرجل خيراً،وظن أن الحظ حليفه، ولما فتحها وتبين محتواها، وجدها مملوءة بالبودرة البيضاء ،أي بمسحوق التبر النادر الثمين المستعمل عادة في صياغة الحلي الذهبية والفضية وباقي المجوهرات ولما لم يكن فلاحنا المسكين على جانب من العلم والخبرة ، وخاصة بمادة التبر تلك ، تقدم من المسمنة المذكورة بعصبية بالغة، ونثر محتواها على التراب، وعاد الى منزله كئيبا وآثار الحزن والخيبة بادية على محياه، ليقص على عائلته حكاية الجرّة العجيبة بوجود أحد الضيوف، ولشدما عظمت خيبته حينما عرف قيمة الكنز الذي فقده، فندم على تموره وضرب كفاً بكف، وشرع بتأنيب ذاته من حيث لم يعد ينفع التأنيب ،ثم أيقن وسلّم بعد تأمل طويل، وأذعن لمسلمات القدر ولحكمة القسمة والنصيب .

بحسب الحاج عمر بصبوص من داريا

بشّر بمصيبة ولا تبشر بخلقة بنت

قياسا لتركيبة الرجل الفيزيائية الخشنة ومقدرته على مواجهة الصعاب،كانت النظرة الى الأنثى ذات البنية اللينة، نظرة دونية مجحفة حملت في مضمونها الظلم والإشفاق، في مجتمع ذكوري تقليدي تغلغلت فيه الأفكار المتخلفة والخشوع التلقائي للسند الأقوى الذي يضمن لصاحبه الكفاف وسلامة العيش، وهذا ما عبرت عنه غيلان المخاوف المستفحلة في النفوس منذ الجاهلية، وكانت مصدراً لنكسة الإناث والتسلط عليهن وانتهاك حقوقهن، وهذا ما انطبق عموما على كل ركن

ضعيف من أركان الحياة،ليس على مستوى الإناث فحسب، إنما على مستوى البلدان والشعوب وأصحاب التطلعات والنفوس النهضوية العفيفة.

وكانت الأنثى عبر هذا التمييز المجحف، دائما على محك قواسم الظروف، ما يؤكد عجز مجتمعها عن الإحاطة بها وبحقوقها إحاطة عملية منصفة، وإيلائها الجانب المهم من الاحترام والدعم والإكرام .

ولهذا فقد عبرت ولادة الأنثى عن هذا العجز، وكانت مصدرا للهم والغم، حتى قيل في ذلك أن عتبة البيت تحزن أربعين يوما عند ولادة كل بنت .

في حين كانت ولادة الذكر تضفي على الأجواء بهجة وحبورا وشعورا واضحا بالارتياح، إضافة الى ما كانت تقابل به حوامل ومنجبات الذكور والبنات من إساءة وإكرام، وقد عبرت موروثاتنا الشعبية عن هذا التمييز خير تعبير، وشرّعت له أبواب الحانات والأسواق الرخيصة العامة، وفرضت له ضروب الطاعة والإقبال، فكيفما لذت فرارا من مواجهة جحيم الأنثى، تصدت لك استغاثتها المحقة معلنة استنكارها العنيف.

أقوال منصفة ومجحفة

" إجت توها، الله يعين أبوها"."صوت حيّة ولا صوت بنيّة". "خبر البنت مطفي"، "بيت البنات مسكّر"، " موت البنات من المسعدات". ما في بالحيّات صالحات" ،" المرا تنكة ولو صارت ملكة"، "يا مخلفة البنات، يا دايخة للمات"،"الله مبارك بالرجال" ،" ما أحلى بشارتهم، ولو ماتوا بساعتهم." "يا حاملة الصبيان، يا حاملة الصوان"."ابني حمّال دمي، وبنتي جلابة همي"، وغيرها من مظاهر التمييز العلني المجحف.

كان شاهين صورة طبق الأصل عن خلطة عصره بما احتوته مكوناتها من ليونة وقوة،وإجحاف وإنصاف، ولما كانت الأنثى مصدر هذا العجز في مجتمع استمد قواه من ضعفها، فقد سن شاهين لسانه جيدا ولوح بعصاه مطاردا إياها حيثما وجدت بتشجيع من فطاحل قومه المتخلفين، وعلى مسمع من زوجه الحامل مرددا عبارات القدح والذم والاستنكار، مبتهلا الى الله أن يبعد عنه شر هذه المصيبة قائلا: ليرزقني الله ذكرا أعوَرَ، ولا أنثى حتى لو كانت ملكة جمال..!

غير أن الله سبحانه بملكه كان سريع الاستجابة إزاء هذا الدعاء ومجيرا للضعفاء الذين لا حول ولا قوة لهم إلا به،فقد رزقه الله ذكرا أعوَر بعين واحدة ، أذاق والده مع صلابة عوده أصناف العذاب والشقاء ولطخ راية استكباره بالزندقة والعربدة والسكر والتعدي على أملاك وأعراض الناس،وعاش والده طيلة حياته ذليلا مكسور الخاطر منكس الرأس والكبرياء، وكان عبرة لأمثاله من الظلام المستكبرين الذين كرهوا خلقة الإناث.

جس نبض

قبل الشروع بطلب يد الفتاة، ومشاورة الأهل والأصدقاء والبت بإجراءات الخطبة والزواج وغيرها من التحضيرات، جرت العادة بتكليف شخص من قبل أهل العريس لجس نبض أهل الفتاة، والوقوف على رأيهم في خطيب ابنتهم المستقبلي، ومدى استجابتهم لطلبه،وكل هذا كان يتم بواسطة التلسين أو التسميع خوفا من الكَسفة أو الصدمة وكان الدليل على موافقتهم أو عدمها يتجلى بحسن استقبال الرسول المكلف بأخذ الجواب وتشجيعه وتقديم واجب الضيافة له(النعمانية) المكونة من تشكيلة

الحلوى البيتية المخصصة لهذه المناسبة، إشارة الى قبـــول طلبـــه ببـــشاشة وانشراح،وحصل ذات مرة أن كُلِّف أحدهم بهذه المهمة، وتوجه الى منزل أهل الفتاة ليأخذ الجواب، ففوجيء بوجود السهّيرة عند أهلها وأصـــيب بالحرج، لكنه عزم على إتمـــام المهمـــة والخـــروج مـــن هـــذا المـــأزق بذكاء،فاستهل كلامه ملمحاً بطلبه الى والد الفتاة إنما بطريقة غامـــضة لا تخلو من الطرافة والدعابة قائلاً: (نحنا جينا كرمال شي وهلشي مـــلايم لهلشي ولو ما هلشي مناسب لهلشي، ما كنا جينا ولا حكينا بشي..!).

فصفن والد الفتاة برهة متسائلاً عن طلسم الكلام الغامض الـــذي سمعه وأراد أن يستوضح الأمر من محدِّثه فأجابه على الفور: (من بعد مـــا حكيت كل هلشي عن هلشي، عيب عللي فهم منك شي..!) .

وانقلبت جلسة التلسين تلك الى حزّورة مرحة،فُكت رموزهـــا في نهاية السهرة،وقبل والد الفتاة قصد الرسول، وبورك للعريسين سلفاً أمام الضيوف في جو من الفرح والمرح والهرج والمرج .

زي ، وزا ، وزاك

في يوم عاصف مثلج طمست فيه معالم الطريق، وعجـــز معظـــم الناس والمكارين خاصة عن متابعة السير والوصول الى بيوتهم بـــدوابهم وأحمالهم الثقيلة،فاضطروا الى طرق أبواب البيوت القريبة للمبيت فيها حتى انفراج الطقس،طامعين بحسن استقبال الناس لهم، وبشراب ساخن ولقمة هنيئة فتفرقوا على البيوت لتخفيف الأعباء عن مضيفيهم، وقوبلوا علـــى جاري العادات بالتأهيل والترحيب،وقدم لهم الطعام المكوّن من حواضـــر البيت دون إحراج : زيت وزعتر وزيتون وخبز مشروح وإبريق شـــاي

فأكلوا وشربوا وشكروا مضيفيهم على جـــودهم وحـــسن اســـتقبالهم، وهرعوا الى فرشهم يغطون في نوم عميق.

*** الله يرحم الزمن الذي كان يُحمَل فيه الضيف على الراحات،وكأنـــه رزقة آتية من الغيب..!**

غير أن أحدهم من فرط إعيائه وجوعه وحاجته للنـــوم، التـــهم طعامه بشراهة، فحل عليه التعب وسقط الى الأرض مغمياً عليه،فهرع إليه صاحب الدار قلقاً متسائلاً:ماذا جرى لك..؟أرجو ألا يكون قد أصابك كسرٌ أو فكشٌ أو فكاكٌ..!) فرفع الرجل رأسه عن الأرض مجيباً بين جد ومزاح : (كلـــو من عشاكَ،(زي ، وزي، وزاك..!) يعني زيت وزعتر وزيتون، وغرقا بعد ذلك بنوبة من الضحك المتواصل أنـــستهما حـــرج الموقف، حيث أن الزمن الذي اتسم بالكـــد والجد،والشحـــشطة علـــى الدروب، كان كفيلا بإضفاء روح المرح والدعابة على الأجواء، وبتوفير قسط من الراحة في اللحظات المحرجة للتعساء والمتعبين، وهذا لطف كبير من السماء.

ملاحظة : كان المجتمع الفلاحي أيام زمان يتغنى بترعته الجماعيـــة الجـــوادة المتجلية بواجب إقراء الضيف،حيث كانوا يستقبلون الضيوف بالترحاب مهما كثـــر عددهم، ويحتاطون لهذا السبب بالتموّن للشتاء وباقتناء المزيد من الفرش والحرامات والمخدات، إضافة الى بشاشتهم الدائمة حتى لو تم ذلك على حـــساب وإمكانـــات العائلة المادية، فتقاليد الماضي كانت تقوم على قاعدة تـــشجيع الـــضيف،وتلفيته لا تلافيه كما يحصل تماما في أيامنا هذه، حتى الفقراء الذين لم يضمنوا رغيفهم، كـــانوا على استعداد دائم لاستقبال ضيوفهم من باب التنكر للذات والإيمان بالله الـــذي لا يتخلى عن عبيده.

---

* تلفيته: تشجيعه واستقباله.

لائحة الأسماء التراثية

إن سمات العصر وملامحه التراثية، لا تنحصر فقط في محطات وميادين الحياة القتالية فحسب، ولا بما يحلّله بعض المؤرخين فيعتبرونه صوابا مشروعا، أو لغوا فادحا لا ضرورة لتمريره، لا بل في كل ما يمت إليه من صلات وصل وقربى دموية ومعنوية، ولكم حملت لنا الأسماء برموزها ودلالاتها وذكراها المشرّفة والمخزية سمات تاريخ بأكمله، بدءً بأبناء لبنان القديم وبناته،مرورا بعهده الوسيط فالحديث،وخاصة بناته اللواتي كنّ عناوين للتضحية والبطولة.

عليشار أو ديدون : التي تولت الحكم بعد موت أبيها ملك صور منتصف القرن التاسع ق م، اتصفت بشجاعتها ووفائها وولائها الوطني من خلال ما أحرزته من بطولات وانتصارات، وبما مر عليها من محن ونكبات على أيدي أندادها وأخصامها، أولهم أخوها بيغماليون الذي قتل زوجها، وأنزلها عن عرش حكمها لمدينة صور وأجبرها على الرحيل الى شمالي أفريقيا حيث بنت فيها مدينة قرطاجة، ويارباس الملك البربري الذي رفضت الزواج منه ، فأقسم على قهرها والانتقام منها، فحاصرها وأراد أن يهدم مدينتها، فاختارت الموت على قبولها به زوجا،وأطعمت نفسها للنار وفاء وخلاصا لمدينتها التي فُك عنها الحصار فور مماتها.

جوليا ماميّا: والدة الإمبراطور اللبناني الروماني اسكندرساويريوس وجدته جوليا ميزا اللتان قامتا بأعباء المملكة وإعادتها الى سابق عظمتها وهيبتها، وأوروبا وهرمونيا زوجة قدموس رمز الأبجدية، وليبيا عمّة أوروبا وعشتروت إبنة ملك صيدون التي تولت الملك بعد موت زوجها وعملت على إدارة صيدون بالحكمة والاتزان وعززت العلوم والآداب فيها

وإيزابيل ابنة إيتوبعل ملك صيدون تزوجت من أحاب بن عُمري ملك إسرائيل، فسيطرت عليه بذكائها وجرأتها، وقامت على إدارة ملكه وجعلته يعبد الإله بعل والإلهة عشتروت، وحملته على بناء بيوت لهما في السامرة والمجدلة.

وعشتوريم : الفتاة الصيدونية المكابرة الشجاعة، مشت بقدميها أمام أهالي مدينة صيدون لترمي نفسها في النار تحفيزا لهم بعد أن رفضوا تسليم أنفسهم إلا رمادا للملك الفارسي أرتحششتا الثالث الذي احتل مدينتهم.

إيزابيلا : إبنة أمير بيروت جان ماري دي بلان أيام الصليبيين التي تولت الحكم بعد وفاة والدها، وأدارت شؤون البلاد على أحسن ما يكون.

قطر الندى : من نساء العصر الأندلسي، تسلمت الحكم عن ولدها، وكانت نعم الحاكمة والحكيمة.

زنوبيا : ملكة تدمر.

كليوباترا: ملكة مصر.

زبيدة: زوجة هارون الرشيد.

شجرة الدر: زوجة الخليفة الأيوبي نجم الدين.

بلقيس : ملكة سبأ أو اليمن جنوب جزيرة العرب.

أم قرفة الغزارية: أنثى مشاكسة من الجاهلية،هزمت زيد بن حارثة في إحدى المعارك .

ماوية: زوجة حاتم الطائي الذي ضرب المثل بكرمه، وبزوجته الشجاعة الجريئة التي طلقته لعدم امتناعه عن التبذير، في عصر حمل الكثير من المتناقضات، وتفاوتت فيه معاملة الأنثى بين قبيلة وأخرى، وكانت

العصمة بيد النساء، في حين كان الوأد عند بعض القبائل ما زال ساري المفعول، كقبيلتي: كنده، وتميم.

بهيّة : بنت أوس الطائي التي تميزت بشجاعتها وقوة شخصيتها وإجارتها، ورفضت الاقتراب من زوجها الحارث بن عوف ألمري قبل أن يقيم الصلح ما بين بني عبس وذبيان، حيث كانت المرأة ذاك العصر تجير،أي تفرض على الناس رأيها فيحترمونه ويأخذون به.

بوران : إبنة ملك كسرى التي تسلمت الملك بعد موت أبيها.

الخنساء : شاعرة العهد العباسي.

قرّة العين : شاعرة قزوينية في العهد العثماني، أعدمت مع الشهداء بتاريخ ١٨٥٠م لجرأتها وتشجيعها للنساء على نزع الحجاب.

طيبة المعنية : زوجة الأمير محمد الشهابي، ووالدة قرقماز وجدة الأمير فخر الدين المعني الكبير، اتصفت بجرأتها ومناديل الأمان التي كانت تستحصل عليها من الولاة الأتراك، وبالطاعة العمياء التي كانوا يؤدونها لها، وخاصة أثناء محاصرة أحمد باشا الجزار لولدها قرقماز في قلعة شقيف تيرون حيث سارت إليه على رأس وفد من رجال الشوف لتزجره وتهدده وترغمه للإفراج عن ولدها.

نظيرة فارس جنبلاط (١٨٩٠-١٩٥١ م) زوجة فؤاد بك جنبلاط قائمقام الشوف،(١٨٨٥-١٩٢٢) ، ووالدة المناضل الوطني التقدمي كمال بك جنبلاط (١٩١٧ - ١٩٧٧) والتي تولت قيادة الأسرة الجنبلاطية بعد وفاة زوجها، ولها من العمر تسعة وعشرون عاما، لعبت دورا بارزا في حفظ أمن الشوف إبان الثورة السورية الكبرى على الاستعمار الفرنسي وفرضت زعامتها على الأوساط بفضل ما تمتعت به من شجاعة وجرأة وقيل على لسان أحدهم " أن السيدة نظيرة جنبلاط وحدها عبقرية سيدتان من طرازها خطر ، وثلاث سيدات مصيبة" .

حبوس الارسلانية : إبنة الأمير بشير الشهابي، وزوجة عباس بن فخر الدين الإرسلاني كانت ذات شخصية قوية، تولت حكم إقطاعة الغرب سنة ١٨٣٩م وأدارت الحكم بشجاعة وحاربت البدو دفاعا عن دروز حوران وانتصرت عليهم .

نايفة جنبلاط : إبنة الشيخ بشير جنبلاط،أسست عام ١٩١٤جمعية يقظة الفتاة العربية للتخلص من الحكم التركي، وكانت صاحبة البيت الواسع حيث جعلت من دارها مأوى للفقراء والمشردين في حوادث ١٨٦٠وما زالت تسير على خطاها سيدات القصر الجنبلاطي على مدى الأحداث وتعديات الصهاينة المتواصلة بدءاً بعملية عناقيد الغضب الصهيونية، انتهاءً بالعدوان الأخير الغاشم على لبنان وقرى الجنوب أثناء حرب تموز واستقطاب الألوف من الجنوبيين النازحين في معظم قرى الشوف ودار المختارة خصوصا،حيث تفرغت سيدة القصر الجديدة السيدة نورا جنبلاط لخدمة ورعاية الجنوبيين النازحين وإمدادهم بجو من الأمن والمحبة والألفة.

حسن جهان: الشركسية الجميلة التي اشتراها الأمير بشير الكبير أبو سعدى ودفع ثمنها غاليا لأحد تجار الجواري لومان بك واتخذها زوجة له بعد وفاة زوجته الأميرة شمس، فلعبت أعين أولاده الذكور عليها،ولم يستطع ردعهم أو منعهم من التمادي والتغزل بمحاسنها، فحزن واكتأب، فطق ومات قهرا.

سعدى وسعود: ابنتا الأمير بشير الشهابي الكبير.

سعدى ابنة فارس شما ملاعب: امرأة جسور مقدام من قرية بيصور قضاء عالية إحدى قرايا جبل لبنان الغربي، ولدت من رحم المعارك والحروب، وشبت على حب الثأر والإنتقام حتى إذا ما ناداها واجب الدفاع عن كرامة الأرض والعرض كانت على أتم الاستعداد له.

نزحت سعدى مع ذويها الى حوران على أثر الحروب التي مرت بلبنان زمن الجوع والموت والجراد، واستقروا في عرمان إحدى قرى محافظة السويداء، وكانت بلاد الشام وقتذاك ترزح تحت نير صراعات الدول الكبرى، وعلى وشك الانتقال من قبضة العثمانيين الأتراك، الى قبضة الاستعمار الفرنسي.

أما ما تبقى من الأسماء التي لم يؤتَ على ذكرها، فقد عبرت بلا شك عن روح التراث،وصورته أحسن تصوير، إضافة الى ما تعلق بمظاهره ودلالاته الرمزية.

أم سامي النمّورية: من قرية بعقلين إحدى قرايا الشوف المعني،امرأة في عقدها السادس ذات شكيمة وحدة ميزتها عن سائر بنات جنسها اللينات، تفردت بالشجاعة والنخوة وحمل السلاح، ومواجهة اللصوص وتنحية الرجال ودفعهم الى القتال كنظيراتها من بطلات الحروب، ومداهمة المغاور والكهوف ليلا، لم يعرف الجبن طريقا الى قلبها، وقيل ان الله سبحانه بملكه أراد أن يخلقها ذكرا، لو لم يرجع عن قراره في الربع ساعة الأخيرة..!!

كانت أم سامي من بطلات فتنة ١٨٦٠ الطائفية الدامية التي خيمت على لبنان، وغطت سماءه بسحابات رمادية هطلت على رؤوس سكان الشوف رصاصا ودما وتلاوين قتالية، وكانت جعبة هذه الأحداث جوادة على الحكواتيين بأخبار أبطالها وقصصهم الحماسية البطولية، وما تخللها من مواجهات فردية وجماعية ألقيت فيها الأضواء على كل ذي شكيمة مميزة.

وحصل ذات مرة أن التجأ أحد اللصوص المجرمين الى إحدى المغاور الواقعة ما بين بعقلين ودير القمر،حاملا في كيسه جثة قتيل

مقطعة،وكانت أم سامي تقصد المغارة ليلا كعادتها لترابط فيها قاطعة الطريق على أخصامها،ولما تنبه الرجل الى قدومها،دب الرعب في أوصاله، ولاذ ساكنا في إحدى زواياها،لكنه أراد أن يزرع الرعب في قلبها ويبعدها عن طريقه ليتسنى له الهرب مجددا، فقذفها بذراع الجثة المقطوع،فتلقفتها أم سامي برباطة جأش نمّورية، صائحة بالرجل مزمجرة: "إن كنت أنسا أو جنا،أخرج إلي حالا، فلا يمكنك التملص مني". فاستسلم الرجل لشجاعتها، وخرج من مخبئه شائب الرأس.

ألف باء الأسماء التراثية

أسماء ذات سمات ومواقع زمنية لها قيمتها واعتبارها المعنوي عند أرباب الشأن، وعند كل من احتك فيها أو تواصل معها، أو انشأ لها قاعدة استمرار، فلا يستصغرن أحد منكم موقعا أو إسما أو مشهدا من المشاهد تغلغلت فيه نسائم الحركة والحياة .

أ – ب : أمّون ، أستير، أكابر ، ألماز ، أم السعود ، أزنيف ، إقبال اعتدال، بَرْدَة ، بدور، باديون ، بركان ، بدر ، بيهم بميج ، أسمى ، بدّورة، بديعة.

ت – ث : فوز، فاهمة ، فريدة ، فايقة ، فتنة ، تاج ، توفيقه

ج – ح – خ : جندلة ، جميلة ، حسن ، جيهان، حربا ، خزمة حسون ، حبوس ، حسنة ، خولا ، خاتون ، حيوه خشفة ، خزوع حجلة، حيدر ، خاصكية.

د – ذ – ر: دهروقة ، دهرقان ، دهريه ، دلول ،رداح ، ذوابة ذابلة ، درّة ، دهشة ، دلا ، رحمة.

ز- س - ش : زهوا ، زكية ، زهر ، زاد الخير، سنية ، سعود سعد، ست الإحسان ، ست بيت ، ست أم ولاد ، سعيفان ، شيري شاهين ، شريفة ، سنجد ، شمس شملكان ، سنجق ، زيدان ، شهلا زنوبيا ، زهر البان ، زمرد ، شيبوب ، رماح ، شهبا ، زلفا ، زين.

ص - ض - ط : طيفور، تيمور، زهر البان ، صفكاز ، صهبا

ظ - ع - غ : ظريفة ، غبينة ، غبية ، عدل ، غظية ، غالي عواطف ، عطوف ـ عادلة ، عتر شان ، عاد .

ف - ق - ك : فهيمة ، فريدة ، فوزية ، قطر ، قرنفلة ، كبارية فاخرة ، فلة ، قنوع ، قيسون ، كلفدان.

ل - م - ن : نعايم ، نايفة ، نميا ، نجيبة ، نجلا ، نقية ، نسيبة

هـ - و - لا - ي : يزدة ، نور الصباح، ياسمين، مومنة ،ياقوت .

أفراح القرية

من البديهي أن يلقى الزواج المبكر رواجاً وإقبالاً كافيين عند القرويين، في زمن صانته العهود والمواثيق، واعتلت من خلاله كلمة الشرف صهوة القيم التي قلما كبت بصاحبها، أو تنكرت له عند مفترق خيار، وهو توليف ظرفي رصين ساير حرص القرية، واتسم بجدتها وانضباطها الجليين .

فلا كلام ولا سلام، أو غرام وانتقام، أو شروع بتجربة عاطفية بين شاب وفتاة قد تسوّل لهما نفساهما على كسر طوق التعقل والاصطبار، فالتطرف البسيط الذي كان يحصل من بعيد لبعيد، بتبادل النظرات والبسمات، كانت تتيحه فقط دروب العين وتعبئة الجرار .

تزوجوا على جهلكم وربوا ولادكم على جهلكم

لما بلغ محمود الثامنة عشرة من عمره، قرر والده تزويجه من إحدى فتيات القرية الجميلات التي تصغره بسنتين تقريباً، قبل دخوله في مرحلة الجهل والمراهقة، وخوضه غمار الطيش ومعاكسة البنات أو التحدث الى إحداهن على انفراد، وهنا تقع الكارثة، (وهدّي إنكان فيك تمدّي) أمام حكي الناس والنسوان، وأمام بمارات أولاد الحرام الذين كانوا وما زالوا يرشونها على الخبرية لدعم نكهتها، ولإثارة التشويق والتعليق وسماع المزيد من الحكايا..! فرادار القرية المتمثل بعجائزها الشمطاوات المتخصصات بشمشمة روائح الأخبار والأسرار وصيدها عن بعد أميال بأنوفهن المدربة كان وما زال على أهبة الاستعداد لرصد حركات الناس وزلاتها وتسليط ألسنتهن عليها، وإشاعتها تفصيلياً في سائر الأماكن والقرى بغض النظر عن حجم الخطأ المرتكب والفضيحة التي قد تقع من جرائها الخصومات بين الأهلين وتتطور أحياناً لتبلغ ميدان الأخذ بالثأر والإنتقام الجماعي لسمعة العائلة .

كان محمود (يا ولداه) بكر أبويه اللذين أنجباه على فحطة بعد تأخر دام سنة كاملة من تاريخ زواجهما،وهي فترة زمنية طويلة قياساً لضرورة سرعة الإنجاب في الماضي، والتي تتنافى اليوم مع إمكانية تطبيقها، نظرا لما يتطلبه الإنجاب من تحضيرات مالية يعجز من خلالها عرسان الحاضر الجدد عن تأمينها، ويعمدون الى تأخير الإنجاب سنوات وسنوات ريثما يستعدون لاستقبال أول مولود وتربيته تربية كريمة وعلى مستوى عظيم من الجاه والفخفخة، وتأمين أقساط تعليمه حتى تخرجه من الجامعة.

وتعتبر هذه السنة البخيلة على الأم الفلاحة في المصطلحات الزراعية، سنة محل وقحط ،تشبيهاً وتلويحاً لمعطيات الأرض الكريمة التي

قلما أمحلت أو بخلت بعطائها على الزارع، ولإيمانهم بأن الرزق ينمو ويتكاثر بتكاثر المواليد،ولهذا ترى الفلاح يفرح ويهلل ويستبشر بثمرة زرعه وبكثرة الأولاد التي سوف يأتون عليه بنفعهم الكبير ويعينونه على كافة أعماله وأعبائه الحياتية في معظم الظروف، انطلاقاً من توأمي الخصب المنتجَين، الأرض والزوجة الولود.

درجت العادة على تزويج الأولاد تراتبياً بدءاً بأوائل العناقيد والعنقودات ، وانتهاءً بأواخرها ، ولا حاجة لتأخير زواج محمود طالما أن استعداداته متوفرة، ومشروع بناء العلية التي سوف تؤويه وعياله قد شارفت على النهاية، وزواج الماضي المبني على قاعدة التكاثر، لم تكن خاضعة بعد لشروط الحاضر المادية التعجيزية التي تُنحر لها الإمكانات من منقول وغير منقول، فتتسم بطابع الإنفاق العشوائي استرضاءً للمظهر.

فلا مشكلة تحول إذاً دون إتمام زواج مبني على القناعة والتفاهم سيحمل بلا شك فرحاً عامراً للقرية،أو مشروع سقف يشارك في نقل عواميده ورصف حجارته كبير القرية وصغيرها طوعا لا جبرا، ودَيناً يتبادلونه في مناسباتهم العامة والخاصة،حتى بعد أن تطور البناء واستبدل الطين بالباطون المسلح،كانت روافد الرضى والقبول على أفضل حالاتها،ولا عقبة في طريق زواج مبني على الوفاق والتفاهم، وعلى حس المشاركة بين الأزواج والصبر على الفاقة.

لم تكن مشكلة السكن ماضيا تحول دون إتمام مشروع الزواج، أو تفادي مشاكل الغيرة بين الكنّه وحماتها،فقد كانت الزوجة تكتفي بغرفة واحدة فيها تسكن وتنجب وتربي وتنام مع زوجها وأولادها (راس وكعب) وتقول: (الله يدمم السترة) وتغدو الى الحقل باكراً لمساعدة

زوجها،وتطبخ وتنفخ وتطعم البهائم، وتقوم بالواجبات والأعباء المختلفة وعلى قلبها مثل السكر، هذا إذا كانت كما يقولون : رْخَيْصَة وكوَيْسَة وبنت ناس، ومرباية في مترل متواضع، ومتدرجة بفضل عناية والدتها على الفضائل وحسن مسايرة الظروف الصعبة مسايرة لائقة لتظفر بهناءة العيش، ولتنفذ من جحيم الخصام الزوجي الذي ينغص عيش الأزواج عادة، ويقضي على كوابحهم الأخلاقية،ليستقروا على أثرها في هوة الفراق، إضافة الى ما يسببه حصرم الفراق والطلاق من تأثيرات سلبية على الأولاد، وخاصة في مرحلة انفصال الأبوين، وشعور الأولاد بالنقص والحنان، وعدم قدرتهم على التركيز والتفوق في شتى الميادين الحياتية.

بَرَسو الجنّة وما لاقوا للحما كنّه

فرح كبير في طريقه الى العائلة، والهمك أكبر يشغل أم محمود عن واجباتها المترلية ،فهي على وشك إيجاد عروس لولدها تكون حلوة ومرباية وبنت ناس تعجب خاطرها وتشوف حالها فيها بين الناس، وما أكثرهن أسيرات البيوت المحافظات اللواتي ينتظرن قدوم الفرج مع إطلالة العريس في زمن حرمت فيه الأنثى من إبداء رأيها ، وإتمام تعلمها، وخصصت فقط لخدمة سيدها وللطبخ والنفخ وإنجاب الأطفال وتربيتها.

كلّو بالنصيب، إلا الجازة بالتسبيب

أيام قليلة ووالدة العريس تتأهب لزيارة أهل الفتاة التي اهتدت إليها عن طريق (أم لحاف) سمسارة العرايس، مصطحبة معها عدّة الفحص المتعارف عليها: جوزة يابسة لاختبار متانة أسنان الفتاة من خلال العض

عليها، وخيط وإبرة للتأكد من قوة تركيزها وصحة نظرها وغيرها من الفحوص والإختبارات التي سوف تخضع لها من قبل أم العريس للتأكد من اتزانها وتوازنها، ورائحة شعرها وفمها وإبطها، واستنطاقها للتأكد من صحة نطقها، الى ما هنالك من اختبارات جانبية تخضع لها أم العروس بلا شك للوقوف على كيفية تربيتها لبنيّاتها، وتأهيلهن ليصبحن ربات بيوت وزوجات مطيعات لأزواجهن من الدرجة الأولى حيث قيل في ذلك: (طلّع على الأم ولمّ) .

ولما لم تجد أم محمود في الفتاة أية (أنّة) أو توك يدينها، بان على محياها الرضى،فحطّت عينها عليها، وهمست في أذن دليلتها أم لحاف قائلة:(البنت ملايمة ما بتشكي من شي..!) تأكيداً على موافقتها وعادت الى مترلها قانعة راضية مودعة أهل الفتاة على أمل اللقاء بهم مرة ثانية، وفي جعبتها أطروحة البحث الميداني الذي أنجزته ونجحت فيه بعد تدقيق وتمحيص بالغين في أصل الفتاة وفصلها،وحسبها ونسبها وأعمامها وعمّاتها، وأخوالها وخالاتها، الخ..الخ.

وفي ركن آخر من أركان القلق والحيرة، والفرح الغامض الذي تسلل الى مشاعر محمود، الولد البكر الذي زُجَ باكرا في مثل تلك التجربة، وعلى مقربة من حوض الزرّيعة الملأى بالورود والزنابق الفواحة جلس الشاب القلق وفي يده وردة بيضاء كبياض سجيته اقتطفها للتو عن أمها،وشرع بتعريتها ورقة ورقة، متسائلا بين الحين والحين عن شكل الفتاة التي اختيرت له دون أن يلمحها مردداً بين الواحدة والأخرى:(بشعة..؟ حلوة..؟ بشعة..؟ حلوة) الى أن أتى على آخر ها فاستبشر برونقها، وأيقن أن السعد حليفه.

لكن أمله بإلقاء نظرة على عروسه قبل الخطبة وكتب الكتاب لم يكن ليتلاشى نهائياً من أفق أحلامه، فقد يستدل عليها ويراها من بعيد لبعيد وهي في طريقها الى العين لتعبئة الجرّة، وهم على كل حال سوف يجمعونه بها عاجلا أم آجلا لأخذ موافقتها(رفع عتب) وإن يكن من خلف الستارة التي تفصله عنها، وعن طريق العمود شريك سقفه الزوجي الأبدي الذي سوف يوجه له السؤال ويجيبه للحال عن كل تساؤلاته نيابة عنها ، لكن بالتسميع والتلميح على مبدأ (بحاكيكي يا كنّة، تتسمعي يا جارة) مخاطبا إياه على مسمعها:(يا عمود يا عمود سبحان المعبود، بدي فلانة تجاوبني..جاوب يا عمود..!) وهذا تقليد زراعي عريق غني بالمجازات والرموز واللوحات التراثية التي تنم عن مدى ارتباط الإنسان بالأرض وعن إحاطتها له إحاطة كريمة، وقد اعتمد كمبدأ للإيحاء والتلسين أثناء الطلبة ،إنما بأشكال ورموز مختلفة تحاشيا للوقوع في الإحراج، وتعزيزا لعامل الحياء بين الذكر والأنثى وهذا احتياط جانبي متطرف جسد قلق القرية، وبرر تزمتها وتخلفها في بيئة زراعية ضيقة الآفاق رأس مالها الأخلاق والسيرة الحسنة التي حرص من خلالها الناس على حسن سلوكهم وسلامة علاقاتهم الإجتماعية، ما يجعلنا نلقي الضوء على عيوب الحاضر، والوقوف على مدى خطورته واستجابته لدعوات التحرر والتفلت من قيد الرصانة الأخلاقية، من خلال التبدل العصري الواضح الذي طرأ على عادات الناس وتقاليدها وقلب موازينها رأسا على عقب .

الزائد أخو الناقص

فعلى مستوى العلاقات المتبادلة بين الناس في ميادين الحياة المختلطة بدءاً بالجامعيين والجامعيات من خريجي وخريجات البيوت المتمدنة، انتهاءً بالمحالات الضيقة،فإنهم يتبادلون اللقاءات ويقيمون العلاقات الودية الحميمة علناً وخارج أسوار الاحتياطات اللازمة، وجلسات التوعية التي كانت تقف حائلا دون تطرفهم وتماديهم الخطير في التجربة التي يمكن أن تؤدي بلا شك لانزلاقهم التلقائي في الخطأ.

فعريس الماضي لم يكن ليحظى باجتماع شكلي مع عروسه، قبل اجتماع العائلة من كبيرها لصغيرها للتشاور فيما بينهم، والتنقيس أو التحري الوافي عن مجاويزهم قبل البت بأمر الخطبة والزواج،وجس نبض أهل الفتاة من بعيد لبعيد بالتلميح والتلسين خوفا من البخسة.

حيث وبعد الإنتهاء من كل تلك الإنجازات،كانوا يشكلون وفدا من وجوه الأقارب على رأس كبيرهم الخبير بالواجبات والمجاملات ويتوجهون ليلا لطلب يد العروس عالسكت بدون دق ورقص وطقش وفقش، للإتفاق على إجراءات الزواج والمهر من مؤجل ومقدم في جو من الفرح والمرح والتبريكات وتلاوة الآيات القرآنية، بتشجيع من أهل الفتاة وتقديم حلوى (النَعَم) أي نيّة الموافقة، والمكونة من استعدادات ربات البيوت الجوادة: قلويات مشكلة، زلابية وعوامة كعك بدبس جوز ولوز وفاكهة مجففة ومعاقيد على أنواعها.

كل تلك الإجراءات كانت تتم سابقا في علية وجيه العائلة،أما اليوم فقد تلاشت واقتصرت على عدد ضئيل من الأهل والأقارب وصاحب العلاقة نظرا لضيق الوقت واليد، ومواكبة لعصر السرعة.

بدّك تجوّز بنتك ، غلّي مهرها

توارثت المجتمعات عادة بيع الإناث عن الشعوب المتخلّفة، وظلت سارية المفعول مع تغير حضاري شكلي طفيف لا ينفي مضمونها، أو يلطف من سطوة الإجحاف الملحقة بالأنثى التي مهما علا شأنها وكثر مناصروها، مآلها الحصار الاستهلاكي المؤبد والرضوخ لمقررات ولاتها، كالمدينة المقدسة التي دكت أسوارها، وانتهكت حرمة حقوقها تحت غطاء العاطفة الكاذبة والمساومة المشروعة.

وبعد موافقة العائلتين على تفاصيل الزواج من كتب كتاب ومقدم ومؤخر في سهرة التتميم والخطبة استلم والد العروس النقد المتفق عليه من أهل العريس، قرش ينطح قرش لقاء موافقته وتنازله عن ابنته، وغاصت الأجواء بالهرج والمرج والتبريكات والدعاء للعروسين بالتوفيق،وانصرفوا جميعا على أمل الاستعداد للفرحة الكبرى، وما تتطلبه من تجهيزات مادية كبيرة كبيع الغلال وشراء الثياب والأقمشة وتغيير الأثاث والمقايضة على الخواريف والسواعير وتعليفها قبل نحرها استعدادا لوليمة العرس والتعسيف، وتأهيل العلية المعدة لاستقبال العروسين وذلك بطرشها وفرشها بالسجاد والطراريح والمساند المحشوة بالقش،قبل نقل أغراض العروس إليها.

كانت أعباء العرس وتكاليفه تقوم على مبدأ الإحساس بالمشاركة (الدنيا قرضة ووفاء) وهو قانون محلي لطيف مستمد من إمكانات المجتمع الزراعي الذي فرضته الحاجة، فاحتكم إليه الجميع طوعا لا استسلاماً وتلافيا لعدم الوقوع بالدين والفائدة، كانوا يتفقون على تقديم المعونة للعريس وتنقيطه بكل ما يلزمه من أشياء ولوازم ضرورية قبل العرس لا

بعده من أثاث وثياب ولحم وسمن وأرز وشاي وسكر وبن وكل ما يمكن أن يرهق كاهله الزوجي.

فالعاملون على إحياء هذا التراث العريق بما فيه من عادات وآراء سديدة، عادوا لإحيائه اليوم إنما بصور وطرق عصرية جديدة وتنقيط العريس على الطريقة القديمة ، يقابلها اليوم لائحة الزواج أي الـ List de marriage.

البعد جفا

بقي نموذج الترابط العائلي من خلال السكن المشترك والمجاورة الطبيعية قائما حتى سنوات خلت، وقد بدأت معالمه بالتلاشي على أثر حدوث الانفجار السكاني المتزايد، وطغيان البناء الحديث على الطبيعة بما فيها من ماء وخضرة، وهدم البيوت التراثية القديمة والغرف المبنية أفقيا جنبا الى جنب (كالشاليهات) في أيامنا هذه،ذات المطابخ والمنافع الصحية والدور الواسعة المشتركة المحاطة بأحواض الزريعة وبحرات الماء في المصطلح الشامي، أي برك الماء ونوافيرها، والمصطبات والسطحيات المغطاة بالبسط الصوفية والسجاد والطراريح والأرائك وأجران الكبة وجلسات تحميص القهوة المرّة والترنم على دقة المهباج وعبقة رائحة البن المحمص والهال، ورائحتهما المنعشة، والكوانين النحاسية وجمرها الوهاج،وغيرها من ملطفات الأجواء ومنكّهاتها التي كانت تضفي على الدنيا جواً من الإحساس بالسعادة الرضى.

كانت روح الألفة وحب المشاركة بين الأخوة وزوجاتهم وأولادهم على خير ما يرام، قبل انتقالهم الى الشقق السكنية الضيقة، ورصفهم فوق

بعضهم البعض كأعواد الكبريت، فالروح الرياضية التي كانوا يتمتعون بها قبل حلول العصر التقني كانت تعززها لقاءات الأهل والأخوة واجتماعاتهم المتاحة والمتواصلة في فسحات دور البيوت وعلى سطحيات العلالي صبحاً ومساءً، وأثناء تناولهم طعام الفطور والغداء والعشاء سوياً والتي تلاشت مع الأيام بفضل البعد والجفاء واختصار الزيارات ومبالغة النساء في التنظيف والسرسبة.

روزنامة العرس بحسب التقويم الزراعي الإسلامي:

الاثنين : حفلة جلب أغراض العروس، وسهرة الحمام والحنّة.

الثلاثاء : سهرة الخبز، والكبة النية.

الأربعاء: غداء العروس.

الخميس: سهرة الإناث، وسهرة الذكور.

الجمعة : حفلة عقد القران والعرس.

وعند النصارى تبدأ بنهار الاثنين ، وتنتهي بسهرة العرس والإكليل يومي السبت والأحد.

الدعوة الى العرس

كانت الأعراس قديما مبعثا للفرح والبهجة في ظل التواصل والتعاون المتبادلين بين الناس وغياب أسباب اللهو والتقصير التي تقلصت على أثرها العلاقات العامة، وحكم عليها بالإهمال.

فاحتفالات الزواج قديما كانت تستهل بسهرات أولى أيام الأسابيع بدءً بنهار الاثنين حتى الأحد، وتستمر ليلا نهارا لتتجاوز الأسبوعين وأكثر بحسب يسر العريس وعسره، فالأعراس عند الأثرياء وأصحاب الرتب والألقاب من مشايخ وأمراء ومقدمين، كانت تبلغ الشهر وأكثر تقام من خلالها الحفلات والسهرات بالحداء والغناء والحوربة والولائم المكلفة التي كانت توزع بقاياها على الفقراء، أما الطبقة الوسطى فكانت أعراسها تتراوح ما بين الأسبوع أو عشرة أيام، فيما الفقراء الذين لا قدرة لهم على البعزقة أو المصاريف الكبيرة، فكانت أعراسهم تحدد بحسب مكانة ومعزة أهل العريس عند أهالي ووجهاء منطقتهم حيث من خلالها يهمَل العريس أو يكرَّم، ويحظى بخلعة الرضى وبالنقوط المبجح، ويقام له الفرح الملائم سيما إذا كان انتقاء العروس قد تم بمشورتهم، وعليه فقد نالت عائلة أم محمود شرف هذا الرضى، ونزل هم العرس عن كتفها.

عبق أريج الفرحة الكبرى في القرية بطواف الشباب على بيوتها بيتا بيتا لدعوة الناس الى العرس، وسرعان ما غصت دار العريس بالمهنئين وبالمدعوين الذين قدموا لتناول طعام الغداء، ويكون عادة زَفَر بزَفَر، وعلا صوت الزغاريد والغناء والرقص على نقفة طبلة أم محمود التي تصدرت وفد العرسية وهم في طريقهم لجلب أغراض العروس من دار أهلها

وعرضها على الناس فور عودتهم قبل رصفها وصمدها في الصناديق وعلى الرفوف حيث كانت العروس تتباهى بجهازها الخاص وبمطرزاتها اليدوية الثمينة التي شملت المخدات والشراشف ومناديل الحرير والبقج والستائر.

* البعْزَقَة : الإفراط في صرف المال .

جَلوَة العروس وسهرة الحمام والحنّة

وجلوَة العروس أو جلائها عن دار أهلها، إحساس غريب متناقض تمتزج فيه الدمعة بالبسمة، ولحظات الفراق باللقاء، إنما بسنن التبادل المفرح "خوذ بنتي واعطني بنتك" وطلعة العروس من بيت أهلها كان يلزمها استعدادات جمة ويتخللها طقوس احتفالية متتالية طيلة أيام الفرح والتي كانت تفتتح عادة بسهرات الاستحمام والتحنية، وفيها تُعزم العروس الى أحد بيوت أقاربها لتحميمها وتجميلها وتزيينها بالحنة بعد دعكها وعجنها ولصقها بطريقة فنية جميلة على يدي العروس وأطراف أصابعها،ثم يقومون بتوزيع صرر منها مداورة على الناس لتزيين وجوههم وأياديهم، ويرسلون قسما منها الى العريس ويطوفون بما تبقى منها على صوانٍ ذات شموع مضاءة حول العروس تيمناً وتبركاً برمزيتها وعظمة تفانيها وذوبانها من أجل إشاعة النور، وكأنهم يلوحون لعروسهم بوجوب الإقتداء بالشمعة امتثالا وتماهياً في محيطها الأسري الجديد أينما حلت.

زلغوطة للعروس في جلوتها من إحدى قريباتها.

****

ايها يا عروس يا بنت عمـــي اللزم يـا بنـت عـالي الشـــان

انزلي وتدرجي عن حفة الليوان لـزيـــن تقـــلـك مـــــال

لـزيـــن تـقـــــلك ذهـــب لطالعك يا قمر تضوي عالبلدان.

لـو لـو لـيش.

****

عروس بالجلي والحسن حاويكي اليوم بيحقللي افرح وهنيكي

بحق مين خالق الحسن فيكـي ردّي عليّ السلام الله يخليكي.

لـو لـو ليـــش.

حمام العريس

يبدأ عادة صباح يوم العرس، أي نهار الجمعة في الوسط الإسلامي حيث فيه يدعى العريس الى أحد بيوت جيرانه أو أقاربه للاحتفال بحفلـــة حمامه وتناول طعام الفطور، يرافقه وفد كبير من شباب جيلـــه بعراضـــة يتخللها إطلاق الرصاص والحداء والحوربة،ويدخلون معـــه الى الحمـــام تكريما له،ويشرفون على حمامه فيقصون شعره ويهذبون شواربه وشـــعر ذقنه ويقلمون أظافره،ويحنونه من حناء العروس تفاؤلا وتبركا بقـــدومها ويخضعونه للتفريك والتدليك، ثم يلبسونه ثياب عرسه قطعة قطعة بعـــد

الحمام على نظافة،ويرشونه بالعطر مع استمرار الرقص والحداء ثم يرفعونه على مناكبهم ويسيرون به جيئة وذهابا بالغناء والزلاغيط :

وين أزفّك وين يا عريس الزين　　بالقدس الشريفة وباب الحرمين

وين أزفّك وين يا حبيب أمك　　إنشاء لله بتتهنا والسعد يلمّك

وين أزفك وين يا حبيب ابوك　　انشاءلله بتتهنا ويا ألفين مبروك.

لـو لـو ليـش.

وبعد الإنتهاء من وصلة الغناء والزلاغيط تلك، تكون النساء قد أعدت طعام الفطور، وعجنت وخبزت مسبقا في طقس احتفالي خاص يدعى له الأهل والجيران أيضا لعجن الطحين وتقريصه وخبزه على الصاجات في صحون الدور وفسحاتها، حيث كانت تبدأ حفلة الخبز تلك بالغناء والرقص والدق والرق وخبز المرقوق والطلامي وفطاير الكشك والزعتر،وتوزيعها على الحاضرين في جو من الفرح والبهجة.

وفور انتهائهم من حفلة الاستحمام تلك، والاستمتاع بتناول الأطعمة الشهية والأشربة،يقفلون عائدين بالعريس الى داره بمثل ما جاؤوا به، أي بذات الطّنة والرنة التي كانت تبدأ عادة (بالآويها وتنتهي باللولوليش) .

سهرة العروس

تصادف عادة ليلة الجمعة عند المسلمين كافة، وهي سهرة خاصة بالإناث فقط لا دخل للذكور فيها، حيث تُصمد العروس على كنبة مزينة بمعاسيف النخيل والزهور والقطن،وتتوافد النساء والفتيات الى السهرة بأبهى حللهن، ويبدأن بالغناء والرقص بمعزل عن عيون الذكور وتنزل العروس بدورها الى الحلبة لمشاركتهن الرقص والغناء فيرشقنها بالعطور والملبس والأرز، ثم تقوم بتبديل فساتينها الجديدة بين الحين والحين بمساعدة إحدى الصبايا التي تفرغت خصيصا لهذه المهمة،في حين تقوم فيه النساء بدعك الكبة النية وتوزيعها على المدعوات الى جانب الخبز المشروح والخضرة المنوعة.

يقابلها سهرة العريس المخصصة أيضا للذكور فقط بمعزل عن الإناث، وكانت تقام في دار العريس حيث يدعى إليها الشبان والكهول والصبية والرجال متوسطو الأعمار، حيث كان فصل الذكور عن الإناث واجبا من باب الإحتياط قبل حلول عصر الاختلاط ألـ (unisex) على العادات والتقاليد القروية،وكان الاحتفال بهذه المناسبة يدوم بدوام همة الشباب الدبيكة ودقاق المجوز وقوال المعنى وجولات الحداء والحوربة والهوبرة، والتي كانت تستمر أحيانا حتى صياح الديك.

حفلة العرس

ويظهر فيها أبو محمود والد العريس متأبطا ذراع أحدهم ومنهمكا بتشكيل وفد من خيرة الرجال والشيوخ الـذين سـوف يرافقونـه الى مشارف القرية لاستقبال أعيان البلاد وبكواتها، فيما تفرغت أم العـريس لاستقبال ضيوفها المهنئين وتلقي النقوط والهدايا والإشراف على دسوت الهريسة واليخاني والأرز المفلفل وكبكبة الكبة وقليها وفصفـصة لحـم الخواريف ورصفها في الصواني وقلقلة الصنوبر الى مـا هنالـك مـن استعدادات إضافية تليق باستقبال ضيوفها المميزين الذين جبروا بخاطرهـا ولبوا دعوتها لحضور حفلة العرس وتناول طعام الغداء زيادة في إكرامها.

وسرعان ما احتدمت الأجواء بالحداء والغناء والرقص وإطـلاق الرصاص، وغمر دخان البارود سماء القرية إيذانا بتشريف الضيوف الذين بادروا فور وصولهم بتهنئة العرسية، وتنقيط العـريس وإلباسـه خلعـة الوجاهة، وتنهدت إثرها أم محمود تنهيدة الرضا، وغمرتهم بزخّـة مـن زغاريدها الحميمة، والدعاء لهم بطول العمر، ثم دعتهم لافتتاح وليمـة العرس الممدودة على شرفهم، فسموا بالله وكسروا السفرة حيث تهافتت أيدي الرجال بعدها على الأكل بشراهة،وغاصوا بالدسم حتى شـواربهم وعلى قول المثل: (ناس بتاكل لحم، وناس بتلحس الصحن)، ثم أفـسحوا في المجال للنساء بعد أن شبعوا وتحشأوا وفرغوا من شرب الشاي والقهوة المرّة، وكان المجتمع الفلاحي من خلال تلك المناسبات المفرحة يحظـى بمصافحة الأعيان والزعماء ولثم أذيال رضاهم ومساندتهم.

لحظة جلب العروس

حان موعد جلب العروس من دار أهلها، فاجتمع الرجال والنساء والشبان على رأس كبير مشايخهم، بعد أن ودعوا ضيوفهم بمثل ما استقبلوهم به، وانطلقوا بموكب ضخم نظم فيه سير الرجال بدءاً بكبيرهم حتى صغيرهم، يتقدمهم العريس ووالده، وفرس مطهمة لحمل العروس ذات جلال شامي أنيق مزين بالحصوص الزرقاء لرد صيبة العين وكيد الحساد، وبالصفد البحري والأجراس النحاسية، يقابلها هذه الأيام سيارة الكشف الأنيقة المزينة بالورود والأشرطة الملونة، في حين استلم رئيس الدبيكة بخفته ورشاقته إدارة الفرقة، الى جانب دقاق الطبل والمجوز والناي والدربكة، واشتعلت ساحة القرية لدى وصولهم بالهتافات والحداء والغناء والرقص والدبكة والهوبرة الشوفانية المميزة وأغاني الميجانا والعتابا والغزيّل والدلعونا، في حين كان أقرباء العروس قد تمركزوا على سطحيات البيوت وشرفاتها المطلة على مدخل القرية لمراقبة الوفد والاستعداد لاستقباله، حيث اختلطت دموع الفرح والحزن ببهجة اللقاء عند قدوم العريس لأخذ عروسه بالحداء:

جينا وجينا وجينا جبنا العريس وجينا
كرمال عيون الكحلا خلّي الدنيا تلاقينا

****

وزلغوطة لوالد العروس تستهلها والدة العريس عادة في هذه المناسبة:

أيها يا أبو ليلى نحنا اليوم زوارك افتح لنا بابك وخليلنا دارك.

يا ريتني صايغ بجنب ليوانك لصيغ الخناجر و لبسها لصبيانك.

لو لو ليش

****

أيها يا عريس كلل خاتمك بيدك والكرم كرمك واللولو عناقيدك

أيها أسألت رب السما يعطيك ويزيدك وتصير حاكم وكل الناس تحت أيدك،

لولوليش...!

****

طلعة العروس من دار أهلها

بدأ العد العكسي، وحان وقت البكاء وموعد رحيل العروس عن دار أهلها، فهرعت والدتها شاكية باكية، فتحلقت من حولها النسوة لمؤاساتها وتهدئة روعها، والتفرغ لوداع ابنتها وتنقيطها بالطريقة اللائقة مثلما درجت عليه العادة، ووقفت إحدى قريبات العروس أو أشبينتها للإشراف على عملية التنقيط واستلام النقود من المنقطين مداورة، الرجال أولا ثم النساء، وجمعها في كيس مخملي مطرز خصص لهذه الحاجة،والإعلان عن أسماء المنقطين وتدوين أسمائهم لرد ديونهم في الأوقات المناسبة،وكانت عملية التنقيط تستغرق أوقاتا مملة يستهلها أهل العروس وأعمامها وأخوالها بنقوطات تفتح العين معظمها من الذهب

الخالص أساور أقراط خواتم وليرات ذهبية، ثم يليهم الجيران والأصدقاء والأقارب،في حين يتفرغ قسم من أقارب العروس بمماحكة واختبار مقدرة العريس وأهله،من باب التقليد وإخضاعهم لامتحان قوة كاختبار مقدرتهم على التصويب ورمي الجريد وإصابة الهدف وحملهم على رفع القَيمة التي كان يتجاوز وزنها الرطلين وأكثر،أي على حمل مسؤولية العروس التي سوف تدخل دارهم،ولما كان العريس طري العود لا يقوى على المماحكة والتحدي، بادر الشباب لإعانته، فنجح بالإختبار، وكان أهلا لاستلام عروسه التي أطلت عليه دامعة باكية ممسكة بيد والدها وتمت عملية الاستلام والتسليم بين فريقي المودعين والمستقبلين في طقس احتفالي مهيب تبودلت فيه الدعوات والتبريكات وتبويس الشوارب والأيدي،وسارت العروس برفقة أهلها الجدد في موكب طويل عريض تعالت فيه لعلعة الرصاص والهتافات والأغاني والزغاريد المعبرة عن المناسبة:

يا أهل العروس كونوا على حذر جايين أهل العريس مثل زخ المطر
جايين ينقلو الشمس لحد القمر لو لو ليش.

****

الله معك يا عروس الله معك وكتر البكي ما راح ينفعك
وإن كان في مسمار ببيت أهلك أقلعيه و خذيه معك
لو لو ليش

****

عروس العنا ما في حدا مثلك تنصبت عليك القمر والشمس وميتلك
حلي وشوفي عريسك الله يصونوا ميّة وخمسين سيارة باعتلك
لو لو ليش.

****

ولدى عودتهم ووصولهم الى دار العريس بالجينا وجينا وجينا يا أم العريس لاقينا ..! كانت قريبات العريس قد تمترسن على شرفات البيوت والسطوح، وبدأن برشق الموكب بالأرز والملبس والعطر، وكانت أم محمود قد استعدت لهذه المناسبة وأعدت الخميرة مسبقا، فتناولتها العروس ولصقتها على عتبة دارها الجديد تيمنا وتبركا برمزية انتفاخها وكثرتها،فالتصقت الخميرة من اول مرة وهذه إشارة الى حسن طالع العروس التي تفاءلوا بقدومها، وساعدوها على الدخول الى دارها ظهرا لا وجها لتكون دخلة مؤبدة لا خروج بعدها إلا الى القبر...! وجلست قبالة عريسها بمحاذاة العمود الذي شهد على موافقتها، فتقدم منها محمود نازعا الغطاء عن وجهها وأجلسها الى جانبه "يزقّمها" أي يطعمها البلاكيم واللقم، ويعلفها ويسقيها الماء ويدللها ويغنجها كخروف من خرافه، ويتبادل وإياها النظرات والبسمات في غفلة عن عيون المنهمكين بطعامهم، والذين انسلوا فيما بعد الى بيوتهم مخلين الجو للعروسين باستثناء فريق من المراقبين الواقفين على باب خلوتهما تأهبا لإعلان النتيجة،وهذا تقليد وقح وثقيل ارتبط بعذرية الأنثى نظراً لطقوس ممارساته.

وفي صباح اليوم التالي، تهافتت سفر الطعام المغذية على العروسين من معلاق خروف، الى دجاجة محشوة بالأرز واللحم والصنوبر، ولبن ولبنة وقريش وجبن، ومعاقيد وصرة من خبز القمح المرقوق وغيرها من المقبلات التي تعبر عن إكرام العروسين وتدليلهما في فترة محددة وقصيرة يستطيعان من خلالها تذوق لبن العصفور.

وعلى طباق الأسبوع ، حان أوان ردة الأجر، فدعي أهل العروس لتناول طعام الغداء في دار صهرهم زوج ابنتهم بحضور عدد كبير من الأهل والأقارب، وجلبوا معهم الكثير من الهدايا والنقوطات وأكلوا وشربوا وودعوا ابنتهم على أمل رد الزيارة في وليمة مشابهة عند أهل العروس يدعى إليها الكثير من أهلهم وجيرانهم وأقاربهم.

الحمامات القديمة

لم تكن الحمامات متوافرة في البيوت سابقا، نظراً لعدم توفر البنى التحتية وتمديدات الصرف الصحي، وكانوا كلما أرادوا الاستحمام وغسل ثيابهم الوسخة، لجأوا الى ينابيع الماء باكرا، قاطعين المسافات الطويلة حاملين معهم لوازمهم وأمتعتهم من دسوت وأوانٍ وجرار ورماد لعمل ماء الصفوة، وصرر الأطعمة والثياب النظيفة والوسخة،إضافة الى الحصر والحرامات لنصب الخيم ووضع الأمتعة فيها، حيث كانوا يمضون ساعات طويلة في الاستحمام والغسيل ونشل الماء بالجرار من الينابيع وإفراغها بالدسوت وتسخينها على نار الحطب،ونقلها الى داخل الخيمة .

بعد كل تلك الإجراءات المرهقة،يشرع فريقا العائلة ذكورا وإناثا بالاستحمام بمعزل عن عيون بعضهما البعض ، تحجبهما الستارة المنصوبة على إحدى الحبال داخل الخيمة، فيما تتفرغ النساء لفض الثياب الوسخة بماء النبع، وغليها بالماء الساخن وتطييبها بورق الغار وتفويحها بماء الصفوة، وعصرها ونشرها على الحبال تحت أشعة شمس البرية، ثم تنفرج الأسارير بانفراج أزمة الحمام والغسيل، وتتسابق الأيدي لفلش صرر الأطعمة بعد الحمام على نظافة،فيأكلون ويشربون ويسرّبون الى بيوتهم قبل الدغوش، ومنهم من كان يستحم في بقعة منخفضة من البيت قريبة من الساطوين أو في لَكَن نحاس بعد نقل الماء من النبع وتسخينه على نار الحطب، وبعد فراغهم من الحمام، كانوا يقومون بطرح الماء الوسخ خارج البيوت في (الششامي) أي المخارج الصحية.

حمام الأمراء

العز للرز والبرغل شنق حالو...! كانت الحمامات في العهد المعني الشهابي، تشير الى هناءة العيش والترف والبحبوحة، وتقتصر فقط على الطبقة الحاكمة من ممسكي دفاتر البلاد وعروشها، حيث كانوا يمضون جل أوقاتهم في الحمامات بمعزل عن هموم البلاد وعبادها.

وكانت هذه الحمامات مؤلفة من غرف عدة مبلطة بالرخام ومزخرفة بالرسوم والنقوش الفنية الجميلة، وكانت ذات تقنية صحية مدروسة، وفوّارات مياه متدفقة من أفواه التماثيل النحاسية، تتفاوت حرارتها من فيه لآخر بين باردة وفاترة وساخنة ومغلية، وغرفة لحمام البخار الساخن ألـ (sauna) وداخل كل غرفة من هذه الغرف عبد خفير وقف خصيصا لخدمة الأمير وتدليكه وتفريكه بالكيس قبل الحمام لترع الجلد الميت على الطريقة الشامية، وكانت فترة حمام الأمير تأكل نصف النهار وأكثر يتنقل فيها الأمير نقل الحجل من غرفة الى أخرى ومن حرارة الى حرارة تبدأ من غرفة البخار، فالماء الساخن فالفاتر فالبارد ويتنعم من خلالها بنعيم قارون والخليفة العباسي على أنغام الموسيقى وشرب السخونات والمأكولات الشهية والخدم والحشم والجواري.

ثم يليه حمام الأميرة الذي لم يكن أقل فخفخة، حيث كانت تأتي هي وجواريها الى الحمام في يوم مخصص لها عبر سرداب لا يسمح فيه بتسلل الأنظار إليها مبالغة في الاحتشام والتستر، وكانت الأميرة رغم كل هذا الحصار الخانق والتمييز الذكوري المتطرف في شروط تحركها، وتقديم حمام الأمير على حمامها، على قلبها مثل السكر،في ظل مواءمة الظروف

التي جعلتها أميرة زوجة أمير، وحاكمة بإيدها وبإجرها تغفو على هدهدة الجاه والمال والثروة الطائلة ومن حواليها الخدم والحشم يحملونها على أكفهم، ويخدمونها برموش عيونهم قياما وقعودا،وكان الذهاب الى الحمام في زمن اللا تعري، أشبه بالفسحة الروحية التي من خلالها يتنسم أصحاب العروش هواء الحرية والتفلت من قيد الـ (uniform) التقليدي العروشي،والتحرر من ثقل الطناطير والعمائم والكرور الطويلة والقسي والسيوف والبنادق والشنابر أي الملاءات والطاسات والطرابيش المشكوكة بالذهب،والسراويل والقنابيز والخلاخيل والأساور والعقود وغيرها.

تلاشت أطلال الحمامات التراثية القديمة في دير القمر مقر الإمارة المعنية ومنها حمام الأمراء اللمعيين المؤلف من خمس عشرة غرفة، تتوسطها برك الماء ذات المظاهر العريقة، على أثر وقوع حرب دموية بين أهالي الشوف والديريين عام ١٨٦٠م التي غذتها الأيدي العثمانية، فتهدمت على أثرها بقايا الحمامات وخلوات عباد الموحدين الدروز على أثر الحروب الصليبية التي يعود تاريخ بنائها الى القرن الخامس ميلادي، والتي كان قد أعاد ترميمها الأمير فخر الدين المعني الأول فور وصوله الى لبنان عام ١١١٩م إضافة الى قصوره المنيفة التي بناها.

غير ان نماذج هذه الحمامات ما زالت قائمة في الحميدية ونواحي الشام ومنها حمام جرمانا الشهير الذي تبرع ببنائه رجل ثري من آل البكري في الشام، والذي ما زال توافد الناس إليه ساريا إنما بشكل طفيف نظرا لضيق الوقت وتوفر الحمامات المترلية.

إبراهيم بن محمد علي باشا المصري
أسير الحسناوات الجميلات

كان جمال المرأة وما زال مطمعا ذكورياً مرهونا بنـــهم الجـــسد واللهاث خلف متطلباته، باستثناء قلة ذكورية مترفعة غفلت عنها أفاعي الجنة (الله يبارك بأصلهم) .

ولما كانت أيدي وعيون السلاطين والولاة زمن حكم العثمـــانيين والمصريين منتصف القرن الثامن عشر، تطال ما لا تقوى على صده إرادة الشعب المغلوب، كان إبراهيم باشا المصري والي بلاد الشام آنذاك والذي أغرق البلاد بالضرائب الباهظة وأعمال السخرة بمساعدة صديق والـــده الأمير بشير الثاني الكبير، واحدا من أولئك الحكام الذين استحوذوا على قنديل (الشبيك لبيك) السحري، وممن أذلهم عشق الحسناوات الجميلات وأهلكه حب الاستئثار بمنّ على سنّة يده الطولى، فكان يتحين الفـــرص لتقصي أنبائهن والإستحصال عليهن مهما كلفه الثمن ، والعبور من بوابة القانون على جاري عادة الولاة والحكام للاستحصال على مأربه، وذلك عن طريق إثارة الخلافات والنعرات بين الناس، وتقديم البلاغات وإقامـــة الشكاوى ضد بعضهم البعض لاستدراجهم والوقوف بين يديه.

ميثا ابنة محمد الجرمقاني أحد وجهاء قرية عرمان، فتـــاة خارقـــة الجمال في ريعان شبابها، ذاع صيتها في الـــبلاد، فتـــسرب الى الـــوالي فانفرجت أساريره وندّت عنه تنهيدة حرّى غردت لها كنارات قلبه طربا أثناءها كان ناطور قرية عرمان مطلوبا للمحاكمة بعد أن طالته شـــكوى

إبن أبو الخير، فتحين الوالي فرصة ضرب العصفورين بحجر واحد والحصول على ذات الحسن والجمال بحجة إلقاء القبض على مطلوبه فأرسل الى عرمان إحدى قرى محافظة السويداء فرقة من عسكر الخيالة قوامها خمسة وعشرون نفرا، من بينهم عسكري درزي من آل حمدان من راشيا إحدى قرى وادي التيم ، فنزلوا في ضيافة وجيه القرية محمد الجرمقاني والد الفتاة للمبيت عنده حتى الصباح، وطلبوا منه تسليمهم الناطور، فأكرمهم وأحسن استقبالهم، وفي صباح اليوم التالي،تسلل اثنان من الجنود الى الكرم بإيعاز منه، فقبضوا على الناطور وساقوه أمامهم وكان سجينهم خيالا رشيقا لا يكعى عليه مهرب، فاستطاع التفلت من قبضتهم فور وصولهم الى محاذاة بيته، حيث وبأسرع من البرق نزع عنه جبته ورماها عليهم بقصد إعاقتهم، وهرع الى بيته مستلا سيفه هاجما على أعدائه هجمة اللبوة الشرسة، فخافوا وهربوا ملتجئين الى مضافة القرية وطرح صوت النجدة عاليا في القرية، ولعلع الرصاص ودب الحماس وزحف كبير القرية وصغيرها من رجال ونساء وكهول مدججين بالبوار يد والخناجر والفؤوس، وطوقوا المضافة من كل حدب وصوب،وفكوا نقائض سقفها المتين، وانقضوا على أعدائهم دفعة واحدة من فتحة السقف وقضوا عليهم قضاءً تاما، باستثناء نفر واحد منهم كان قد تسلل خفية في دوامة المعركة، وهرول مسرعا الى السويداء لإبلاغ الوالي.

يا غافل إلّك الله

تسربت الى والد الفتاة نية خطف ابنته وتسليمها للوالي المصري عن طريق العسكري الدرزي الذي كان قد تنصت عليهم أثناء دردشتهم وتناولهم طعام العشاء في المضافة، حيث كان قد أسـرّ أحـدهم في أذن صاحبه قائلا:"أيجوز لنا خطف ابنة الرجل الذي عاملنا معاملـة حـسنة، وأكرمنا وقدم لنا كل هذه الأطعمة الشهية...؟! .

فهرع والد الفتاة لطلب النجدة بعد أن هُدد بالسجن والترحيـل الى اسطنبول إذا مانع بتسليمهم ابنته، وأخبر الفرسان ومشايخ العـائلات في القرى المجاورة بالكارثة التي سوف تحل به فيما لو تقاعسوا عن إمداده بالمساعدة اللازمة.

وكان نبأ هلاك الجنود في قرية عرمان شديد القسوة على الـوالي المصري الذي كان قد حبس أنفاسه طيلة غيابهم عنه، وجلـس يحـصي الدقائق والساعات بانتظار حدوث الفرج والحصول على فتـاة حلمـه فزحف على أثر تلك الصدمة القاسية بخمسمائة عسكري مسافة خمـسة وثلاثين كيلومترا من السويداء ، وتسللوا عبر الكروم الى القرية لتطويقها، فتسرب نبأ وصولهم الى مشارف القرية، فهب من فيها من رجال ونساء لملاقاتهم الى منطقة تدعى الخراب شمال عرمان قبـل وصـولهم بثمانيـة كيلومترات، لكن الناس خافوا وتقاعسوا عن واجبهم لكثرة عدد الجنود فتصدت لهم أخت الرجال سعدى ملاعب،وسارت خلف الرجال تذكي في صفوفهم لواعج الإنتخاء والشهامة، ترافقها امرأة ساعدتها على حمـل شقبانات الماء والأطعمة،وأعانتها على معاقبة الجبناء المتخـاذلين، كلمـا

لاحت على وجوههم بوادر الخوف والتردد حيث كانت تصيح بالرجال بين الفينة والفينة أثناء زحفهم قائلة: معي أكل للجوعان، وماء للعطشان وسرماية عتيقة للجبان، فخجل الرجـــال ودب الحمـــاس في صـــفوفهم وهجموا على أعدائهم هجمة واحدة، وهزموهم وعادوا منتـــصرين الى قراهم، بحسب المعلومات التي أمدني بها الشيخ أبو عدنان يوسف محمـــد ملاعب من قرية بيصور إحدى قرايا جبل لبنان الغربية.

وقد خلد اسم سعدى ملاعب مذ ذاك ، ونقش على لوحة شهداء المعركة في ساحة عرمان.

ابراهيم بن محمد علي باشا المصري

﴿ محتوى الكتاب ﴾

١- مقدمة الكتاب ٧
٢- تمهيد ١١
٣- قصيدة جبل الشوف ١٥

الفصل الأول ، تراث القرية

٤- البنية الإقتصادية للقرية اللبنانية ١٦
٥- غريفة نشأتها، موقعها الجغرافي، سكانها ٢٠
مواردها الإقتصادية، معالمها الأثرية.
٦ - قصيدة نهر الحمّام ٢٤
٧ - التحولات وقلق التعاطي ٢٥
٨ - محاويش على سن ورمح ٢٧
٩- معصرة الزيتون القديمة قبل تحويلها الى مكبس يدار بالكهرباء ٣١
١٠- معصرة العنب، معصرة الدبس ٣١
١١- موسم قطاف الزيتون، مظاهر العونة ٣٤
١٢- بكوانين كنّ ببيتك، وكتّر حطبك وزيتك ٣٦
١٣- بنيسان صار الحكم للنسوان ٣٧
١٤- الكروم الذهبية وخمرة الشوف ٣٧
١٥- حكاية بتنحكى ٤٠
١٦- عيون الماء والمناهل العذبة ٤١
١٧- أغرف من زيتها غرفة حفظتك آلهة الشفاء ٤٣
عمر غريفة من عمر الزيتون.
١٨- الحارات، القلاع، الكنائس، القبور، النواويس ٤٥
المجالس الدينية ، المزارات.
١٩- الطاحونة عبر مراحلها الثلاث ٤٩

٢٠- غياب النواطير علّم الناس الحرام ٥٢
٢١ - مختار الضيعة ٥٣
٢٢- المعمرجي ٥٤
٢٣- كار الجبارة أو مهنة ترميم العظام ٥٧
٢٤- المدارس في غريفة، الجمعيات، الأندية الثقافية والرياضية ٦١
٢٥- نمر الحمّام أو نمر الدم، من دهنو سقّيلو ٦٧
خان الحمّام ونزلائه المميزين
٢٦- غريفة ترس الشوفين ٧٢
٢٤- المجاهد شكيب أسعد وهاب ٧٣
٢٥- ثورة العام ١٩٥٨ ..... ٧٦
٢٦- تطويق البلدة وإحراقها بأمر من الجنرال غورو ٨٠
٢٧- بنو معروف عبر التاريخ ٨٢
٢٨- قصيدة الشاعر مارون عبود ٨٣
٢٩- شهداء الحرب الأهلية ٨٥
٣٠- العشائر العربية السامية الأصل والعائلات المتفرعة عنها ٨٧
٣١ - العائلات في غريفة مسيحيون وموحدون دروز ٩٠
٣٢- آل حرب وفروعهم الصغيرة، جامعة آل حرب ٩٠
الهيئة الإدارية في بيروت، الهيئة الإدارية في غريفة
٣٣- آل حرب مسيحيون، سنّة، شيعة ٩٧
٣٤- آل أبو حمدان، آل حمادة، آل منذر،آل معن،آل مسعود ٩٨
آل نصر الدين ، آل زين الدين ، آل شمس.
٣٥- العائلات المسيحية في بلدة غريفة: آل حداد، آل نصر ١٠٩
آل رحال ، آل الخوري ، آل غصن ، آل صوايا
٣٦- علاقة المسيحيين بأخوانهم الدروز في قريتهم غريفة ١١٤
٣٧- دور الشباب المسيحي الدرزي على مستوى الوطن ١١٦

٣٨- فروع العائلات في غريفة : جب صـــنديد ، جـــب راجح ، جب زهير ، جب شبلي ، جـــب عيـــد، جـــب الصباغ، جب الغندور، جب جُنيد، جب غلاّب، جـــب يزبك،جب حمد، جب بركات، جب أسد، جب يقظان، جب بو قاسم، جب مذكور، جب بودعيبس، جب بـــو علي، جب فياض، جب خليل، جب صالح، جب حمّـــاد، جب دانيل، جب شعلان، جب حمّود، جب فهد، جـــب شاهين، جب مشرف، جب مطاوع، جب زيادة، جـــب شرف الدين، جب صعب، جب ياغي، جب حمزة ، جب علم الدين. ١١٧
٣٩ - ظاهرة النطق ١٣٤
٤٠- الفرقة والخلقة ١٣٧
٤١- القضاء في العهد الإقطاعي، كواليس القضاء ١٤٠
لكل وثيقة عنوان
٤٢- الحكم بعدم توريث البنات ١٤٦
٤٣- نموذج عن الوصية، (وصية مطاوع حرب نسخة أصلية) ١٥٣
٤٤- البيع والشراء في شرعة الأتقياء ، صك بيع ١٥٤
صك رهن بتوقيت الحرير ، صـــك زواج.

الفصـــل الثالث ، قصص من التاريخ

٤٥- الجار ولو جار، أقرصو بذنبو بتشوف عجبو ، الصبـــاح رباح، أكل ومرعى وقلة صنعة، العين بصيرة واليد قصيرة، أخذ الثار مش معيار ، قرية المية وميّة ، يلّي فـــات مات. ١٥٧
٤٦- مطاردة عبدو كريدية ١٦٥

٤٧- الأمير فخر الدين المعني الثاني، زغـــرو زغر وفعلو فعل ١٦٧
الآباء يأكلون الحصرم والأولاد يضرسون، ويلاوطبيلا
أخذ الثار مش معيار ، الباديْ بالشر أظلم ، فخر الدين
يطلق بورزانه ويستدعي الرجال.

٤٨- الجد شهاب الدين مطاوع حرب الأقرب الى الأسطورة ١٧٦
يلّي ما لو ظهر بيموت قهـــر، يلّي الله بيغضب عليه
بيكبّرلو راسو وبيتعّبلو إجريه ، طابخ السم آكلـــه.
خلصـــو زيتاتـــو ، سبق الســـيف العـــذل.

٤٩ – قصيدة جدي ١٨٨

٥٠- باب الطرائف والعبر، الجمرة ما بتكوي غير مطرحها
انخلط الحابل بالنابل ، وحدة بوحدة ، شوفنت معـــو
يلّي حظو قليل لا يتعب ولايشقى، بشّر بمصيبة و لا تبشّر
بخلقة بنت، أقوال منصفة ومجحفة،جس نبض، زي وزا وزاك.

٥١- لائحة الأسماء التراثية، ألف باء الأسماء التراثية ٢٠٠

٥٢- أفراح القرية،تزوجوا على جهلكم وربوا ولادكم على مهلكم ٢٠٦
بَرَموا الجنة ومالاقـــوا للحما كنّـــة، كلّو بالنصيب إلا الجازة
بالتسبيب ، الزائد أخو الناقص، بدك تجوّز بنتك غلّي مهرها
البعد جفا

٥٣- روزنامة الفرح بحسب التقويم الزراعي الإسلامي، الدعوة الى ٢١٥
العرس، جَلوَة العروس وسهرة الحمام والحنّة، جلب العروس،
طلعة العروس من دار أهلها.

٥٤ – الحمّامات القديمة، حمّام الأمراء ٢٢٦

٥٥- إبراهيم بن محمد علي باشا المصري أسير الحسناوات ٢٢٩
الجميلات،يا غافل إلك الله.

المصادر و المراجع

١. إعرف لبنان: موسوعة المدن والقرى اللبنانية: عفيف بطرس مرهج.

٢. حكي قرايا وحكي سرايا : سلام الراسي .

٣. العادات والتقاليد الجزئين الأول والثاني : لحد خاطر .

٤. دراسات في تاريخ الشوف بالوثائق : للمحامي سليمان تقي الدين عبدالله سعيد، ونائل أبي شقرا .

٥. الدر المرصوف في تاريخ الشوف : القس حنانيا المنيّر .

٦. الحركات في لبنان : يوسف خطار أبو شقرا .

٧. أخبار الأعيان في جبل لبنان : طنوس الشدياق .

٨. المجاهدون الدروز: د عزت زهر الدين.

٩. أنيس فريحة : حضارة في طريق الزوال .

١٠. بنو معروف في التاريخ : سعيد الصغير

١١. تاريخ الدروز في بيروت وعلاقتهم بطوائفها: المؤرخ حافظ أبو مصلح.

١٢. مصادر التاريخ اللبناني "وثائق سياسية اقتصادية واجتماعية لسليمان أبوعزالدين.

١٣. العادات والتقاليد في العهود الإقطاعية : علي الزين .

١٤. أحداث وأحاديث من لبنان: لحد خاطر.

١٥. أميرات لبنان : كرم البستاني .

١٦. معجم الأسر والأشخاص ولمحات من تاريخ العائلات :أحمد أبو سعد دار الملايين.

١٧. كتاب النقاش: للنقيب نبيه فيصل.
١٨. مسلك التوحيد : الدكتور سامي مكارم .
١٩. النشوء والارتقاء : داروين .
٢٠. الأمير السيد جمال الدين عبدالله التنوخي، سيرته أدبه: د فؤاد أبو زكي.
٢١. كتاب الإنسان لمجموعة من المعلمين الحكماء : علوم الإيزوتيريك ، أصدقاء المعرفة البيضاء
٢٢. تاريخ لبنان : فيليب حتي .
٢٣. المرأة العربية في مرآة القهر السلفي: د خليل أحمد خليل .
٢٤. العادات والتقاليد في الأعياد والأفراح والأحزان :د حسن البعيني .
٢٥. أمثالنا الشعبية: د زاهي ناضر.
٢٦. تاريخ الأمير حيدر الشهابي ، أربعة أجزاء.
٢٧. نموذج الأسرة الريفية اللبنانية: الكاتب والباحث وجيه جميل البعيني.
٢٨. المسألة الطائفية في لبنان: للكاتب السياسي المحامي سليمان تقي الدين.
٢٩. كتاب حرب الجبل :اللجنة الإعلامية للإدارة المدنية في الشوف.
٣٠. موسوعة الأمثال الشعبية: للشاعر الدكتور شوقي أنيس عمار.
٣١. معجم قبائل العرب: عمر رضا كحالة.
٣٢ . الدستور اللبناني : شفيق جحا.
٣٣ . الأصول والأنساب: يحي حسين عمّار دار الضحى.

هيام حرب ملاعب

مواليد غريفة قضاء الشوف

كاتبة مقال إجتماعي سياسي في معظم الصحف والمجلات اللبنانية : النهار، الأنوار، السفير، الديار، المستقبل، اللواء، صوت الشوف، مجلة الحداثة - سنوب.

• صاحبة كتاب أبجدية التحول «رؤى وتأملات» يتضمن نصوص أدبية وجدانية ونقدية تتناول قضايا الوطن والإنسانية جمعاء، عمم على مكتبات المدارس من قبل وزارة التربية.

• كتاب المرأة الأرض قيد التحضير

عضو حلقة الحوار الثقافي.

عضو إتحاد الكتاب اللبنانيين.

عضو جمعية جذور.